المرحلة :الأولى المادة : منهج البحث التاريخي

الفصل : الثاني عدد الساعات: ٢

مفردات المنهج

أولا. التاريخ :

تعريف التاريخ / لغتا – واصطلحا

موضوع التاريخ / الانسان او الزمان او المكان

ثانيا. صفات المؤرخ :

١- الرغبة .

٢- الصبر .

٣- المعرفة والثقافة

٤- الشك العلمي .

٥- الروح العلمي .

ثالثا. نشأة علم التاريخ عند العرب .

رابعا. العلوم المساعدة

١- الجغرافية ٢- الادب ٣- اللغة ٤- الاقتصاد

٥- كتب السياسة ٦- الوثائق ٧- الاختام ٨- علم النقود

خامسا. اصول البحث التاريخي :

١- اختيار الموضوع ٢- خطة البحث ٣- جمع المعلومات

٤- نقد المصادر ٥- قواعد اثبات صحة النصوص

٦- محاولة اخضاع حوادث التاريخ .

سادسا. كتابة التاريخ :

١- ترابط اجزاء البحث ٢- صدق الباحث وامانته

٣- لمن يؤلفر الباحث كتابه ٤- تفسير حوادث التاريخ

٥- اسلوب العرض اللغوي ٦- وحدة الموضوع في الكتاب

المراجع المعتمدة : ١- منهج البحث التاريخي / عبد الواحد ذنون طه

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية التربية الاولى (ابن رشد)

منهج البحث التاريخي

الدكتور محسن محمد حسين
استاذ التاريخ الاسلامي
كلية التربية الاولى

الدكتور عبد الرحمن حسين العزاوي
استاذ التاريخ الاسلامي المساعد
كلية التربية الاولى

مكتب وجيه
لخدمات الطباعة والاستنساخ
بحضوره - مقابل كلية التربية الاساسية

س/ عدد ي ملامح المنهج الإسلامي ؟ الفصل الأول

س/ عدد ي العلوم المساعدة لعلم التاريخ ؟ ذكر واحد منها وبين علاقته بعلم التاريخ وأهميته ؟ الفصل الثاني

س/ ما المقصود بـ السيرة النبوية ، الفصل الثالث

س/ ما المراد بالمعاصر في كلام الغانم . الرابع

س/ ما رسمة بيت البلاذري والمسعودي . الثاني

س/ ما المقصود بـ المسعودي ، المعتزلي ؟ العلوم المساعدة

س/ الكتابة عبر نوافذ وجدت لتبقى ، الخامس

تعتبر دقة المنهج والبحث في علم التاريخ ، مفقودة وبشكل واضح في تدريس التاريخ ، العلوم المساعدة في دراسة التاريخ هو منهج البحث التاريخي ، ما هي المبادئ التي يقوم عليها منهج البحث ، صفات المؤرخ .

س/ عرف التاريخ لغة واصطلاحا ثم اذكر أهم مواضيعه ؟

س/ يمكن أن نذكر فائدة التاريخ وأثره في الكلام عن نشأة علم التاريخ

س ١/ حدد في بداية المنهج الإبحاثي ؟ الفصل الرابع

س ٢/ حدد في اللغة المأخوذة لخمسة منها ذكر كاملين ويكمل كالمعلم وكتابتهم شرح وكلما مدح ؟ الفصل الثاني

س ٣/ سؤالنا عن السيرة النبوية ، الفصل السادس

س ٤/ التراث المعاصر من قبل الكاتب . الرابع

س ٥/ مقارنة بين البلاذري والمسعودي ، السادس

س ٦/ سؤالنا المؤرخين المسعودي ؟ العلوم المساعدة

س ٧/ الكتابة حسب الموضوعات وحسب الأسلوب ، الخامس

تعشيرة قضت المنهج والبحث ، علم التاريخ ، مقدمة وبيان الصعوبات ، تعريف التاريخ ، العلوم المساعدة في دراسة التاريخ مواضيع منهج البحث التاريخي ، مراحل البحث ، خطوات المؤرخ .

عرف التاريخ لغة واصطلاح ثم اذكر لهم مواضيعه ؟

يمكن ان نذكر فائدة التاريخ وأثره لكل من تعلم علم التاريخ

الفصل الاول
التأريخ

تعريف التاريخ :

ان علم التأريخ موضوع حي ، ومهم ، ولذا تباينت الآراء حول تعريفه ، ومنهج كتابته ، وتفسيراته ، وهو موضوع مفصل بصورة او اخرى ، بالاتجاهات الفكرية ، وبالتطورات الحياتية ، فيتأثر بها ، وقد يكون له أثره في بعضها لذا جاءت للتأريخ تعريفات كثيرة نذكر منها ماتفق عليه من قبل الباحثين والمفكرين على انه :

ان التاريخ هو سجل لكل ماصدر عن الانسان من الماضي[1] ، وارتبط بحياته بشكل ما ، وتبعا لاعماله المتعددة بتعدد قواه ، وتنوع مداركه ، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا .

او :

ان التاريخ هو بحث واستقصاء حوادث الماضي ، بكل مايتعلق بالانسان منذ ان بدأ يترك آثاره على الارض والصخر بتسجيل او وصف اخبار الحوادث التي ألمت بالشعوب والامم والانسان[2] .

او :

ان التاريخ استجابة لمحاولة الانسان الابدية لمعرفة نفسه ومعرفة الآخرين ، فهو اداة حضارية في خدمة المجتمع الانساني ، ووجوده بدأ مع وجود الانسان على الارض في زمن ومكان ما .

---

(١) بتصرف . السخاوي (محمد بن عبدالرحمن) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . مط الترقي . القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٨٤٧ م .

هرشو . عبر التاريخ . تعريب عبدالحميد العبادي . مط لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .

د. عبدالعزيز الدوري : تفسير التاريخ . مط الارشاد . بغداد (بدون تاريخ) ص ٣ ومابعدها .

(٢) هناك قول يقول : ان التاريخ هو صورة العصور الخوالي وكتابها الحافظ لاخبارها .

وقد عرف القدماء التاريخ فقالوا : «تاريخ كل شيء آخره وهو في الوقت غايته والموضع الذي انتهى اليه . يقال فلان تاريخ قومه اي اليه ينتهي شرفهم»[٣] .

ويقول الصفدي : «التاريخ مرآة الزمان ...»[٤] .

ولقد عرف ابن خلدون التاريخ على انه «فن يوقفنا على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم والانبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا»[٥] .

واخيرا فالتاريخ يعد سيرة طويلة المدى تمتد مع الزمن الى مالانهاية وتغوص في اعماق الماضي الى ابعد مما اتاحت لنا المدونات ان نعرف ، فهو سيرة الانسان في زمانه ومكانه .

التأريخ لغة :

التأريخ[٦] ، التاريخ[٧] ، والتوريخ[٨] ـ لفظ عربي بمعنى العهد او الحساب او التوقيت ـ اي تحديد الوقت او الأعلام بالوقت .

يقال : ارخت ورخت ، اي حددت تاريخه .

---

(٣) ابن عساكر (ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين بن عساكر الشافعي) . تاريخ دمشق . مط روضة الشام ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م ، ١٨/١

(٤) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، الوافي بالوفيات . اعتناء هلموت ريتر . مط فيسبادن ـ ٤/١ .

(٥) ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) . المقدمة . مط البيان العربي ـ القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م . ص ٢١٩

(٦) بالهمز

(٧) بتسهيل الهمز

(٨) المعنى نفسه (تاج العروس ـ للزبيدي ـ مادة أرخ) . والمعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية ـ مط دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ١٣/١ (أرخ) .

وقيل اشتقاقه من الأرخ ، يعني بفتح الهمزة وكسرها ، وهي الانثى من بقر الوحش ، لانه شيء يحدث كما يحدث الولد(٩) .

وقد فرق الاصمعي بين اللغتين ، فقال :

بنو تميم يقولون ـ ورخت الكتاب توريخا .

وقيس تقول ـ ارخته تأريخا(١٠)

وهذا يؤيد كون التاريخ عربيا .

ـ سنفصل القول في موضوعة فائدة التاريخ ـ وقد وردت آيات قرآنية كثيرة تدلل على ذلك .

التأريخ اصطلاحا :

اما كلمة (التاريخ) من حيث الاصطلاح فتعني الزمن او الحقبة(١١) .

لقد تناول المؤرخون القدامى موضوع نشأة التاريخ وتدوين التأريخ ومبدأ التاريخ عند العرب وقد اتفقت آراؤهم جميعا ورووا في ذلك الاحاديث الكثيرة ومنهم ابن عساكر في مقدمة كتابه (تاريخ دمشق) والصفدي في (الوافي بالوفيات) . وقد تناولوا بدء التاريخ الهجري عند العرب وقد ساعدهم في ذلك ان القرآن الكريم جاء بنظرة عالية الى التاريخ تتمثل في توالي النبوات وهي في الاساس رسالة واحدة بشر بها انبياء عديدون وكان الرسول الكريم (ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولذا كان لهذه النظرة اثرها في الالتفات الى تأريخ الانبياء وقد اقتصرت هذه الفترة على الفترات التي سبقت ظهور الاسلام ، اما بعد ذلك فقد انصب الاهتمام على تأريخ الاسلام .

---

(٩) السخاوي ـ الاعلان بالتوبيخ ص ٩

(١٠) المصدر نفسه ـ ص ٩

(١١) المصدر نفسه ـ ص ٩

وقد شعر العرب في الاسلام بأنهم اصحاب رسالة جليلة وانهم يمرون بمرحلة هامة . كما ان التحرير والفتوحات الكبرى جعلتهم يحسون بأن لهم دورا تاريخيا خطيرا وهذا كان له اثر قوي على الدراسات التاريخية(١٢) .

ولم يظهر هذا المعنى الذي ذكرناه الا منذ ان ادخل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) التقويم الهجري .

وهناك اقتباس لما دونه احد الصحابة استخدمه الواقدي المؤرخ(١٣) بوساطة حفيد هذا الصحابي(١٤) ، ويتضح منه ان بعض صحابة الرسول (ﷺ) كانوا يدونون ذكرياتهم على نسق تاريخي ، واقدم البرديات العربية وهي الموجودة في فينا(١٥) ، مثل البردية المدونة سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م ثبتت استخدام التاريخ الهجري ، كذلك تدلل على ان (التاريخ) كان معروفا في ذلك الحين ، ثم تطور مدلول المصطلح بعد ذلك الى ان اصبح «الكتب التاريخية» ، كالتاريخ العام ، وتاريخ الانسان ، وتاريخ الخلفاء ، وتاريخ العالم ، وتاريخ الدول ، كذلك التواريخ المحلية ، وتواريخ المدن والامصار ، وكذلك السير المفردة ، وكتب التراجم .

---

(١٢) د. عبدالعزيز الدوري . بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب . المط الكاثوليكية بيروت . ١٣٨٠ هـ . ١٩٦٠ م . ص ١٨-١٩

روزنثال . مدخل لعلم التاريخ عند المسلمين . تعريب د. انيس فريحة . بيروت ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م . ص ٢٠-٢٥

د. شاكر مصطفى . التاريخ العربي والمؤرخون . دار العلم بيروت . ١٣٩٩ هـ . ١٤٠٠ هـ ١٩٧٨ م . ١٩٧٩ م . ١/٥٧

(١٣) توفي سنة ٢٠٧ هـ . ٨٢٣ م في بغداد (الطبقات . لابن سعد . دار بيروت . ٥ : ٣٣٢-٣٣٤

[illegible] . ص ٤٥٨ . الفهرست لابن النديم . ٩٨-٩٩) .

[illegible] . الطبقات . دار بيروت . ٥ : ٣٣١

[illegible] . تاريخ التراث العربي . ص ١١١

موضوع التأريخ :

واما موضوعه فالانسان والزمان[١٦] والمكان (الارض) حيث مسرحها الحقيقي في وقائع التاريخ .

١ـ الانسان حيث انه يبحث في المجتمع الانساني ، وفي حكايته وكيف اصبح الانسان كما هو الان ، وان معرفة ماكانت عليه المجتمعات في الماضي وكيفية تطورها لتبصرنا بالعوامل التي تؤثر فيها وبالتيارات والقوى التي تحركها وبالدوافع والمصادمات التي تشكلها عامة كانت ام خاصة .

الانسان ـ لفظ يطلق على الذكر والانثى من بني آدم[١٧] ، وتميزه عن غيره من الكائنات ، في امتلاك العقل وتحكمه في الارادة ، وضبطه لانفعالاته ، ومن ابرز صفاته الفطرية ميله الى التعاون مع الاخرين وبخاصة الذين ينتمي اليهم في الارض واللسان والمزاج والزمان والمكان ، فالانسان اجتماعي بطبعه حتى توسع ذلك الميل يوما بعد اخر ، وبخاصة حينما واجه الانسان مصاعب حيوية حالت بينه وبين تطمين حاجاته الحياتية والفكرية .

٢ لقد واكبت الحاجة الى الاخرين حالة الاستقرار في ربوع ملائمة يرى فيها الانسان ضروراته .

٤ والانسان هو صانع التاريخ الفذ لايفوقه في صناعته هذه صانع اخر وهي من صنع الحياة ثانيا فالحياة تفرض نفسها على ادارة الانسان ، والصراع الذي يخوضه الانسان في معركة الحياة هو الدراما الخالدة على مسرح الزمن .

---

(١٦) الاعلان بالتوبيخ ـ ص ٧

(١٧) معجم لفاظ القرآن الكريم ـ مط الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م ـ ١ ـ ٦٤،٦٣ ـ وقد ورد لفظ الانسان في القرآن الكريم في آيات كثيرة .

والانسان هو الانسان ومعركته خالدة سابقي مع الزمن والحياة ويحق لنا ان نقول مع المؤرخ الايطالي المعاصر (بندتوكروتشي) ان التاريخ كله هو تاريخ الحاضر فنحن لانبغي حقا من دراسة التاريخ غير التعرف على الاطار الذي نعيش فيه ومعرفة اصوله ولايتسنى لنا معرفة وجوده . والواقع ان كل مايتناوله التاريخ بالبحث حاضر موجود ، اما مامضى وانقطع وجوده فلا سلطان للتاريخ عليه(١٨) . .

ان الانسان بتعلقه ، تمكن من مواجهة التحديات الطبيعية والبشرية مواجهة حكيمة ، فتكيف ازاءها تكيفا ايجابيا ، بهدف الحفاظ على ديمومته والتخفيف من المخاطر الطبيعية بالسيطرة عليها . واختيار المواقع الملائمة للقرى والمدن كما اهتم بتحصينها والحفاظ عليها .

لم يكتف الانسان بذلك ، بل تمعن في الكون والوجود ، وتابع ملاحظاته للظواهر الطبيعية المختلفة ، باحثا عن الاسباب الكامنة وراءها ، والمبادئ التي تحكمها .

لقد نجح الانسان في ابتكار نظام اجتماعي واخلاقي متطور ، يحكم بموجبه الفعل الانساني ، وتوجهاته البناءة ، بعد ان وضع اسس الحضارة الروحية والمادية عبر عمليات انسانية متتالية ومتعاقبة .

فالانسان صانع هذه العمليات ، والتاريخ يتخذ مجراه على يد الانسان نفسه بطريق مباشر ، وفي ظروف معينة ، كذلك هو مدون ومؤرخ لنفسه وللاخرين حاضرا ومستقبلا .

(١٨) حسن فوزي المنتصر . تاريخ وتنمية . محاضرات نظرية تحليلية والترجمة القاهرة ١٩٨٤

ب ـ الزمان

الزمان ـ الوقت قليله وكثيره ، وهو مدة الدنيا كلها ، ويقال : السنة اربعة ازمنة : اي اقسام او فصول(١٩) .

والتوقيت دراسة الظروف المحيطة بالحدث ، والقدرة على فهمه واستيعابه في عملية متوازنة مع الحالة . بل ان حسابات الزمن عند العربي كانت تتزامن مع درجة النضج ، بين جميع حالات التغيير وعلى وفق حسابات دقيقة .

فالزمن بالنسبة للانسان ليس عمره ، ولا حدود حركته ، بقدر عطائه ، وفعله الانساني في الحياة .

وكذا الحال بالنسبة للامة ، فالزمن ليس عمرها ولاحدود حركتها التاريخية ، انما هو عملية تجددها والمستوى الذهني والنفسي والاخلاقي الذي تبلغه عملية تجددها ، فهذا الزمن المتصل المتلاحق يصبح غير ذي قيمة مالم يجد له امة يتجدد منها ، ولانه شيء متصل فأنه يمنح للامة تاريخا يتواصل مع الزمن ، والامة الحية هي التي تواكب الزمن في وعي وتجدد ، وتصبح هذه الامة موجودة منذ ان بدأ الزمن ، يأخذ معناه المحدد الواضح ، ويضيف الى تاريخ البشرية تراكما حضاريا مستمرا ومتواصلا .

غير ان هذا الزمن ليس واحدا في تطوره ، ولانه عملية وعي بالتجدد فأنه يعتمد على قدرات الامة في اكتشاف اين يكمن تجدد الزمن . وبالتالي قدرتها على التحرك نحو ذلك(٢٠) .

---

(١٩) [illegible]

(٢٠) [illegible]

ب ـ المكان (الارض)

والارض لفظة تطلق على الكوكب الذي يعيش عليه الانسان . وقد تطلق على جزء من هذا الكوكب(٣١) .

فالارض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ ، وهي ذات اثر كبير في توجيه مصائر النوع الانساني .

ان مسيرة الانسانية عبر الاف السنين تحكي لنا قصة صراع الانسان من اجل الموقف الافضل ، ازاء الطبيعة ، وازاء الآخرين ، وازاء ذاته . وهي ذات القصة التي تكمن وراء ظهور حضارات عريضة ، نهضت هنا وهناك ، وكانت لوطننا العربي الكبير فيها ومنها البدء والاصالة .

وللظواهر الكونية المختلفة اثر واضح مع غيره من المؤثرات ـ في الانسان وبالتالي في حركة التاريخ ، وذلك تبعا لنوع تفاعله مع بيئته وتحديد ظروفها . لان الانسان كائن حي يتفاعل مع البيئة المحيطة به ، فهو ابن بيئته سواء كانت ثقافية ام اجتماعية ، استوائية ام قطبية ، صحراوية ام جبلية ، وكذلك المناخ ، والرياح ، والجزر ، والبحار ، ونوع الثروة الطبيعية ، والموقع الجغرافي ، تؤثر كلها في تكوين الانسان ، وتوثر في لغته ، ونبرة صوته ، وفي لون بشرته ، وعينيه وشعره وفي ملكاته العقلية ، ومعتقداته الدينية ، وفي فكره وفلسفته ، وفي هندسة مدنه وقراه ، وفي قوانينه وشرائعه ، وفي حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وفي سير معاركه وفي حربه وسلامه(٣٢) .

---

(٣١) معجم الفاظ القرآن الكريم ـ ١/٣٥-٣٦

(٣٢) د. حسن عثمان ـ منهج البحث التاريخي ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ص ٣٣ . «وكان التاريخ هو القراءة المفضلة لدى نابليون ، وتشرشل ، وكذلك هتلر قرأه في شيء من الانبهار ودون ان يستفيد كثيرا منه» .

فمثلا يرتبط سير المعارك الحربية ، بالتضاريس الارضية ، فعلى المؤرخ ان يعرف هل كان مركز احد المتحاربين افضل من مركز الاخر ، وهل سيطر على منافذ بعض الجبال ؟ او هل كانت ارض المعركة ارضا سهلة ، وكان من اليسور التحرك فيها ، ام كانت منطقة مليئة بالمستنقعات ؟ وهل كان الجو في يوم او في ايام المعركة صحوا ام كان عاصفا ممطرا ، ام كان حارا قائظا ؟

ومما يوضح لنا اثر الارض وتضاريسها ومناخها في التاريخ مانلاحظه من تدخلها احيانا تدخلا حاسما في تغيير مجرى التاريخ ، فمثلا نجد معارك الصائفة ، والشاتئة في تاريخنا العربي واضحة . ويغلب عليها معارك الصائفة ، اكثر من الشاتئة ، لان الظروف المناخية وخاصة في المناطق الباردة لها تأثيرها على المقاتل العربي ، والمحصلة من المعارك التحرير والنصر ، وليس مجرد معارك .

وعند استقراء الوطن العربي والوقوف على اتساع امتداده وطبيعة موقعه ، ومايتمتع به من حالات شموخ طويلة ، وكذلك فأن موقعه الوسط على المساحات المائية الواسعة التي يطل عليها ، والمساحات الصحراوية الواسعة والمساحات الخصبة التي يحويها لابد ان يسهم في توضيح عناصر الحركة التاريخية للانسان العربي ، بل لابد ان يترك بعض آثاره في تطوره التاريخي .

فالانسان العربي شدته منذ النشأة الاولى علاقة وثيقة بالكون فكونت لديه تطلعا لادراك الحركة الكونية وتنظيم حياته وعلاقتها بتلك الحركة ، وقد عبر هذا التطلع عن نفسه في ادراك مافي حركة الكون من خير وشر . وتقدير مبكر لعامل الروح ، وقد نتج عن هذا كله نشاط حضاري قوامه جهد الانسان لاسهولة الحياة ويسر الطبيعة ، لذلك لم يكتف الانسان العربي بتكوين فكرة عن قصة الخلق او البدء ، كما قاده اليها تصوره انما تراه يتطرق في حواره مع الطبيعة الى الحد الذي يقوده الى البحث عن سبيل للسيطرة عليها اكثر فأكثر وتسخيرها

لخدمة الانسان والارتقاء به ، لذلك نراه يؤطر كل جهده وانتاجه بسيج من القيم الروحية التي تعتني بالانسان وتهتم بعواطفه ، ومشاعره وانسانيته[٢٣] .

فائدة التأريخ :

اهتم اغلب المؤرخين والعلماء العرب المسلمين ، بالتدليل على اهمية «التاريخ» وفائدته ، اذ لم يفتهم ان ينتبهوا في استهلال «مقدمة» مؤلفاتهم الى هذه المنزلة .

واستظهر بعض العلماء ضرورة الاشتغال بالتاريخ والمعرفة بالحوادث والاخبار ، لاستكمال امر الدين ، واصلاح امر المعاملات والمعاش الدنيوي ، حتى تتحقق الحكمة من الوجود الانساني في الحياة ، وهو سيد المخلوقات .

وللتدليل على فائدة التاريخ ماجاء ذكره في القرآن الكريم ، وفي ذكره دلالة على ماله من اهمية وتحقيق منفعة وفائدة .

روى عن ابن عباس (رض) انه قال :

ذكر الله التاريخ في كتابه ، لان معاذ بن جبل (رض) قال :

يارسول الله مابال الهلال يبدو دقيقا مثل الخط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستدير ، ثم لايزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان على حاله الاول ؟

فقال : قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد (ص)

«يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج»[٢٤] .

والأهلة ـ جمع هلال .

مواقيت للناس وحج - هي معرفة الناس مواقيت حجهم وصومهم وفطرهم وانقضاء عدة نسائهم ، ومدد حواملهم . ومحل ديونهم . وحلول حقوقهم . وغير ذلك من الشروط[٢٥] .

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تقص أنباء الرسل والأنبياء وأخبار الامم الماضية . كآدم . وحواء ، وهابيل وقابيل . وقوم نوح وهود . ومدين وثمود ، وما حكاه عن موسى وهارون . وفرعون وقارون . وعن أصحاب الكهف والرقيم وعن النمرود وابراهيم .

قال تعالى وهو اصدق القائلين :

«وكلاً نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ...»[٢٦] .

وقال تعالى :

«وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب»[٢٧] .

وقال تعالى في أية اخرى :

«هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون»[٢٨] .

وعند الرجوع الى تلك المصنفات التاريخية نجد مؤلفيها قد بينوا اهمية التاريخ وفائدته من ذلك :

---

(٢٥) خليفة بن خياط - تاريخه - ص ٥

الطبري - التفسير - ٥٥٣/٣

ابن عساكر - تاريخ دمشق - ٢١/١

السخاوي - الاعلان بالتوبيخ - ص ١٥

(٢٦) سورة هود - آية ١٢٠

(٢٧) سورة الاسراء - آية ١٢

(٢٨) سورة يونس - آية ٥

مـذكره (الطبري ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) وهو يقدم لتاريخه «الامم والملوك» بالاشارة الى فائدة التاريخ ـ ورجحان الاشتغال به على الاشتغال بمسائل علم الكلام والجدل والفلسفة وماليها ـ كالكلام في الزمان ، وهل له ابتداء وانتهاء ، واول وآخر ؟

وهل كان هناك شيء قبل خلق الله للزمان ؟

وهل الزمان فان ام باق ؟

وكيف كان ابتداء خلق الله تعالى للزمان ؟

وكيف يكون فناؤه ؟

واشباه ذلك من المسائل التي يحار فيها العقل ، ولايهتدي الى حل صحيح .

اما الكلام في احداث التاريخ ، فهو كلام في مسائل مادية حدثت ، واخبار ماضية وقعت وهي وان كانت يجري عليها الصدق وعدمه ، الا انها تستخرج بالرواية والاخبار ، ولاتستنبط بحجج العقول والافكار(٢٩) .

اما عماد الدين الكاتب القرشي الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) الذي ارخ لتحرير القدس الشريف على يد البطل صلاح الدين الايوبي في كتابه المشهور (الفتح القسي في الفتح القدسي) حيث قال :

«ولولا التأريخ لضاعت مساعي اهل السياسات الفاضلة ، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة ، وتعذر الاعتبار بمسألة الايام وعفويتها ، وجهل ماوراء صعوبة الايام من سهولتها ، وماوراء سهولتها من صعوبتها»(٣٠) .

اما المؤرخ عزالدين بن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) فقدم في مقدمة كتابه «الكامل في التاريخ» فوائد علم التاريخ الدنيوية والاخروية ، وقد اطال الكلام فيها ومما جاء في فوائده الدنيوية :

---

(٢٩) الطبري ، الامم والملوك ، ٨٦/١

(٣٠) عماد الدين الكاتب الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ط القاهرة ١٣٢١ـ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٣ـ١٩٠٤ م ، المقدمة

فمنها ان الانسان لايخفي انه يحب البقاء ، ويؤثر ان يكون من زمرة الاحياء . فياليت شعري ؟ اي فرق بين ماراه امس او سمعه ، وبين ماقرأه في الكتب المتضمنة اخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؟

فاذا طالعها فكأنه عاصرهم ، واذا علمها فكأنه حاضرهم . ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي ، اذا وقفوا على مافيها من سيرة اهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب تتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ، ونظروا الى ماالعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الاموال ، وفساد الاحوال ، استقبحوها واعرضوا عنها واطرحوها .

واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها ، ومايتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم ، وان بلادهم ومالكهم عمرت ، واموالهم درت ، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه ، وثابروا عليه وتركوا ماينافيه .

هذا سوى مايحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك . واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك . ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا .

ومنها مايحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وماتصير اليه عواقبها ، فأنه لايحدث امر الا قد تقدم هو او نظيره ، فيزداد بذلك عقلا ، ويصبح ان يقتدي به اهلا .

ولقد احسن القائل حيث يقول :

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع

فلا نفع مسموع ... اذا لم يك مطبوع

كما لاتنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوع ـ العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للانسان . وبالمسموع ـ مايزداد به العقل الغريزي من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له . والا فهو زيادة في عقله الاول .

ومنها مايتحمل به الانسان في المحالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها ، ونقل طريفة من طرائفها . فتصغي الاسماع منصتة اليه . والوجوه مقبلة عليه . والقلوب متأملة مايورده ويصدره . مستحسنة مايذكره ...(٣١) .

واما الفوائد الاخروية :

فمنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها . ورأى تقلب الدنيا بأهلها ، وتتابع نكباتها الى اعيان قاطنيها . وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم . واعدمت اصاغرهم واكابرهم ، فلم تبق على جليل ولا حقير . ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير ، زهد فيها واعرض عنها . واقبل على التزود للآخرة منها . ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص ، وسلم اهلها من هذه النقائص . ولعل قائلا يقول :

مانرى ناظرا فيها زهد في الدنيا ، واقبل على الاخرة ورغب في درجاتها العليا ، فيالبتي شعري كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز ـ وهو سيد المواعظ وافصح الكلام ـ يطلب به اليسير من هذا الحطام ؟

فأن القلوب مولعة بحب العاجل ..

ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الاخلاق فأن العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ، ولا ملك معظم ، بل ولاأحد من البشر علم انه يصيبه مااصابهم ، وينوبه مانابهم ..(٣٢) .

اما شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) فيقول بصدد فائدة التاريخ وقدوته :

---

(٣١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ـ مط المنيرية ـ القاهرة ـ ١٣٤٨ هـ /١٩٢٩ م ـ ٩/١.

(٣٢) المصدر نفسه ـ ٩/١.

١- ان التاريخ لخدمة الحاضر ومفتاح له :

لو عرف المرء طبيعة التاريخ لادرك جوانب كبيرة الاهمية من فائدته الواقعية . فالتاريخ ليس سردا للماضي ، وليس عودة للوراء . انما هو عمل لخدمة الحاضر وخدمة المستقبل ، وان مهمة المؤرخ ليست ان يعشق الماضي او يتحرر منه ، بل ان يلم به ويستقراه ويفهمه ويحس باعتباره مفتاحا لفهم الحاضر ، اذ ان التاريخ كله تاريخ الحاضر . فلا ينبغي خطأ من دراسة التاريخ غير التعرف على الاطار الذي نعيش فيه ومعرفة اصوله . ولا يتسنى لنا معرفة الحاضر وتفسيره مالم ندرك الماضي بالبحث والدراسة في حقيقة وجوده .

٢- فائدته للفرد :

ان القيمة العملية لدراسة التاريخ خارجة عن موضوع البحث ، فكثير من المواد التي لاتطبق تطبيقا ظاهرا على شؤون الحياة قد تكون لها قيمة تربوية من حيث كونها ترهف الاذهان وتنمي المدارك .

ان مايحصل للانسان من التجارب ، والمعرفة ، والحوادث ، ومايصير اليه من عواقبها يجعله لايحدث له امر الا وقد مر به هو او نظيره ، فيزداد عقلا ويصبح لان يقتدي به اهلا .

٣- فائدته للدول والمجتمعات :

تبرز فائدة التاريخ بالنسبة للدول والمجتمعات واضحة جلية من خلال قول ابن خلدون في هذا الشأن :

ان من اليهم الامر والنهي اذا وقفوا على ماضي وقائع التاريخ من سيرة اهل الجور والعدوان ، ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس فيرونها خلف من سلف .. استقبحوها واعرضوا عنها .

واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها ... استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه(٤٠) .

اما السخاوي فيقول :

ان الحديث عن (ذوي المروءات والاجواد والمتصفين بالوفاء ومحاسن الاخلاق ، والمعروفين بالشجاعة والفروسية)(٤١) ... كانوا لنا اسوة طيبة .

ويضيف فيقول :

فالتاريخ «جم الفوائد كثير النفع لذوي الهمم العالية والقرائح الصافية لما جُبِلَت عليه طباعهم عند سماعهم هذه الاخبار الى التشبه والاقتداء باربابها ليصير لهم نصيب من حسن الثناء وطيب الذكر ...»(٤٢) .

اما المؤرخون المحدثون فقد اهتموا بتوضيح هذه الاتجاهات ، كما اهتموا باضافات لابراز فائدة التاريخ للدول والمجتمعات والامم . من خلال التأكيد على وحدة الامة والربط الواعي الملتزم بين قيم السماء ومبادئ الارض للامة الواحدة .

٤ـ فائدة للسياسة :

عندما قال النويري .. ان التاريخ مما يحتاج اليه الملك والوزير . والقائد والكاتب والمشير(٤٣) فكان يهدف من ذلك الى ان للتاريخ اثره الواضح البين في سياسة الملك والامة .. فهو المعين في تسيير دفة الحكم .

(٤٠) الكامل في التاريخ ـ ٨/١

(٤١) الاعلان بالتوبيخ ـ ص ١٤

(٤٢) المصدر نفسه ـ ص ١٤ . في الاصل جبن والصواب جُبِلَت .

(٤٣) نهاية الأرب في فنون الادب ـ ١/١٣ (النويري . هو شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب ٧٢٣ هـ / ١٣٣٢ م)

وسنتحدث في فصول قادمة عن السياسة كعامل مساعد في الكتابة التاريخية . يقول عبدالرحمن بن محمد بن خلدون في المقدمة ص ١٣ في حاجة المؤرخ الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات .

لذا يعد التاريخ مدرسة السياسة ، وبدون مقدار يسير منه على اقل تقدير لايمكن للمرء ان يعنى عناية معقولة بالشؤون السياسية ، وبدون حظ موفور منه لايمكن ان يصدر حكما معقولا في اي شأن من شؤون الامة .

ان التاريخ دراسة مهمة لكل سياسي ، بل هو الدراسة المهمة الخليقة برجال الحكم والتشريع .

غير ان التاريخ اكبر من ان يكون مجرد مدرسة تعلم فيها الطريقة السياسية ، انه الى جانب ذلك مستودع السوابق السياسية اي انه يعطي الاصول الواقعية لمشاكل الوقت الحاضر نفسه (الزمن الراهن) ، ولايمكن ان يجعل بحيث يعيد نفسه . الا انه مامن حادث يحدث الا وهو يزيد في محيط كل حادث يترتب عليه بمقدار كونه علة في حدوثه .

وليس في وسع انسان ان يلحظ ان علاقاته بأقرانه تجري من حيث تتابع العلل والمعلومات على وتيرة واحدة .

ولكن على الرغم من ذلك فكل انسان يجد عندما يبلغ سن النضج والاكتمال ان تهديه وتحكمه تجاربه التي تعيها ذاكرته ، ومبادئ السلوك التي يستمدها حكمه من التجارب المذكورة . ولذا قيل ان التاريخ هو مبدأ «اعرف نفسك» وبهذا الشعور الذاتي الانساني يمكن للانسان ان يصبح مسيطرا على حاضره ومستقبله(٤٤) .

٥ـ التاريخ وسيلة لتهذيب الاخلاق والتربية :

ان النتيجة العملية لدراسة التاريخ غير البحثية ، هي تلك القيمة التربوية من حيث كونه يرهف الاذهان ويغني المدارك .

---

(٤٤) بتصرف ـ هرنشو ـ علم التاريخ ـ ص ١٥٥ وما بعدها

لذا يُعدُّ التاريخ وسيلة لتهذيب الاخلاق وتربيتها فهو اداة لرياضة العقل قبل عن التقويم والتقدير . وان دراسته دون سواها اصلح الدراسات لتعويد الانسان الفضائل الخاصة والعامة .

وان ثم تماثلا بين حياة الانسان وتاريخ الانسانية ، فالانسان هو العالم الاصغر ، والانسانية هي العالم الاكبر ، ومن ثم يستطيع الانسان عن طريق دراسة التاريخ ان ينفذ الى اسرار شخصيته المحجوبة عنه .

فتربية النشيء هي العمل الاسمى في وظائفنا الانسانية ، ولن تكون تربية النشيء صحيحة وكاملة اذا جهل ماضي سلالته ، او وطنه ، وامته ، وحالة البيئة التي ينتمي اليها ، فالانسان ابن بيئته ، والتقليد الاسري اساس متين لايغني عنه التأديب في اسلوب تربوي مهما بلغ منهاجه من الكمال .

وبهذا المعنى الفيناه عملا حتميا لابد منه لكل امة ، فبدونه لايوجد شعور باستمرار الوجود الانساني عبر الحقب والازمنة .

٦- التاريخ حاصل الممكنات التي تحققت :

من المحتم ان يضيف التاريخ الى الجيل المعاصر خبرة الاجيال الماضية فالتاريخ هو حاصل الممكنات التي تحققت وهذا التحديد يوحي بأن هناك اشياء لم تتحقق على الرغم من معقوليتها ، والمؤرخ يختبر اعمال الانسان ، ويتأمل في سير الحوادث ، فيستطيع توسيع خبرته وتمحيص معرفته بالطبيعة الانسانية ، فالاطلاع على افعال الانسان السابقة يفيد في مسايرة التسلسل الحدثي ، واحداث التاريخ لاتتكرر كما هي ، ولكن التاريخ يكشف خلال تطورات الانسان نواميس (قوانين) وعوامل طويلة المدى يمكن الاستفادة منها في مقابلة حدث بحدث وواقعة بواقعة(٤٥) .

(٤٥) المرجع نفسه

٧- التاريخ والاعمال المجيدة :

ان دراسة التاريخ وفائدته تكمن في تشجيع جيل من الاجيال على الاعمال المجيدة من خلال اشاعة مفاخر الاجداد وآثار الامة .

والامة العربية لها خصوصيتها ، النابعة من حيويتها واصالتها وقدرتها على التجدد المتصل الحلقات ، بدءا من اولى الحضارات القديمة في ارض الرافدين والنيل وغيرهما من ارض العرب التي كانت تشع بالمبادئ والانوار على العالم كله . وصولا الى رسالة العرب الكبرى «الاسلام» وماتمخض من بناء الانسان على مبادئ العدل والتوحيد والتحرير والوحدة ، وانتهاء بثورة العرب المعاصرة حيث لا انفصال او انفصام بين حلقات الزمن الماضي او الحاضر والمستقبل والتي محورها الانسان .. الذي وقف يتحدى الغزاة والمحتلين لارضه ومقدساته ، وهو الذي بنى كل صروح المجد والعلا ، وهاهو اليوم كذلك ينشر مبادئ السماء وقيم الارض بالمحبة والسلام ، ويتحدى الاشرار من اي صوب وفي كل زمان ومكان .

وعليه اتخذ التاريخ وسيلة مهمة لحث الجيل المعاصر على السير نحو تحقيق ماحققه وانجزه الاسلاف من امجاد كبيرة وآثار شاخصة ، وعدل ساد البشرية .

بخلاف هذه النظرة الانسانية والمبدأية نجد ان الدول الاستعمارية قد اتخذت

التاريخ(٤٦) . وسيلة خبيثة لتحقيق مارب واهداف سياسية وثقافية استعمارية

(٤٦) هناك دول ومجتمعات تعمد الى منهج معين للتعبير عن نظريتها الخاصة ، كالدول الاوربية ، والاشتراكية ، والكيان الصهيوني .

فالولايات المتحدة الامريكية . تعتمد (البراجماتية) دليلا للعمل في المجتمع الامريكي ، وفي مؤسساته التعليمية والثقافية .

الدول الاشتراكية . اعتمد الاتحاد السوفيتي ومنظومة الدول الاشتراكية (سابقا) (الماركسية اللينية) مادة مركزية في الجامعات والمعاهد ، ولم يكن الطالب يجاز من تخصصه او يمنح شهادة التخرج الاولية او العليا ، مالم يجتز بنجاح امتحاب مصادر الماركسية الثلاثة ، المادية الفلسفية ، الديالكتيك ، المفهوم المادي للتاريخ ، وتختتم هذه المصادر بتنظيرات لينين واضافاته التفسيرية على الماركسية .

الكيان الصهيوني . تعد مادة (الصراع العربي الاسرائيلي) مادة اساسية في مراحل التعليم كلها في الكيان الصهيوني ، ففي عام ١٩٧٠ م قررت وزارة المعارف ادخال مادة (الصراع العربي الاسرائيلي) موضوعا مفصلا للمدارس الثانوية ضمن اطار موضوع (المدنيات) . وبحلول عام ١٩٨١-١٩٨٢ طبقت ثلاثة مناهج اجبارية في المدارس الثانوية

آ . (الحركة الوطنية اليهودية)

ب . الصراع العربي (الاسرائيلي)

جـ . التاريخ اليهودي الحديث بما في ذلك الكارثة

وقبل هذا . كان يطلب الى المدرس في فرنسا ان يرغب في الجمهورية القومية وينفر من الملكية والدولية ، وفي بروسيا كان يطلب اليه بصراحة أتم ان يشيد بمزايا الملكية ، وان ينبه على خطر الاشتراكية الحديثة . اما في كوينزلند فيطلب اليه ان يؤسس دراسة التاريخ كلها على عقيدة تقديس الملكية العامة .

اما في المانيا . فكان التنغيم لمدرسيها نغمة الجمهورية التعاهدية

اما ايطاليا . فكانت تجعل مبادئ الفاشستية اساس دراسة التاريخ في معاهدها العلمية يراجع .

هرنشو . علم التاريخ . ص ١٦٠-١٦١

. الموسوعة الثقافية . مط دار الشعب . القاهرة . ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م (بالنسبة للمصطلحات السياسية والفكرية) .

. د. عبدالستار عزالدين . دراسة مفهوم الثقافة القومية (مجلة دراسات الاجيال . العدد ٣ ، السنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ١٦ ، نقابة المعلمين العراق) .

. جريدة الدستور الاردنية . العدد ٤١٣٣ في ١٩٧٩/٢/٨ ، ص ٧ ، شؤون الارض المحتلة .

من خلال الغزو الثقافي للبلدان المستعمرة ، في عملية استلاب فكري وثقافي ، سالكة لتحقيق اغراضها الاستعمارية طريقا ذا مسلكين :-

احدهما : اجراء عملية قطع لهذه البلدان المستعمرة عن تاريخها بحيث تنشأ شعوبها كالنباتات الطفيلية بدون جذور فلايعرف اصولها ، ولايعرف شيئا من ماضي اسلافها ، وارثها الحضاري . معتقدين واهمين بأن هؤلاء سوف لايتمسكون بهذا الماضي ، ولايحسون بالارتباط به ؛

ثانيهما : هو ان يدرس المستعمر تاريخه للبلدان والشعوب المستعمرة عن خلال لغته في عملية واحدة تؤدي الى غرضين اساسيين استعماريين :(٤٧)

١- نشر لغة المستعمرين من خلال المدارس والمعاهد والمعاملات الرسمية . وعدم السماح بالتحدث والمخاطبة بلغة البلد المستعمر في عملية مايسمى (الفرنسة) كالتي حصلت حينما في القطر الجزائري من قبل الاستعمار الفرنسي وغيره من اقطار العالم الاخرى .

٢- كان المستعمر يدرس تاريخ فرنسا في المستعمرات الفرنسية ، ويدرس الانجليز في المستعمرات الانجليزية تاريخ انجلترا .

وهم يهدفون من ذلك كما هو معروف الى خلق حالة من الرهبة في نفوس الدارسين ، وتشويه لعقول وافكار ابناء هذه البلدان المستعمرة من خلال الاستلاب الفكري والحضاري .

(٤٧) د. احمد شلبي ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ٤٢،٣٥/١ .

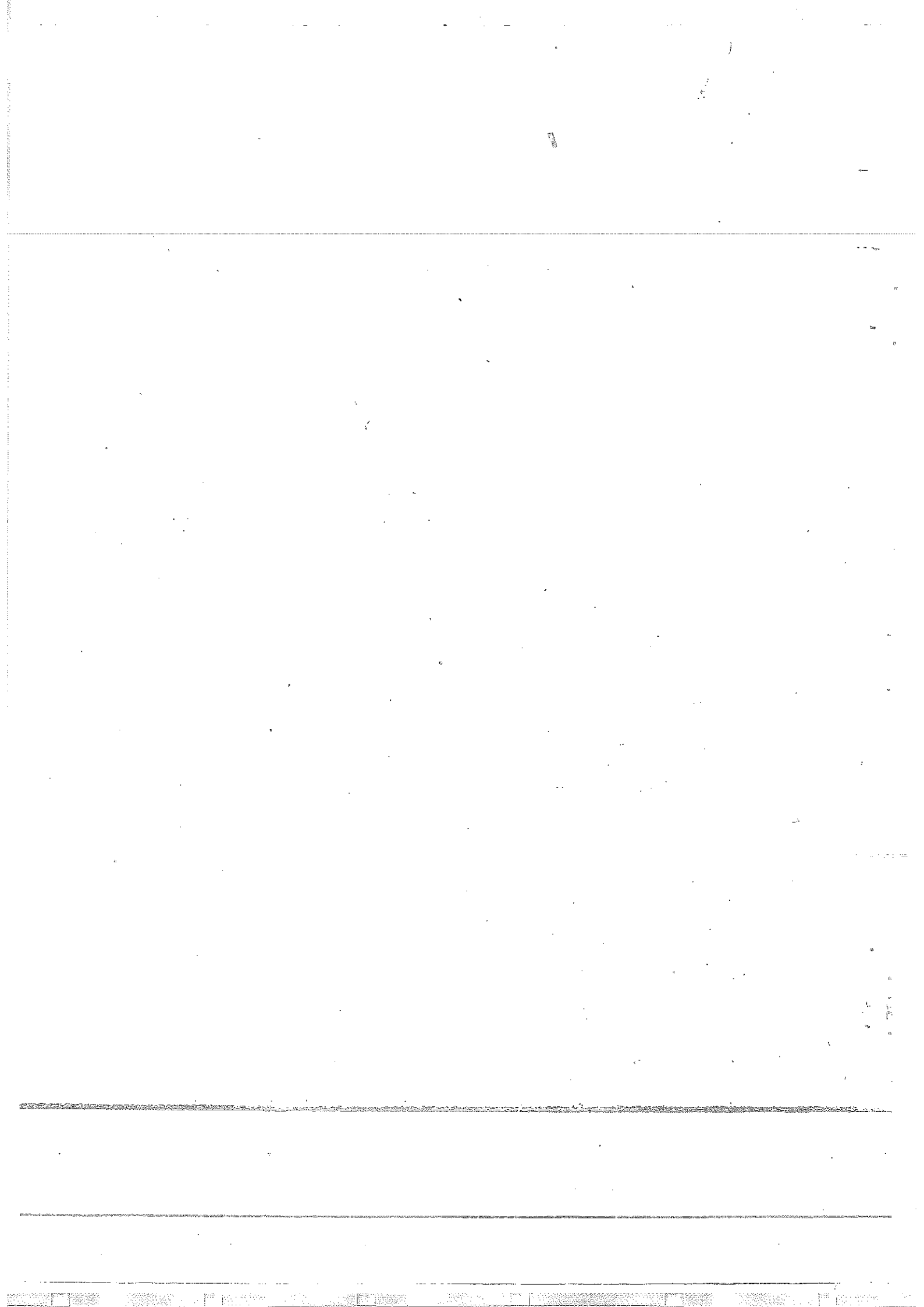

الفصل الثاني

صفات المشروع

صفات المؤرخ :

اذا كان علم التاريخ ضروريا للدراسة الخاصة والعامة ، ولثقافة الشعوب والامم بعامة ، فلابد من بحثه ودرسه وتدوينه ، قبل ان يدرس في المدارس والمعاهد والجامعات ، وقبل ان يقدم للمختصين وللمثقفين على حد سواء .

وينبغي ان يتم ذلك بمنهج علمي واف دقيق ، بقدر مافي طاقة الباحث او المؤرخ من جهد ، وصدق ، وامانة ، وعدل وذكاء ، واحساس ، وبقدر مايتاح له من زمن وامكانيات في بلده ، وفي مواطن البحث في انحاء المعمورة ، على ان يكون هدفه وغايته الحقيقة التاريخية قدر المستطاع .

والملكة الخلاقة القادرة على الابداع هي التي تصل الى هذه الحقيقة ، وقد يوهب اناس هذه الملكة ويحرم منها آخرون(١) .

لذا لايدرس عفوا ولايكتب اعتباطا ، وليس كل من يحاول الكتابة في التاريخ يصبح مؤرخا ، كما يتصور بعض الناس ، او كما يتخيل بعض الكتاب ، حينما يسطرون صفحات طويلة عن حوادث ماضية او معاصرة ، ويعتقدون

---

(١) يقول ابو زكريا النووي : ينبغي ان يعتني بالتصنيف اذا تأهل له ، ويحذر كل الحذر ان يشرع في تصنيف مالم يتأهل له فأن ذلك يضره في دينه وعمله وعرضه .
ينظر : التعريف باداب التأليف ـ المقدمة
البداية والنهاية ـ لابن كثير ـ ١٣/٢٧٨ـ٢٧٩

ويقول الشيخ عزالدين الزركشي : من فروض الكتابة تصنيف الكتب من منحه الله فهما واطلاعا ، منهج البحث الادبي عند العرب ـ النجدي ـ ص ٤٧

بذلك انهم يكتبون تاريخا ، لذا وضع العلماء شروطا للجرح[٢] والتعديل[٣] حين الحديث عن طبقات الرجال وسيرهم وتراجمهم ، وتحرزوا ان يكون الجرح مفضيا الى الغيبة المنهى عنها ، وظلت شروط الجرح والتعديل مستعملة في مصطلح الحديث والطبقات . في حين نجد ان بعض العلماء وضعوا شروطا للمؤرخين ؛ وهي شروط تنطبق ايضا على كتاب السير والتراجم ، وهي فرع مهم من علم التاريخ . وفي هذا اشترط التاج السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم» في المؤرخ شروطا نقلها عنه محمد بن عبدالرحمن السخاوي في كتابه «الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» .

يقول التاج السبكي :

«فلابد ان يكون المؤرخ عالما ، عدلا ، عارفا بحال من يترجمه ، ليس بينه وبينه من الصداقة ماقد يحمله على التعصب له ، ولا من العداوة ماقد يحمله على الغض منه ، وربما كان الباعث له على الغض من قوله مخالفة العقيدة واعتقاداتهم على ضلال فيقع فيهم ، او يقصر في الثناء لذلك ...»[٤] .

ولقد استعان تاج الدين السبكي في حديثه هذا عن شروط المؤرخ بما وضعه

---

(٢) الجرح ـ مصطلح الحديث ، يعني ذكر العيوب الشخصية التي تسلب راوي الحديث صفة العدالة ، مثل توجيه اللعن اليه كالقول بأنه ضعيف الحديث ، او متروك الحديث او ذاهب الحديث او كذاب او ساقط الحديث ، او لايحتج به او مجهول ... او اتيانه بما لايليق بشخصه .

(٣) التعديل ـ مصطلح الحديث ، يعني ذكر المزايا الشخصية التي تجعل راوي الحديث موضع الثقة والتصديق ، مثل الاشتهار بنباهة الذكر واستقامة الامر او حمل العلم والعناية به والقول بأنه ثقة او متقن او حجة او حافظ او ضابط .

ينظر : ابن ابي حاتم (عبدالرحمن بن محمد) كتاب الجرح والتعديل / مط دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ـ ١٣٦٠-١٣٧٣ هـ / ١٩٤١ ـ ١٩٥٣ م .

(٤) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ / ص ٧٣ .

ونخلص من عرض هذه الشروط التي وضعت لتكون صفات في المؤرخ ، الى ان هذه الشروط تنقسم الى قسمين اساسيين هما :

أ) قسم يرجع الى مادة المؤرخ وثقافته ومعارفه .

ب) وقسم يرجع الى اخلاق المؤرخ ونفسيته .

فالمعرفة بحال المترجم ، وحسن العبارة ، والمعرفة بدلالات الالفاظ ومدلولاتها ، وحسن التصور - كل ذلك من الشروط المادية المتصلة بمعارف المؤرخ وثقافته ومادته التاريخية .

والصدق ، وعدم غلبة الهوى في الاحكام ، وسلوك طريق الانصاف والبعد عن التحيز والتعصب - كل ذلك من الشروط الخلقية في المؤرخ .

الا ان ماقيل في شروط المؤرخ في القديم والحديث نجدها لاتخرج عن هذين القسمين .

والصفدي في الوافي بالوفيات خص فصلا سماه «ادب المؤرخ» ذكر فيه الصفات التي يجب ان يتحلى بها المؤرخ حتى يتقن صنعته وهي نفسها صفاته التي تؤهله لكتابة التاريخ(٧) .

اما ثقافة المؤرخ ومعارفه والعلوم والوسائل التي تساعده حتى يكون مؤرخا فتختلف بأختلاف الزمان والمكان وتقدم العلوم .

وقد تعرض المؤرخون العرب المحدثون لشروط المؤرخ ، وهي شروط مؤرخي العرب القدماء ، وقد اخذها الباحثون والمؤرخون المحدثون(٨) من العرب ونقلوها

---

(٧) الوافي بالوفيات - ٤٦/١

(٨) من هؤلاء د. احمد رستم في كتابه «مصطلح التاريخ» مط الامريكية - بيروت ١٣٥٨ هـ / ١٩٧٠ م ، ود. حسن عثمان في كتابه «منهج البحث التاريخي» مط دار المعارف - القاهرة ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٢ م ود. اميل يعقوب - كيف تكتب بحثا - بيروت - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ .

وقد اعتمدهم البحث في هذا الجانب .

الى الفاظ عصرنا وعباراته والتباين هنا في التسمية لا في المدلول فالغاية هنا واحدة .

وعليه ، فلابد من ان تتوفر في المؤرخ الشروط او الصفات الضرورية ، وان تتحقق له الظروف المادية والنفسية التي تجعله قادرا على دراسة التاريخ وتدوينه لأن التاريخ دراية ورواية .

فمن الشروط الواجب توفرها في المؤرخ والتي يشاركه فيها المختصون الاخرون في كل علم من ذكاء ، وعلم ، وثقافة عامة وخاصة ، وتجربة وما الى ذلك ، ومن اخلاص ، وامانة ومالديها ، ومنها مايشاركه فيها غيره في علوم غير علم التاريخ ، ولكنها لديه ذات دلالة مرتبطة باختصاصه وعمله .

ويمكن ان نوجز اهم الشروط الواجب توفرها في المؤرخ بما يأتي :-

١- الرغبة :

الرغبة هي الشرط الاساسي للنجاح في كل عمل ، وهي شرط في البحث ، فاذا فرض البحث على الباحث ، شعر انه كالمضطهد ، وضاق ذرعا بأول صعوبة تعترضه ، وماأصدق المثل القائل :

«تستطيع ان تأخذ الفرس الى النبع ، ولكنك لاتستطيع ان تجبرها على الشرب ...»(٩) .

(٩) مثل انكليزي

فذكر نحو ماذكره في التفسير .

فاجابوه بمثل ذلك .

فقال : إنّا لله اماتت الهمم»(١٢) .

فاختصره في نحو مااختصر التفسير ..»(١٣)

هكذا نرى ان من اهم شروط النجاح في البحث ، رغبة الباحث فيه ، وانسجامه معه ، ولايصح ان يتوسل بها الطالب الذي يؤثر الراحة . فقد يحسب باحث انه غير راغب على التوهم ، اما اذا بدأ وسار قليلا فأنه يكتشف حقيقته فيحس بمتعة البحث .

وفي مرحلة الدراسة الجامعية الاولية ، لابد للطالب من ان يقبل على البحث ويحمل عليه نفسه .

ثم ان قلة الرغبة لاتكون سببا وجيها للانصراف عن البحث : لانه أمر لابد منه ، اما النجاح فيه ودرجة هذا النجاح فذلك مايقدره الاستاذ المشرف ..

٢ـ الصبر :

ان الرغبة في البحث غير وافية للقيام به ، فقد تكون الرغبة الظاهرة نزعة عابرة . فينكص الباحث وهو لما يزل في بداية الطريق ، ولذلك لابد من ان يصحب الرغبة الصبر والصمود والتحدي ازاء المعوقات والمثبطات ، والصبر فضيلة القصور الكبيرة التي تحالف العيش في السفوح ، فتشرئب اعناقها الى القمم الشماء ، والامن صبر ظفر ، ومن لج كفر» ، كما يقول المثل العربي ، وان كان اول الصبر

(١٢) تاريخ بغداد ـ ١٩٣/٢

(١٣) ياقوت الحموي / معجم الادباء ـ ٤٢/١٨ اضيفت هذه الجملة تكملة لما ذكره الخطيب البغدادي وامتكمالا للفائدة .

مرا ، فآخره حلو ، لذلك على الباحث ان يصبر في التفتيش عن مصادر ومراجع بحثه و «ان الله مع الصابرين»(١٤) .

٣ـ المعرفة والثقافة :

اذا كان الصبر عاملا للنجاح ، حتى بالغ البعض في اهميته بقولهم «البحث صبر» فأنه لايكفي للقيام بالبحث اذ لابد للباحث من معرفة العلوم واللغات التي تساعده وتعينه على قراءة وفهم كل مايتعلق ببحثه ، وعلى ماكتب ويكتب ، وتقصي الحقائق والمواد المطلوبة في مجال موضوعه .

فالبحث لايجد في علم واحد ، وانما هو متشابك مع العلوم الاخرى ، يؤثر ويتأثر بها ، فالباحث في علم التاريخ لابد من ان يكون عارفا بالعلوم المتصلة به كاللغة والجغرافية ، والادب وغير ذلك من العلوم الموصلة الى نوع من انواع الحقائق .

وكل ذلك لايتأتى الا بالثقافة الواسعة والمعرفة في مجال البحث .

٤ـ الشك العلمي :

ان الشك العلمي يُعد للباحث والمؤرخ ذا اهمية كبيرة في نقد النص التاريخي ايجابا او سلبا .

وهو طريق الى اليقين ، حيث لايجوز له ان يقبل كل كلام او يصدق كل وثيقة او مصدر بغير التمحيص والاستقراء ، والا يقبل كل مايقدم اليه على انه حقيقة مسلم بها .

٦ يقول ارسطو :

«الجاهل يؤكد ، والعالم يشك ، والعاقل يتروى»

وقالت العرب :

(١٤) سورة البقرة ـ آية ١٥٣

«اقرأ الخبر مرة كما هو ، ومرة على اسوأ ما تراه عليه ، ومرة احسن مما تراه» .

وفي كل وقفة تطيل التأمل مناقشا ماله وماعليه حتى تبلغ ماتقتنع به .. بعيدا عن المبالغة .. فالمبالغة في الشك تجعل الباحث سيء النية ، عدوانيا يخالف المألوف ، ويؤثم غيره دون وجه حق .

قال تعالى :

«ان بعض الظن اثم»(١٥) .

٥ـ الروح العلمية :

ان الشك العلمي جزء من الروح العلمية يقال (سوء الظن من حسن الفطن) والشك العلمي مظهر حضاري لم يصل اليه الانسان الا بعد ان قطع اشواطا من المعرفة وسار طويلا في تاريخ العقل ، والشك ضروري على ان يكون علميا وفي حدود الحقيقة وان يقع في السلب والايجاب وفيا لك وعليك(١٦) . والروح العلمية هذه لاتعني سعة الاطلاع والشك المنهجي والصبر على المصاعب وحسب بل ايضا جملة خصائص منها الانصاف والامانة والنزاهة والموضوعية والقدرة التنظيمية والجرأة(١٧) .

والانصاف يقتضي التجرد من الهوى والحكم بمقتضى الحقيقة بعيدا عن العصبية ويقتضي ايضا احترام الاخرين وان اختلفوا معنا في الرأي(١٨) .

---

(١٥) سورة الحجرات ـ آية ١٢

(١٦) د. علي جواد الطاهر ـ منهج البحث الادبي ، ص ٣٧،٣٨

اميل يعقوب / كيف تكتب بحثا او منهجية البحث ـ ص ٢٥

ينظر : دليل الباحث ، احمد حافظ نجم واخرين ، ص ٢١،٢٤

(١٧) كيف تكتب بحثا ، ص ٢٥

(١٨) منهج البحث الادبي ، ص ٣٨

فالانصاف قرين العدل،والعدل يقتضي ان تتجرد من الهوى وان تنظر وتحكم بمقتضى الحقيقة،وهو شرط في الباحث كما هو شرط في الحاكم ، فليس البحث عملا يقوم على العاطفة يشيع فلان فيها ذمه او يرضي فلان نزوته فيرفع من يريد ويخفض من يريد(١٩) . فعلى الباحث ان يحرر نفسه بقدر المستطاع من الميل والاعجاب والكراهية لعصر خاص او ناحية تاريخية معينة ومن ثم فأن قيمة التاريخ المكتوب تتحدد بناء على بعد الباحث عن التحيز والاهواء ومطابقته للواقع بقدر المستطاع .

والامانة تقتضي الانصاف اولا ونقل آراء الاخرين كما هي دون تشويه اذا لم تعجب الباحث ودون تزويقها اذا وجد فيها دعما لتوجهاته،كما تقتضي عدم سرقة آراء الاخرين وعدم ادعائها بعد التصرف بها قليلا(٢٠) . فالامانة كما يراها علي جواد الطاهر هي شرط في مناقشة آراء الاخرين فلاتجعل المناقشة منافسة ومباراة ومغالبة فتغالط وتلجأ الى الكذب حينا والعبث بالنصوص حينا(٢١) . فالباحث يجب ان يكون امينا شجاعا مخلصا فلايكذب ولاينتحل ولاينافق اصحاب الجاه والسلطان ولايخفي الوقائع والحقائق التي قد يعرفها(٢٢) .

والنزاهة تقتضي ان يكون الباحث نزيها محبا للعلم بعيدا عن المفاخرة به يخدم العلم من اجل العلم لا من اجل الشهرة الباطلة والمجد الزائف والربح المادي(٢٣) . والموضوعية هي بالاضافة الى انها تعني الانصاف والامانة والنزاهة هي تحليل علمي منطقي للامور بعيدا عن الذاتية والتعصب والمغالاة والهوى وهي

---

(١٩) منهج البحث الادبي ، ص ٣٨

(٢٠) د. حسن عثمان ـ منهج البحث التاريخي ، ص ١٩ ، كيف تكتب بحثا ـ ص ٢٥

(٢١) منهج البحث الادبي ـ ص ٣٩

(٢٢) منهج البحث التاريخي ـ ص ١٨

(٢٣) المرجع نفسه

لاتعني نفيا مطلقا للذاتية فهذا غير ممكن بل نفيا لما يدخل في الاهواء والعصبيات والتعنت والتكلف والمبالغات كما تقتضي عدم المكابرة والمباهاة وعدم استخدام عبارات مثل «نؤكد» و «نجزم» بل التواضع واعتبار ماتوصل اليه الباحث يمكن ان يكون وجها من وجوه الحقيقة(٢٤)(٢٥) .

اما القدرة التنظيمية فتساعد الباحث على تبويب اقسام بحثه وابوابه وفصوله تبويبا محكما فتأتي كحلقات السلسلة في تسلسل منطقي لاتكلف فيه(٢٦) .

اما الجرأة فلاتعني الوقاحة في اي وجه من الوجوه بل هي القول عن الباطل انه باطل وعن الحق انه حق دون خوف ودون تملق فليس في البحث صديق او عدو بل حق وحقيقة ، قال تعالى : «لاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون»(٢٧) .

وسئل ارسطو «لماذا تناقض افلاطون في آرائه وهو صديق لك ؟ اجاب ان افلاطون صديق ولكن الحق اولى بالصداقة منه»(٢٨) .

وافضل ماتكون الجرأة عندما تكون اعترافا بالخطأ و «الاعتراف بالخطأ فضيلة» .

ان العرب القدامى اهتموا بصفات الباحث او العالم فقال الامام مالك بن انس في شروط الاخذ عن المتحدث :

---

(٢٤) كيف تكتب بحثا ، ص ٢٦

ينظر : منهج البحث الادبي ، علي جواد الطاهر ، ص ٣٨ و ٣٩

(٢٥) يستحسن استخدام عبارات مثل (الارجح) و (اغلب الظن) و (لعل) و (ربما) و (قد يكون)

(٢٦) كيف تكتب بحثا ، ص ٢٦

(٢٧) سورة البقرة ـ آية ٤٢

(٢٨) كيف تكتب بحثا ، ص ٢٦

«لايؤخذ الحديث من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من كذاب يكذب في احاديث الناس ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لايعرف ماجاءت به»(٢٩) .

(٢٩) كيف تكتب بحثا ، ص ٢٧
ينظر : احمد رستم ، مصطلح التاريخ ، بيروت ، مط الاميركية ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م ص ١٠١،١٠٠ .

الفصل الثالث

نشأة علم التاريخ عند العرب

نشأة علم التاريخ عند العرب

يكوّن علم التاريخ عند العرب جزءا من التطور الثقافي العام[1] . ومع ان هذا العلم ظهر عند العرب في صدر الاسلام الا اننا لانفهم تطور التاريخ بدون ان نفهم تراث ماقبل الاسلام .

ونبدأ في جنوب شبه الجزيرة العربية حيث وجدت كتابات تسجل بعض الفعاليات البشرية مثل اعمال البر والتقوى وتقديم الجزية ، ومشاريع الري والسدود ، وانشاء الاسوار والتحصينات ، التي هي في الاساس تسجيل للفعاليات البشرية وتخليد للاعمال الهامة ، ونجد فيها في البدء طريقة مشوشة لتاريخ الحوادث ، الا ان تقويما ثابتا ادخل فيما بعد يبدأ بسنة ١١٥ ق . م مما ادى الى نظام ثابت للتاريخ ، وهذا التطور مع تسجيل الاعمال البشرية قد يوحي بوجود شيء من الفكرة التاريخية . وبالاضافة الى ذلك فأن الهمداني يشير الى وثائق ملكية وسجلات حميرية حفظت واستفيد منها فيما بعد ، والى وثائق وسجلات للانساب حفظتها بعض العوائل والبطون[2] .

ولابد ان نشير الى الروايات والقصص التي وصلتنا من اليمن وهؤلاء القصاص الاوائل كانوا البداية لرواية الاخبار وان لم يكونوا مؤرخين - ولكن رواياتهم التي تخلو من الفكرة التاريخية يحتمل ان تكون هي فكرة التاريخ الثابت (التقويم) لدى اهل اليمن ولعل هذا له اثره في احداث التاريخ الهجري لدى العرب المسلمين[3] .

وهذا مانجده ايضا في شمال شبه الجزيرة ، فقد كان لدى (المناذرة) كتب تحوي اخبار عرب الحيرة وانسابهم وسير امرائهم ، وكانت هذه محفوظة في كنائس الحيرة ،

---

(١) د. الدوري - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب - ص ١٣

(٢) الهمداني - الاكليل - نشرة نوفكرن - ابسالا ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م ، ٥/١، ٣٠، ٤١

(٣) المرجع السابق - ص ١٤، ١٦

وكانت لدى عرب الشمال روايات شفوية من قصص عن الهتهم وروايات عن شؤونهم الاجتماعية ومآثرهم ومعاركهم (الايام) وحول انسابهم . وان (الايام تجد عناية خاصة لدى القبائل التي كانت لديها قصص واخبار عن اعمالها ، وكانت الرواية هذه تتناول شفهيا وبصورة نثرية ، ولكن الشعر يلعب دورا اساسيا في الرواية الشفهية ، يتخلل القصة او يرد في نهايتها حسب دور الشاعر اذا شارك في الحوادث ام لم يشارك . وهنا الشعر لايسير بالقصة ولكنه يعطيها حيوية وتأثيرا ، وبمرور الزمن اصبح الوثيقة التي تعزز صحة القصة . يقول ابن فارس : «الشعر ديوان العرب . به حفظت الانساب وعرضت المآثر ومنه تعلمت اللغة ...»(٤) .

وفي هذا مايدل على اصالة علم التاريخ .

والتأريخ لفظ عربي اصيل ـ كما وضح ذلك سلفا ـ وكان العرب قبل الإسلام يؤقتون بالنجوم والأهلة ويحسبون الشهور ويكبسونها الحاقا للسنة القمرية بالسنة الشمسية ... وكانوا يدونون التاريخ على الليالي دون الايام وكانوا يؤرخون من الحوادث العظام والوقائع المشهورة كعام الفيل وبناء الكعبة ونحوهما ، فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب (رض) أمر الناس فأرخوا من عام الهجرة ومضى الامر على ذلك حتى يومنا هذا(٥) .

فالتاريخ ليس علما للواقع بل معرفة يخبر عن الواقع ، فكتابة التاريخ اخبار واعلام عن الحادثات الماضية(٦) فهو «ذكر الاخبار الخاصة بعصر اوجيل» حسب

---

(٤) التبريزي ـ شرح الحماسة ٣/١

السيوطي ـ المزهر في علوم اللغة ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة (بلا) ٤٧٠/٢ .

(٥) هرنشو ـ علم التاريخ ، ط ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م ، ص ٥١ـ٥٢

(٦) عزيز العظمة ـ الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية ، ط ١ـ بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٢ م ص

١٢

التعريف الذائع لابن خلدون[٧] اذ هو «علم من الـ[illegible] التي تتناول الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم ونسابهم ودياناتهم»[٩] .

وباختصار فالتاريخ «فن يبحث فيه عن وقائع الزمان»[١٠] ، فهو اي التاريخ العام اي تسجيل اهم حوادث الامم بحسب الحوليات اي تدوين الحـ[illegible] عاما فعاما ، وبمعنى الاخبار مرتبة بحسب العصور ، وثانيا بمعنى تحديد الاخبار الخاصة بعصر من العصور ، وبمعنى حساب الزمان وحصرها ، تحديد زمن وقوع الحوادث تحديدا دقيقا[١١] .

فالتاريخ خبر كما ان القرآن والحديث والشعر خبر . الفرق بين التاريخ والاخرى لسياقة الاخبار - من كتب في الخراج والحديث والفقه والادب والتـ[illegible] هو في انحصار الاخبار التاريخي في ذكر الملوك والرسل والصحابة وتواريخ ووفاتهم[١٢] . تعيينا بالزمان وتحديدا بالتاريخ من اجل «ضبط الحـ[illegible] بتاليها[١٣] .

فالتاريخ ليس اخبارا «بحتا» بل هو «تعيين الوقت» لحادث من الحوادث تأريخ شيء بالنسبة لشيء حدث قبله ضمن اطار تقويم ما[١٤] .

---

(٧) المقدمة - ٥٠/١ ، بيروت ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م

(٨) المسعودي - مروج الذهب ، بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ، ص ١٣٥

(٩) حاجي خليفة - كشف الظنون ، ليبزك ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م ، ٢/ ص ٩٥

(١٠) السخاوي - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دمشق ١١٠٩ هـ / ١٩٣٠ م ، ص ٧

(١١) كب - علم التاريخ ، ط ١ ، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٥-١٦

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مصحا دار المعارف - ا[illegible] ١٣٨٧-١٣٨٩ هـ /١٩٦٧-١٩٦٩ م ، ٦/١-٧

(١٣) المقريزي - الخطط ، ط بولاق ، القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م ، ٢٥٠/١

(١٤) حاجي خليفة - كشف الظنون ، ٩٥/٢

وعلى كل حال فالتاريخ علم وان كان لايدخل في مضمار العلوم التجريبية فهو علم بحث وتمحيص،بحث وراء الحقيقة وتمحيص لها . ولفظ التاريخ حتى في معناه العلمي المجرد قد لايعني شيئا على الاطلاق الا ان يكون بحثا او طريقة للبحث، وليس له موضوع مالم يقترن بصفة تميزه،كالتاريخ السياسي ونعني به تاريخ دولة من الدول ، او التاريخ الاجتماعي ونعني به تطور امة من الامم في حياتها ، وتاريخ الحضارة ونعني به تقدم الحياة الانسانية ، وتاريخ الفن ، وتاريخ الاديان ، وهكذا الى كل مايندرج على اية ناحية من نواحي الحياة الانسانية او النشاط البشري على الارض(١٥) .

التاريخ تاريخ دول وملك،فابن العبري يقدم لقارئه تاريخا للعالم منذ الخليقة «مرتب على عشر دول داولها الله بين الامم فتداولتها تداولا بعد تداول» اذ الدولة تنتقل من شعب الى اخر : الاولياء من آدم الى موسى ثم الدولة المنتقلة من الاولياء الى قضاة بني (اسرائيل) ثم المنتقلة الى ملوك بني (اسرائيل) ثم الى ملوك الكلدانيين فالمجوس فاليونان الوثنيين فالافرنج (الرومان) فالبيزنطيين،حتى انتقالها الى ملوك العرب المسلمين ومن ثم الى ملوك المغول،معاصري المؤلف،بالانتقال ليس فقط انتقالا للملك من سلالة جنسية معينة الى اخرى تنتمي الى امة اخرى بل ان انتقال الملك يعني ايضا خروج الشعب ذي الملك الغابر من التاريخ الى مجال اللاتاريخية(١٦) . فالدولة كسلسلة والملوك كأفراد هذه السلسلة،هما اذن كالزمان ومضامينه نقاط المرجعية في سياقة الاخبار،فدونها ليس ثمة انتظام للاخبار عن الاحداث الماضية من الوجهة الموضوعية او من تلك البنائية،ولذا فأن سلسلة الملوك وهي الدولة،هي الاطار الذي تتوضح فيه ليس فقط الاحداث الفردية،ولكن

(١٥) حسين فوزي النجار ، التاريخ والسير ، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ص ١٣-١٤

(١٦) عزيز العظمة ـ الكتابة التاريخية ، ص ٧٨

مقاطع وبرهان هذه الاستمرارية بما هي مقاطع من الزمان ومقاطع من تلك العقدة (الملك) التي تؤسس المادة التاريخية(١٧) .

ولما جاء الاسلام وقامت الدولة العربية ومست الحاجة الى معرفة سيرة الرسول العربي (ﷺ) واحواله واستقصاء للسنة توفر رجال على جمع اخبار السيرة وتدوينها فكان ذلك بدء اشتغال العرب في الاسلام بالتاريخ . على ان التاريخ لم يخرج يومئذ عن كونه نوعا من انواع الحديث واقدم من كتب في السيرة عروة ابن الزبير بن العوام المتوفى عام ٩٣ هـ / ٧١١ م وابان بن عثمان بن عفان المتوفى عام ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م ووهب بن منبه المتوفى حوالي عام ١١٠ هـ /٧٢٨ م . ثم انتهى علم السيرة والمغازي الى رجلين من الموالي هما محمد بن اسحق المتوفى عام ١٥٢ هـ /٧٦٩ م وقد اختصر سيرته ابن هشام المتوفى عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م ومختصره هذا هو الذي بأيدي الناس اليوم،ثم محمد بن عمر الواقدي المتوفى عام ٢٠٧ هـ /٨٢٢ م(١٨) .

تم التحرير والفتوح العربية ووقعت الفتن ونبض عرق العصبية القبلية وشاعت بين المسلمين اخبار الامم القديمة والديانات غير الاسلامية على ايدي رجال مثل كعب الاحبار المتوفى عام ٣٤ هـ /٦٥٤ م،وعبيد بن شرية المتوفى حوالي عام ٧٠ هـ / ٦٨٩ م ووهب بن منبه المتوفى حوالي عام ١١٠ هـ /٧٢٨ م فتوافرت اسباب شتى اقتضت جمع الاخبار المتصلة بكل ذلك وتدوينها ، فتدوين اخبار القدماء مثلا دعت اليه جملة دواع منها رغبة العلماء في فهم اشارات الى الامم الغابرة وردت في الكتاب والسنة،ومنها ميل بعض الخلفاء كمعاوية والمنصور الى الاطلاع على سياسات الملوك ومكائدهم ، هذا فضلا عن حرص الموالي على التنويه بمجد بلادهم القديم.ثم ان تدوين الانساب وايام العرب كان مطاوعة لحاجة الشعراء

(١٧) م . ن ، ص ٨٤-٨٥

(١٨) هرنشو - علم التاريخ ، ص ٥٣-٥٤

اليها عامة في مقام الفخر والهجاء ، وحاجة الدولة للانساب خاصة للاستعانة بها في تقدير العطاء للجند . وكان الباعث الاقوى على تدوين اخبار الفتوح رغبة ولاة الامور في معرفة مافتح من البلدان صلحا،ومافتح عنوة،ومافتح بعهد،لان لكل حكما خاصا من حيث الخراج والجزية(١٩) .

فلما دون ذلك كله وجد الى جانب السيرة نوع اخر من الرواية التاريخية موضوعة اخبار الماضين واحوال الجاهلية وحوادث الاسلام.وقد اطلقوا على ذلك كله لفظ «الاخبار» وعلى المتخصص في روايته «الاخباري» كما عرف المتخصص في رواية الحديث «بالمحدث».ونلحظ النقلة من الحديث الى الاخبار في رجال خواص منهم ابن اسحاق والواقدي والمدائني المتوفى عام ٢٢٥ هـ / ٨٦٨ م فكل كان محدثا واخباريا معا(٢٠) . والمدائني يظهر عليه اثر الاسناد اقوى نتيجة للتطورات الثقافية ويظهر عنده الاتجاه نحو جمع اوسع وتنظيم اوفى للروايات التاريخية . واتبع منهج المحدثين.في نقد الروايات فصار يتبع اكثر من اسلافه(٢١) .

كما نلحظ بداية التخصص في الاخبار في مثل محمد بن السائب الكلبي المتوفى عام ١٤٦ هـ /٧٦٣ م،وعوانه بن الحكم المتوفى ١٤٧ هـ /٧٦٤ م وقد جمع اخبار بني امية،وابي مخنف المتوفى عام ١٥٧ هـ /٧٧٣ م وله كتب في الردة ووقعة الجمل ووقعة صفين واخبار الخوارج ، وسيف بن عمر المتوفى عام ١٧٠ هـ /٧٨٦ م وله كتاب كبير في الفتوح ، وهشام بن محمد السائب الكلبي المتوفى عام ٢٠٤ هـ /٨١٩ م وله من اخبار الاوائل وايام العرب وانسابهم واخبار الاسلام كتب كثيرة احصاها ابن النديم في كتاب الفهرست وقد طبع منها حديثا «كتاب الاصنام» .

---

(١٩) هرتشو ، ص ٥٤-٥٥

(٢٠) م . ن ، ص ٥٥-٥٦

(٢١) د. عبدالرحمن حسين العزاوي ، المنهجية التاريخية في العراق ، دار الشؤون الثقافية ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٨-١٩

وفي تلك المرحلة وجد نوع من التخصص المحلي في رواية الاخبار فكان لكل قطر من الاقطار العربية الاسلامية الهامة اخباريون اختصوا بجمع اخباره وتدوينها(٢٢) .

قال ابن النديم : «قالت العلماء ، ابو مخنف بأمر العراق واخبارها وفتوحها يزيد على غيره ، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس . والواقدي بأمر الحجاز والسيرة ، وقد اشتركوا في فتوح الشام»(٢٣) .

على ان المحدث كان عند جمهور ذلك الزمان اشرف موضوعا واسمى منزلة من الاخباري ويرجع ذلك الى شرف موضوع الحديث من جهة والى ان الاخبار وخصوصا قديمها كانت مظنة الاغراب والتلفيق والاختلاق من جهة اخرى(٢٤) .

ان التشابه بين طريقة اهل الحديث وطريقة اهل الاخبار والتاريخ في الرواية دفع جماعة من المستشرقين امثال وستنفلد وهوروفتس اللذين عنيا بكيفية نشوء علم التاريخ عند العرب الى القول :

«ان التاريخ وليد علم الحديث» ودفع جماعة اخرين الى ان يقولوا :

«ان التاريخ وليد علم السيرة والمغازي» . وقد ظهرت كتب السيرة والمغازي بعد كتب الحديث وهي باب من ابواب الحديث ولذلك كان علم التاريخ وليد علم الحديث(٢٥) .

وجملة القول ان اهل السيرة والاخبار قد رسموا في اواخر القرن الثاني الهجري الابواب الاساسية للتاريخ عند العرب وهي لاتعدو امورا اربعة : (١) اخبار الماضين (٢) احوال العرب قبل الاسلام (٣) السيرة (٤) اخبار الدولة العربية الاسلامية .

---

(٢٢) هرتشو - ص ٥٦

(٢٣) الفهرست - ص ١٣٧

(٢٤) هرتشو - ص ٥٧

(٢٥) د. الدوري - ص ١٦-١٧

ومن اوائل القرن الثالث الى اوائل القرن الرابع الهجري يلحظ الباحث زيادة جوهرية في المادة التاريخية ودقة وتحريرا في مصادرها . فقد استقرت دواوين الدولة العباسية وتمهدت قواعدها ولاسيما دواوين الانشاء والجند والخراج والبريد . وامكن المشتغلين بالتاريخ ان ينتفعوا بها في صناعتهم كما يؤخذ مما اشتملت عليه تواريخ القرن الثالث من عهود رسمية ومراسلات سياسية واحصاءات للمواليد والوفيات ومدد ولاية كبار الدولة من وزراء وقواد وعمال وقضاة وولاة لمواسم الحج ووصف الحروب الداخلية ووقائع الغزو على الحدود صيفا وشتاء وغير ذلك(٢٦) .

وفي هذا العصر قويت حركة النقل عن اللغات الاجنبية كالفارسية والسريانية واليونانية واللاتينية ، وقد بدأت هذه الحركة من حيث التاريخ بترجمة ابن المقفع عن الفارسية حوالي عام ١٤٠ هـ /٧٥٧ م كتبا تاريخية ، كما ان سهولة التنقل بين انحاء الدولة الاسلامية حملت كثيرا من طلاب العلم والمؤرخين خاصة على الرحلة في طلب الرواية واخذها عن الشيوخ ، فوجد بذلك مصدر هام للمادة التاريخية هو المشافهة والمشاهدة وقد حدد مؤرخو القرن الثالث مصادر التاريخ عند العرب بصفة عامة الى اربعة اشياء : (١) كتب السيرة والاخبار (٢) السجلات الرسمية (٣) الكتب المنقولة عن اللغات الاجنبية (٤) المشاهدة والمشافهة(٢٧) .

ان بداية التأليف التاريخي بمعناه الاعم اي التوفيق بين المواد المستمدة من السيرة والرسائل ومصادر اخرى بغية ادماجها في رواية تاريخية متماسكة ، انما ترجع الى منتصف القرن الثالث واقدم مؤلف سار على هذا النهج القديم هو احمد

(٢٦) هرنشو ، ص ٥٨

(٢٧) م . ن ، ص ٥٩-٦٠

بن يحيى البلاذري المتوفى عام ٢٧٩ هـ /٨٩٢ م صاحب كتابي فتوح البلدان وانساب الاشراف(٢٨) .

ويعد البلاذري مؤرخا جامعا فكان منهجه في التاريخ وكتابته هو انتقاء المادة بعد التمحيص والنقد واعطاء صورة متزنة للحوادث مع تجنب ايراد روايات متعددة حول الحادث وقد استفاد من الروايات المحلية وروايات المدينة ومنهجه ايضا الجمع بين اساليب كتابة كتب الطبقات وكتب الاخبار وكتب الانساب(٢٩) . على ان اسلوب التأليف الذي تميز به ذلك العصر هو تاريخ العالم الذي يبدأ بالخليقة ويلخص تاريخ العالم من ايجاز او اسهاب جاعلا هذا الملخص مقدمة للتاريخ العربي والاسلامي ذاته(٣٠) .

وبتعاظم المادة التاريخية وتحرر مصادرها بالقياس الى ماكانت عليه الحال من قبل،لم يرَ كثير من افاضل العلماء وثقات الفقهاء بأسا بالتوفر على دراسة التاريخ والتأليف فيه ، ومن ثم اخذ التاريخ مظهره الرائع كعلم من اجلّ علوم العرب والمسلمين واكبرها شأنا،واخذ المؤرخون مكانتهم بين علماء الدولة العربية الاسلامية كرجال لهم خطرهم في الحياة العامة السياسية والعقلية والادبية،وتضاءل مدلول لفظ الاخباري حتى اصبح يقال لمن يروي الحكايات والقصص والنوادر «الاخباري». فكان الاخباريون الرواد الاوائل للكتابة التاريخية المنظمة وقد كتبوا الكثير ولكن اغلب مؤلفاتهم فقدت ولم يصلنا الا القليل ويعود الفضل في حفظ اكثرها الى المؤرخين الكبار الذين ضمنوها كتبهم . ويبدو مما وصلنا من كتاباتهم انهم لم يكتبوا اعتباطا وانما مرت كتاباتهم بمراحل بدأت بالكلام عن القبيلة ونسبها ومآثرها ثم تلتها الى الاهتمام بأخبار المناطق المجاورة لسكن القبيلة ثم تطورت هذه

(٢٨) كب ، علم التاريخ ، ص ٦٦

(٢٩) د. العزاوي ، ص ١٩-٢٠

(٣٠) كب ، ص ٦٧

النظرة المحدودة الى نظرة عامة شاملة لتاريخ الامة الواحد(٣١) . ومن مؤرخي القرن الثالث ايضا اضافة الى البلاذري ، ابن قتيبة صاحب كتاب المعارف وقد توفي عام ٢٧٠ هـ /٨٨٣ م(٣٢) وتتميز مادته التاريخية بالحياد وبالتأكيد على الحقائق بعد نقد مصادره،مع انه يورد الآراء السائدة احيانا(٣٣) .

واليعقوبي صاحب التاريخ المعروف والمتوفى عام ٢٨٤ هـ /٨٩٧ م فهو مؤرخ من طبقة الكتاب يجمع بين الثقافة والخبرة العملية في الادارة وقد سار على منهج دراسة التاريخ العربي الاسلامي بحسب توالي الخلفاء الا انه مع ذلك زاعى منهج تسلسل الحوادث على السنين (المنهج الحولي)(٣٤) .

ومن مؤرخي القرن الثالث ايضا ابو حنيفة الدينوري صاحب الاخبار الطوال والمتوفى عام ٢٩٠ هـ /٩٠٢ م وقد راعى التسلسل التاريخي في كتابه الا انه يركز على بعض الحوادث ويتناولها بشيء من التفصيل ومنهجه في كتابة الاخبار الطوال لايظهر كثيرا من النقد ولايبدي اهتماما بالسند اذ انه اراد ان يعطي خلاصة مأخوذة من مصنفات اخرى(٣٥) .

كذلك ابن جرير الطبري صاحب تاريخ الامم والملوك والمتوفى عام ٣١٠ هـ /٩٢٢ م ومنهجه في نقد الروايات يتجه الى الاسناد في حين ان مصادره مؤرخون لهم منزلة موثوقة في حقولهم ، او في الموضوعات التي كتبوا فيها ، وقد عرض الروايات التاريخية المختلفة ببراعة عرضا نزيها ناسبا كل رواية الى صاحبها تاركا

---

(٣١) د. الدوري ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ٣٣-٤٨ روزنثال ـ علم التاريخ عند العرب ـ تعريب د . صالح احمد العلي ، مراجعة الاستاذ محمد توفيق حسين ، مكتبة المثنى ـ بغداد ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ، ص ٩٥

(٣٢) هرنشو ، ص ٦٠-٦١

(٣٣) د. العزاوي ، ص ٣٣

(٣٤) م . ن ، ص ٣١-٣٢

(٣٥) م . ن ، ص ٣٣

امر التعليق عليها الى القارئ يحكم لها او عليها بما يشاء بعد ان حقق في روايتها عنصر الامانة والصحة والتثبت ونقلها عمن يوثق بهم من الرواة والمؤرخين(٣٦) .

وما ان تداعت الدولة العباسية واستحالت الى دويلات متعددة يحكمها متغلبون مختلفو الاجناس من مشارق الدولة ومغاربها وجرت اللامركزية السياسية الى لامركزية ادبية حتى توزعت الثقافة الاسلامية على الامصار بعد ان كادت تكون مجموعة في حاضرة الخلافة وحدها ونافست بغداد قرطبة والقيروان والقاهرة وحلب واصفهان وغزنة والري وبلخ وغيرها ، وكثر العلماء في الامصار كثرة وعظمة. كل ذلك اثر في كتابة التاريخ عند العرب تأثيرا كبيرا يتضح في كثرة ماظهر ابتداءا من منتصف القرن الثالث من التواريخ المحلية وكتب التراجم والطبقات خاصة ، من ذلك تاريخ فتوح مصر والمغرب لابن عبدالحكم المتوفى عام ٢٥٧ هـ /٨٧٠ م، وكتاب ولاة مصر وقضاتها للكندي المتوفى عام ٣٥٠ هـ /٩٦١ م ، وتاريخ بغداد واعلامها للخطيب البغداد المتوفى عام ٤٦٣ هـ /١٠٧٠ م،وتاريخ دمشق واعلامها لابن عساكر المتوفى عام ٥٧١ هـ /١١٧٥ م . والبيان المُغرب في اخبار المَغرب لابن عذارى (القرن السابع)،ومعجم الادباء لياقوت الحموي ٦٢٦ هـ /١١٢٨ م ووفيات الاعيان لابن خلكان ٦٨١ هـ / ١٢٨٣ م،وكتابا الخطط والسلوك للمقريزي ٨٤٥ هـ /١٤٤١ م(٣٧) ، والى جانب ذلك ظلت سلسلة التواريخ العامة مطردة من حيث انتهى الطبري.فوضع المسعودي المتوفى عام ٣٤٦ هـ /٩٥٧ م كتابيه مروج الذهب،واخبار الزمان ، وصنف مسكويه ٤٢١ هـ /١٠٣٠ م تجارب الامم،وابن الاثير ٦٣٠ هـ /١٢٣٢ م كتابة الكامل ، وابو الفدا ٧٣٢ هـ /١٣٣١ م كتابه المختصر

(٣٦) م . ن ، ص ٢٣-٢٥

ينظر : الطبري ومنهجه في التاريخ ، د. عبدالرحمن حسين العزاوي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ـ جامعة بغداد ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٩٠-٢٠٠ ، ص ٢٤٦-٢٥٧ .

(٣٧) هرتشو ، ص ٦٢ ، ينظر : كب ؛ ص ٧٣ ، ٨٣-٨٤

في اخبار البشر ، وابن خلدون ٨٠٨ هـ /١٤٠٥ م تاريخه الكبير المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر(٣٨) .

ونتيجة لهذه التطورات ظهرت انماط او مناهج متعددة للكتابة التاريخية غير الكتابة بمنهج الحوليات(٣٩) ، ومنهج الموضوعات(٤٠) مثل :

١ـ تاريخ الدول .

٢ـ التقسيم حسب الطبقات ، اي بمعنى الكلام عن اناس يرجعون الى طبقة او صنف في تعاقب زمني للاجيال .

٣ـ الترتيب حسب الانساب .

٤ـ التراجم

٥ـ تواريخ العالم

٦ـ التواريخ المحلية(٤١) .

وتلا التفوق السياسي وهن القوة الذاتية للعالم العربي والاسلامي فظهر فيه اعداؤه من وراء الحدود واجترؤا عليه واستباحوا حماه وبدت مقدمات ذلك في استئساد الروم وانتقاصهم شمالي الشام في القرن الرابع الهجري،ثم اغار الفرنج في القرنين الخامس والسادس الهجريين على ملك العرب المسلمين بالمغرب والمشرق ، ولم تكد تلك الغمة تنجلي عن مشرق الوطن العربي والاسلامي حتى كان غزو

---

(٣٨) هرنشو ، ص ٦٣

(٣٩) المنهج الحولي ويسمى المنهج العمودي ، هو تدوين الاحداث التاريخية سنة فسنة اي الكتابة التاريخية بحسب السنين ، وسنتحدث عن ذلك بشيء من التفصيل لاحقا .
ينظر : د. عبدالرحمن حسين الفزاوي ـ الطبري السيرة والتاريخ ـ مط دار الشؤون الثقافية ـ بغداد ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ١٨٩ ومابعدها .

(٤٠) المنهج الموضوعي ويسمى المنهج الافقي ـ وهو تدوين الاحداث التاريخية حسب الموضوعات اما للدول او لعهود الخلفاء والحكام ، وغير ذلك . ينظر : المرجع نفسه .

(٤١) رزونثال ـ علم التاريخ عند العرب ، ص ١٢٣ ، ١٨٣

التتار فاحتلال دار الخلافة العباسية ودمرت المعالم الحضارية للدولة العربية الاسلامية ، في اثناء ذلك كانت مدن الاندلس وكورها تتهاوى الواحدة تلو الاخرى في ايدي الاسبان حتى انحصر ملك العرب المسلمين بذلك القطر في رقعة ضيقة من الارض هي غرناطة واحوازها ، وبذلك دخل العالم العربي الاسلامي كله في حوار جديد من تاريخه يختلف عن الطور السابق اختلافا بعيدا(٤٢) . فكان طبيعيا ان ينحو المؤرخ العربي في التاريخ تلقاء ذلك كله منحى فلسفيا عميقا فيتعرف على الحوادث واسباب قيام الدول وعلل سقوطها ومظاهر العمران واصول الاجتماع ونحو ذلك ، وهذا ماصنفه فيلسوف مؤرخي العرب قاطبة عبدالرحمن بن خلدون المتوفى عام ٨٠٨ هـ /١٤٠٥ م في مقدمة تاريخه التي لم يكتب مثلها في الاسلام على الاطلاق(٤٣) .

نرى مما تقدم انه فيما بين الرواية الشفوية القديمة وفلسفة التاريخ لابن خلدون ، وتاريخ التاريخ للسخاوي قد نما التاريخ عند العرب وتفرع وازهر واثمر .

هذا مجمل حال التاريخ عند العرب نشوءا واكتمالا ، اما من حيث الطريقة العلمية التي اتبعوها فالتاريخ ابتدأ عندهم نوعا من علم الحديث فكان حريا ان يتأثر بطريقة المحدثين في جمع الرواية التاريخية ونقدها فكان اهل السيرة والمغازي والاخبار يجمعون مأثور الروايات ويدونونها مع اسنادها الى مصدرها الاصلي وهو عادة شخص عدل عندهم ، له علم مباشر بالواقعة المروية كأن يكون عاينها او اشترك فيها كما كانت الحال في رواية اخبار السيرة والاسلام فكان النقد عندهم ، او الجرح والتعديل كما كانوا يسمونه ذاتيا منصبا على الرواة لا موضوعيا منصبا على المرويات . هذه الطريقة ضمنت لهم الى حد بعيد صحة الاخبار

(٤٢) هرلشو ، ص ٦٤

(٤٤) م . ن

(٤٥) م . ف . ص ٦٥-٦٦

المتصلة بالقسم التأريخي من السيرة وحوادث الدولة العربية الاسلامية ولكنها عجزت عن ان تضمن لهم ذلك في اخبار القدماء(٤٥) .

واذا كان الاسناد عندهم اساس نقد الاخبار فقد كان اساس ضبطها هو التوقيت الدقيق لها بالسنين والشهور والايام وهو ضابط انفردوا به عن نظرائهم عند اليونان والرومان واوربا في العصور الوسطى . وقد اتبعوا طريقة علماء الحديث كذلك في تدارس كتب التاريخ وتلقيها عن مؤلفيها بالسند المتصل قراءة وسماعا واجازة(٤٦) .

تلك طريقتهم او منهجهم في جمع الرواية التاريخية ونقدها وضبطها ، اما عرضهم لها فأصحاب السيرة والمغازي والاخباريون الاوائل كانوا يجمعون الروايات ويرتبونها بحسب موضوعاتها رسائل او كتبا تشبه ابواب الحديث .

ثم جاء المؤرخون فسلكوا في عرض الحوادث طريقتين او منهجين اولاهما واقدمهما الترتيب على السنين بعد مقدمة في التاريخ القديم يبدؤها عادة بذكر الطوفان او الخليقة ونسبها ، ويظهر ان اول من صنف على هذا النمط الهيثم بن عدي المتوفى عام ٢٠٧ هـ /٨٢٢ م(٤٧) ثم اتبعها من بعده خليفة بن خياط والطبري ومسكويه وابن الاثير وابو الفداء . والاخرى بحسب الموضوعات في سوق الحوادث مساق القصة المنسوقة المرتبة على العهود وقد جرى عليها اليعقوبي والدينوري والمسعودي وغيرهم . ويتصل بعرض الحوادث اسلوب ادائها وتصويرها : اما الاسلوب فكان على وجه العموم عربيا سهلا مبينا ، واما التصوير فكان فيه وضوح وقوة وحياة كما في اخبار العقود الاولى من تاريخ الطبري وفي بعض فصول مسكويه والصولي .

---

(٤٥) م . ن ، ص ٦٦-٦٨

(٤٦) الفهرست ، ص ١٤٦

ويمكن تلخيص اوجه النقص في منهجهم في امور ثلاثة :

١ـ ضعف ملكة النقد عند البعض منهم

٢ـ ادارتهم التاريخ العام على الافراد والحروب والسياسة في ابسط صورها .

٣ـ عدم عنايتهم بالشؤون العامة للجماعات وتعليل الحوادث والنفاذ الى اسرارها(٤٨) .

على انه مهما قيل في قصور منهجهم من الناحية العلمية فحسبهم انهم خلفوا للمؤرخ الحديث ثروة تاريخية طائلة يستطيع ان يتدارك في صياغتها مافاتهم وان العلم الحديث يسجل لهم انهم :

١ـ اول من ضبط الحوادث بالاسناد والتوقيت الكامل .

٢ـ انهم مدوا حدود البحث التاريخي ونوعوا التأليف فيه واكثروه الى درجة لم يلحق بهم فيا تقدمهم او عاصرهم من مؤرخي الامم الاخرى .

٣ـ انهم اول من كتب في فلسفة التاريخ والاجتماع وتاريخ التاريخ .

٤ـ انهم حرصوا على العمل جهد طاقتهم بأول واجب المؤرخ واخره وهو الصدق في القول والنزاهة في الحكم .

---

(٤٨) هرنشو ، ص ٦٨-٦٩

وهذا لايعني ان الكتاب الجيد هو ماكانت معلوماته جميعا صحيحة ، او ان المعايير تنطبق عليها جميعا بشكل متساو . وقد يحوي كتاب ردئ على معلومة مهمة معينة لاوجود لها في كتاب قيم(١) .

ورغم غنى مصادر دراسة التاريخ العربي الاسلامي ، الا انها تفتقر الى حد كبير الى الوثائق الحية ، على حين ان دراسة التاريخ الحديث غنية بالوثائق . وقد طور المسلمون الكتابة التاريخية الى درجة رفيعة من السمو والفنى ، كما اهتموا بكل حقل من حقول المعرفة يومئذ ، بشكل لم يسبق له مثيل . وما ان اهل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، حتى تكاملت - او كادت - صورة الكتابة التاريخية ، وظهر اغلب انواعها ، على الرغم من ان المؤلفين قد اضافوا اليها اصنافا جديدة فيما بعد ، واغنوا الانواع السابقة . بمصنفات جديدة اكثر نضجا واغنى في المعارف التاريخية التي تحويها(٢) .

ولم يكن معظم المؤرخين المسلمين يتجهون الى الكتابة التاريخية تبعا لامر صدر اليهم من القائمين بالحكم . فلم يكن هناك مؤرخون رسميون متصلون بالخلفاء والسلاطين والامراء ، الا فيما ندر . ولكن في المقابل ظهر عدد من المؤرخين كانوا يعملون ضمن اجهزة الدولة الرسمية العليا ، فكان بينهم الوزراء والكتّاب والقضاة ، وغيرهم . ومن امثلة كتب التاريخ القليلة ذات الطابع الرسمي كتاب (التاج) الذي الفه الوزير ابراهيم الصابيء . ولكن هذه الكتب الرسمية Official Historiography كانت قليلة فالمعروف ان الخلفاء والحكام كانوا يطلبون من الفقهاء والمفكرين ان يؤلفوا في موضوعات معينة ، مثلما نرى في كتاب (الخراج) لابي يوسف القاضي (ت ١٨٢ هـ) صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان . فيما

---

(١) سنتحدث عن الكتب التي ألفت في مجالات اخرى غير مجال التاريخ في الفصل السادس (العلوم المساعدة او الموصلة) .

(٢) د. محمد ماهر حمادة - المصادر العربية والمعربة . طبعه مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٢٧٠

يعرف أن الخليفة هارون الرشيد وجه اليه اسئلة مختلفة اجاب عنها ابو يوسف في كتابه المعروف المذكور .

والظاهر ان اولي الامر لم يفعلوا ذلك مع المؤرخين ، ومع ذلك فأننا نعرف ان الخلفاء والامراء كانوا يكرمون المؤرخين في بعض الاحيان بالعطاء والجوائز . ولكن عددا كبيرا من المؤرخين - ولاسيا كبار المؤرخين - كانوا يهدفون الى الاستقلال في الرأي والى توخي الصدق في الرواية ، وانهم لم يتأثروا بالحكام تأثرا كبيرا ، والامثلة على مثل هذه النماذج كثيرة ، سواء في العراق او في مصر او بلاد المغرب والاندلس او في المشرق . وحسبنا ان نذكر ان مسكويه (ت ٤٢١ هـ /١٠٣٠ م) عاش في عهد بني بويه وتحدث عن دولتهم من دون ان يخفي اخطاء حكامها(٣) .

اما من حيث التعبير عن المعرفة التاريخية فأنه لم يتم بصياغة واحدة ، او بمعنى اخر لم يستعمل المؤرخون طريقة كتابية او فنا معينا لنقل المعلومات التاريخية الى قرائهم ، بل اتبعوا طرقا جديدة تطلب ابتداعها طبيعة العصر وتطور المجتمع وتعقد مؤسساته ونظمه ، وقد شمل التطور كذلك اسلوب الكتابة ، فبعد ان كان التاريخ يجمع في معظمه في صورة جمل قصيرة جافة ، اصبح اسلوب كتابته مرسلا بسيطا وواضحا في آن واحد . واستخدم مؤرخون عديدون السجع في الكتابة التاريخية . ومن اشهرهم الكاتب الاندلسي (الفتح بن خاقان) و (العماد الكاتب الاصفهاني) ، فقد ذكر الاول في كتابه (مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس)(٤) يمتدح جعفر الحاجب قائلا : تجرد العليا ، وتمرد في طلب الدنيا ، حتى بلغ المنى ، وتسوغ ذلك الجنى ، فما دون

---

(٣) د. سيدة اسماعيل كاشف . مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه ، مكتبة الخانجي ، مطبعة السعادة ، طبعة ثانية ١٩٧٦ ، ص ٤٩

(٤) طبع في قسطنطينة . الجزائر ١٨٨٤ . انظر ص ٤

سابقة ، وارتقى الى رتبة لم تكن للبين بطابقة ، فالتاج في اقياء الخلافة ، وارتياح اليها بعطفه كنشوان السلافة .

اما العماد الكاتب فقد ذكر يصف خروج صلاح الدين من دمشق عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م لملاقاة الصليبيين في حطين يقول : وبرز قبل استنجاد الجنود ، واستحشاد الجنود واصحار الاسود ، واحضار البيض والسود ، مضى العزم ماضي العزم ، صائب السهم ، ثائب الفهم ، ثابت السعود ، كابت الحسود(٥) .

فنون الكتابة التاريخية

اما طرق وفنون الكتابة في تدوين التاريخ العام ، او مايمكن ان نسميه بالمنهج الذي سلكه المؤرخون فكان على شاكلتين ، الاولى هي «التاريخ الحولي» او التاريخ حسب توالي السنين ، والثانية حسب الموضوعات .

١ـ التاريخ الحولي (حسب السنين)

ان هذا النهج في الكتابة سلكه العديد من المؤرخين ، فأرخوا الاحداث سنة بعد سنة ، فكانت الحوادث العامة تجمع في كل سنة ، وتربط فيما بينها بكلمة : «وفيها» . فاذا انتهت حوادث السنة الواحدة ، انتقل المؤرخ الى حوادث السنة التالية ، فيستخدم المؤلف الجملة الآتية : «ثم دخلت سنة كذا «او» ثم جاء في سنة كذا» .

وعيب هذا المنهج التاريخي انه يمزق سياق الحادثة التاريخية التي تستغرق عددا من السنين ، فلايذكر المؤرخ من الحادثة في السنة المعينة الا الجزء الذي وقع فيها ، لذا تمزق او تتفرق الحادثة الواحدة الى عدد من السنين ؛ وقد تضيع تفاصيلها ضمن تفاصيل حادثة اخرى وقعت في نفس السنة ولذا انتقد مؤرخون

---

(٥) كتابه (الفتح القسي في الفتح القدسي) ، تحقيق محمد محمود صبح ، ط ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٥٨

عديدون هذا المنهج ، بينهم المؤرخ الكبير ابن الاثير ، على الرغم من انه كان ضمن من استعمل هذا المنهج ، لكنه استعمله بطريقة معدلة اقل تعقيدا ذكرها في مقدمة كتابه المعروف (الكامل في التاريخ) · لكن هذا المؤرخ لم يستطع ان يطبق تعديلاته في كثير من الاحيان ، مثل (ثورة الزنج) التي دامت احداثها ١٤ سنة (٢٥٥-٢٧٠ هـ) · فقد وردت اخبارها ممزقة على السنين على النحو الذي عرضه الطبري في كتابه(٦) .

وكذلك انتقد هذا المنهج الحولي الكاتب النويري (ت ٧٣٢ هـ) في مقدمة القسم الخامس من موسوعته الكبيرة (نهاية الارب في فنون الادب) فأثر كتابة التاريخ حسب الموضوعات ·

وكان الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) اشهر مؤرخ كبير وصل الينا نتاجه الضخم مرتبا على السنين منذ بداية التاريخ حتى سنة ٣٠٢ هـ حين توقف عن مواصلة الكتابة في مؤلفه الهام «تاريخ الرسل والملوك» او «تاريخ الطبري» · وقد اتبع في روايته طريقة الاسناد، اي اسناد الرواية الى سلسلة من الرواة توثيقا للاخبار التي يرويها ، فلقد كانت نظرة الطبري الى التاريخ متأثرة الى حد بعيد بدراسته الاولى ، وثقافته كمحدث وكفقيه(٧) · ولذلك كانت قيمة الروايات في نظره تعتمد على قوة اسانيدها وكلما كان الاسناد في اوله قريبا من الحادثة كان مدعاة للتصديق اكثر · غير ان الطبري لم يكن يفضل رواية على رواية ، وانما كان يكتفي بعرض الروايات ، فيقف بذلك موقفا حياديا · وكان

(٦) د· عبدالعزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب · دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٨٤

(٧) د· عبدالعزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط ١ سنة ١٩٦٠ ، ص ٥٥

حياده في الغالب عن ورع ودقة علمية ، لانه انما دون التاريخ تتمة لكتابه في تفسير القرآن[٨] .

ويعد الطبري صاحب اكبر مصنف في التاريخ الاسلامي في زمانه ، ولامانته المتناهية في النقل لانجد بعد الطبري من حاول اعادة فحص او تقييم المادة التاريخية للفترات التي كتب عنها الطبري ، اي القرون الثلاثة الهجرية الاولى . ولكن هذا المؤرخ الكبير اهمل احداث عصره ، وكأنها لاتستحق التدوين ، ولعله خشي من تهمة الانحياز ، فكان منهاً موجزا سريع الخطو ، مقلا كل الاقلال ، ولهذا فهو «كشاهد» عصره من اشد الناس ضنا بشهادته ، فجاءت صورة احداث زمانه باهتة ، ولم يتنبه الى تفاصيل هامة فيها[٩] .

ومن كبار المؤرخين الذين اتبعوا هذا المنهج الحولي في كتابة التاريخ : ابن القلانسي الدمشقي (ت ٥٥٥ هـ /١١٦٠ م) في كتابه (ذيل تاريخ دمشق) ابن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ /١٢٠١ م) في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) ابن الاثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ /١٢٣٢ م) في كتابه (الكامل في التاريخ) سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ /١٢٥٦ م) في كتابه (مرآة الزمان في وفيات الفضلاء والاعيان) ابو الفدا الايوبي الحموي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) في كتابه (المختصر في اخبار البشر) الذهبي الدمشقي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) في كتب عديدة اشهرها (تاريخ الاسلام) وابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) في كتابه (البداية والنهاية) والمقريزي المصري (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤٢ م) في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) ومؤرخون كثيرون في ارجاء الوطن العربي والعالم الاسلامي . وجمع البعض منهم بين المنهج الحولي والمنهج التالي :

---

(٨) د. شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ط ثانية ١٩٧٩ ، الجزء الاول ص ٢٥٦ والمقصود بكتابه في التفسير تأليفه لـ مجمع البيان في تفسير القرآن، والذي يعرفه بأسمه كذلك.

(٩) د. شاكر مصطفى ، نفس المصدر ، ص ٢٦٠

٢. كتابة التاريخ حسب الموضوعات :

وهي طريقة كتابة التاريخ العام في كتاب واحد حسب تقسيمه الى مواضيع او عناوين اساسية ثم ثانوية . وقد يلتزم المؤرخ فيها منهجا معينا ، كأن يقسمه الى تاريخ قديم يعبر فيه عن فكرة التاريخ في العهود التي سبقت الاسلام ، وتاريخ البابليين والاشوريين والهنود والفرس والاغريق والروم والاحباش واليهود والترك والصينيين(١٠) . وفي التاريخ الاسلامي يفرد جزءا كبيرا من كتابه للحديث عن ظهور الرسول الاكرم (ﷺ) وبدء الرسالة الاسلامية وانتشارها في الجزيرة العربية ، ثم العهود الاسلامية التالية بدءا من العهد الراشدي فالاموي والعباسي ، ثم الدول والامارات الاسلامية شرقا وغربا ، متبعا التسلسل الزماني لتاريخ كل دولة او حكم كل اسرة .

وكان المؤرخون الذين اتبعوا هذا المنهج يبدأون بالحديث عن شخصية الخليفة او الحاكم موضوع الدراسة ، والصفات الخلقية والمعنوية له ، ويذكرون كذلك صفاته الجسمانية ، واحيانا يوردون قوائم بأسماء اولاده ونسائه . ويضيف بعضهم الى ذلك قوائم بأسماء القادة والوزراء والقضاة والكتاب والعلماء والشعراء المعاصرين لهذا الحاكم . فأبن عذارى المراكشي عندما ألف كتابه «البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب» في بداية القرن الثامن الهجري ، وكتب عن قيام دولة بني أمية في الاندلس وامارة عبدالرحمن بن معاوية ، حدثنا عن نسبه وكنيته ، وذكر اسم امه ، وتاريخ مولده ، والبلدة التي ولد فيها ، وتاريخ مبايعته بالامارة ، واسماء وزرائه وعددهم واسماء حجابه وقضاته ، وصفاته وعدد اولاده ، ثم وفاته(١٢) .

---

(١٠) الدوري ، مصدر سابق ، ص ٥١

(١١) ابن عذارى ، كتابه (البيان المغرب) . بيروت ١٩٥٠ ، جـ ٢ ص ١٧١

(١٢) د. شاكر ، مصدر سابق : ٢٤٠/١ ، ود. سالم ، مصدر سابق ص ٩٤

وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٠ هـ /٨٨٣ م) الذي يعد من اوائل الادباء الذين كتبوا عن الدول والعهود ، حسب هذا المنهج ، بدأ في كتابه (المعارف) بالكلام عن الخليقة وانتهى بأيام الخليفة المعتصم(١٣) . ومن المؤرخين البارزين في كتابة التاريخ على هذا المنوال (اليعقوبي ت ٢٨٤ هـ /٨٩٧ م) المعاصر للطبري ، في كتابه الذي عرف بأسمه . ثم المسعودي (ت ٣٤٦ هـ /٩٥٧ م) في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ، وقد رتبه وفقا لتسلسل الخلفاء والاسر الحاكمة والموضوعات ، كما احتوى كتابه على كثير من المعرفة والمعلومات الخاصة بعلم الانساب ، فضلا عن الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية ، لذا استحق المسعودي لقب «هيرودوت العرب»(١٣) . ونذكر ايضا على سبيل المثال لا الحصر كتاب (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري (٦٨٥ هـ /١٢٨٦ م) ومن كبار المؤرخين الذين اتبعوا هذا المنهج «ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٦ م) في كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر ....» او مايسمى بـ «تاريخ ابن خلدون» . ومؤرخون عديدون اخرون .

تصانيف تاريخية حول مواضيع شتى :

المقصود بذلك هو اهتمام جملة الاقلام من المعنيين بشؤون التدوين التاريخي بموضوع محدد يجعلونه مثار اهتمامهم مبتعدين بذلك عن كتابة التواريخ العامة ، نظرا لتطور الحياة وغزارة الاخبار وانتشار الثقافة ، اضافة الى ضيق مناطق الدول ورقاع الامارات ، فأقتصرت الكتابة على فترة محدودة ، او اسرة حاكمة معينة او على مدينة واحدة ، او على شخصية محورية واحدة ، او عن الفرق ، او الطبقات ، او عن خطط المدن ، وغيرها من الوان الكتابة التاريخية ، ومن هذه المواضيع :

---

(١٣) د. مصطفى ابو ضيف احمد ، منهج البحث التاريخي بين الماضي والحاضر ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٨٧ ، ص ٧٣

١ـ مؤلفات في السيرة :

ويقصد بها كتابة سيرة الرسول الكريم (ﷺ) وغزواته . وكانت استجابة ثقافية طبيعية لحاجة المسلمين للوقوف على تفاصيل حياة رسولهم وافعاله . وكان هذا اللون من الكتابة جزءا من الحديث ، في اول أمره ، ثم انفصل عنه وصنفت فيه كتب خاصة ولكن ظل المحدثون يدخلون السيرة ضمن ابوابهم ، فظهر «صحيح البخاري»(١٤) كمثل في كتابة المغازي . وفي كتاب (المسند) لاحمد بن حنبل خص جزءا منه للمغازي وروى فيه تاريخ الرسول الكريم (ﷺ) .

واكثر كتّاب السيرة الاوائل كانوا من اهل المدينة المنورة ، نظرا لما شهدته هذه المدينة من احداث في حياة الرسول منذ هجرته اليها وانتشار الاسلام فيها وخروج الغزوات منها ، وكذلك لانها كانت مركز (عاصمة) الدولة العربية الاسلامية الاولى خلال معظم العصر الراشدي . ولذلك كان الصحابة اعرف الناس بأخبار الرسول ومغازيه ، فكانوا يحدثون بها ويروونها ثم تناقلها عنهم التابعون ومن بعدهم ، حتى دونت .

وابرز مؤرخي السيرة :

١ـ أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م)

وقد ولي على المدينة مدة سبع سنين من قبل الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان .

٢ـ عروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٢ هـ/٧١١ م)

مدني كذلك ، وهو شقيق عبدالله ومصعب بن الزبير ، وامهم اسماء بنت ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) رحل الى مصر وبقي فيها سبع سنين . وكان عبدالملك بن مروان يجله ، ورأى فيه الكثيرون احد الفقهاء السبعة الذين انتهى

(١٤) محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) امام المحدثين كتابه (الجامع الصحيح) الذي يعرف ايضا بـ «صحيح البخاري» .

اليهم العلم في المدينة المنورة ، وكان له فضل كبير على كتاب السير الاخرين كابن هشام وابن سعد ثم الطبري ·

٣ـ ولابن هشام ابي محمد عبدالملك (ت ٢١٨ هـ/٨٣٣ م) كتابه في (السيرة النبوية) ·

٤ـ محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ/٨٤٤ م)

الف «كتاب الطبقات الكبرى» تحدث فيه عن اخبار النبي (ﷺ) معتمدا على بعض الوثائق ، واهتم بصورة خاصة بسفارات النبي · وجعل القسم الذي تناول فيه فترة قبل الاسلام مقدمة لفترة الرسالة · وكان كتابه اساسا لما جاء في المصنفات التالية(١٥) ·

٥ـ شرحبيل بن سعد ، مدني ، بعد ان عمر اكثر من مائة عام توفى سنة ١٢٣ هـ/٧٤١ م ، وكان من اشهر العارفين بالسيرة ·

٦ـ وهب بن منبه · (ت ١١٠ هـ/٧٢٨ م)

من ابرز جامعي المغازي · يماني المولد والثقافة ، الا ان اخباره غير دقيقة لتأثيره بـ «الاسرائيليات» والقصص والاساطير(١٦) ·

٧ـ محمد بن اسحق (ت ١٥١ هـ/٧٦٨ م)

مدني · عراقي الاصل ، يعد رائدا في تدوين السيرة النبوية · يحتل مكانة خاصة بين كتابها ، وقد وصلتنا منه اقدم سيرة تكاد تكون محفوظة بكليتها(١٧) ·

٨ـ الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ/٨٢٢ م) ، من اهل المدينة المنورة · عمل قاضيا في بغداد في عهد الخليفة المأمون ·

ويمتاز كتابه (المغازي) بأنه اكثر دقة من ابن اسحق في استعمال الاسناد ورواياته منطقية · وقد تناول في كتابه تواريخ الغزوات واحدة بعد الاخرى حسب التسلسل ، ويبدي اهتماما خاصا بالتواريخ · وقد كتب الواقدي كتبا عن

(١٥) د· سيئة كاشف ، مصدر سابق ، ص ٣٢

(١٦) د· الدوري ، مصدر سابق ، ص ٢٦

(١٧) نفس المصدر ، ص ٢٧

مواضيع مهمة مثل «الردة» و «صفين» و «الجمل» وفتوح الشام والعراق . وله «التاريخ الكبير» الذي تناول فيه الخلفاء حتى سنة ١٧٩ هـ/٧٩٥ م . وله «كتاب الطبقات» او تاريخ طبقات المحدثين في الكوفة والبصرة ، ويمتاز بأهميته في اثر دراسة الحديث في كتابة التاريخ ، لاهتمامه الملحوظ بالاسانيد(١٨) . والكتاب الوحيد الذي وصل الينا من مؤلفات الواقدي هو «كتاب المغازي»(١٩) .

٩ـ محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ/٧٦٣ م)

وابنه هشام (ت ٢٠٤ هـ/٨١٩ م)

كان محمد عالما بالانساب ، واحد اعظم الاخباريين في تاريخ العرب قبل الاسلام(٢٠) وقد تابع العلم ابنه هشام الذي اتصل بالخليفة المأمون ، وله مؤلفات كثيرة بلغت نحو (١٤٠) كتابا كما ذكرها ابن النديم في (الفهرست) . وقد وصل الينا من كتبه كتاب (جمهرة النسب) وكتاب (الاصنام) . استفاد من مؤلفاته عديد من المؤرخين ابرزهم الطبري والمسعودي وابن قتيبة وياقوت الحموي وغيرهم .

ظلت السيرة النبوية مادة تلهم الكتاب والمؤرخين في كل العهود الاسلامية ، فتوالت التصانيف عنها بشكل لامثيل له في تاريخ كل الامم وكل الاديان . بل ان مؤلفين عديدين كتبوا في سير صحابة النبي الكريم ، وسير أمهات المؤمنين ، منهم على سبيل المثال

١ـ ابو حفص بن شاهين (ت ٩٥٠ م) وله في تاريخ الصحابة .

٢ـ ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ/١٠٣٩ م) كتابه (حلية الاولياء وطبقات الاصفياء) .

---

(١٨) ن . م . ص ٢١

(١٩) د. شاكر ، مصدر سابق ، ١٦٤/١ . وقد طبع كتاب المغازي في كلكتا بالهند ١٨٥٦ م .

(٢٠) د. عالم ، مصدر سابق ، ص ٤٨

٣ـ ابن عبدالبر، ابو يوسف ... بن عبد... ٨ (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٠ م) الاستيعاب في معرفة الاصحاب .

٤ـ ابن الاثير، علي بن محمد الجزري الشيباني (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) اسد الغابة في معرفة الصحابة .

٥ـ المحب الطبري (ت ٦٩٤ هـ/١٢٩٤ م) وله : «الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة ، والف مؤرخون محدثون في مناقب الصحابة الاخيار والاولياء كتبا عديدة وكان لابن الجوزي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١ م) القدح المعلى في هذا الباب فكتب في سيرة رجال بارزين لهم دورهم الكبير في خدمة الاسلام والحضارة العربية والاسلامية بينهم «ابو بكر الصديق» و «عمر ابن الخطاب» و «علي بن ابي طالب» رضوان الله تعالى عليهم . وعمر بن عبدالعزيز ، والامام الشافعي ، والامام احمد بن حنبل ، والحسن البصري ، والزاهدة المعروفة رابعة العدوية ، والشيخ معروف الكرخي (رحمهم الله) وغيرهم(٢١) .

واهتم اخرون بتراجم الخلفاء والسلاطين والقادة ، فقد ألف عوانه بن الحكم الكوفي (ت ١٤٧ هـ/٧٦٥ م) كتابا في (سيرة معاوية وبني أمية)(٢٢) .

وألف عبدالله بن عبدالحكم كتابا في سيرة «عمر بن عبدالعزيز» ، وعلى غرارد نسج ابن الجوزي .

وألف ابو بكر محمد ... بي الصولي (ت ٣٣٦ هـ/ ... ٩٤٧ م) في (اخبار الراضي والمتقي بالله) .

كما ألف كتاب (الاوراق) ... بار آل الـ ... .

وصنف مؤرخ مجهول كتاب ... «اخبار ... اس وولده

---

(٢١) د. فاجية عبدالله ابراهيم ، قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي ، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، منشورات المكتبة العالمية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١١٦-١٢٣

(٢٢) د. شاكر ، مصدر سابق ، ١٧٩/١

والف ابن الجوزي البغدادي المذكور «المصباح المضيء في خلافة المستضيء» . كما ألف ابن دحية ، عمر بن الحسن الكلبي البلنسي (ت ٦٣٣ هـ/١٢٣٥ م) كتابه (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس) .

ولعبدالرحمن ابن قنيتو الاربلي (ت ٧١٧ هـ) كتابه «خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر من سير الملوك» .

ووضع القلقشندي المصري (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م) كتابا في (مآثر الانافة في معالم الخلافة) .

والسيوطي المصري (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) تاريخ الخلفاء

وفي تراجم ولاة الاندلس ألف ابو عبدالله محمد بن فتوح الحميري (ت ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م) كتابه (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس) ويتضمن ذكر ولاة بلاد الاندلس حسب تسلسلهم التاريخي . كما يترجم للاشخاص البارزين فيها من فقهاء ومحدثين وشعراء .

كما ألف كتاب اخرون عن حياة القادة او مؤسسي احدى الدول ، او عن اسرة حاكمة . فقد ألف ابو بكر الصنهاجي البيدق كتاب «اخبار المهدي بن تومرت» مؤسس الدولة الموحدية في المغرب . والف ابن شداد ، بهاء الدين الموصلي (ت ٦٣٢ هـ/١٢٣٤ م) كتابا عن «سيرة صلاح الدين» واسماه «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» . وكانت سيرة هذا القائد مجالا لتآليف اخرى عديدة اهمها :

١/ ابن ابي طي الحلبي (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) في كتابه «كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين» ، وكان هذا معاصرا لصلاح الدين على غرار المؤرخ السابق والعماد الكاتب .

٢/ ابو شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ /١٢٦٦ م) وكتابه «كتاب الروضتين في اخبار الدولتين» .

٣/ ابن واصل ، جمال الدين الحموي (ت ٦٩٧ هـ/١٢٩٧ م) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، في خمس مجلدات ،وهو اوسع المصنفات عن الاسرة الايوبية

٤/ الحنبلي / عزالدين احمد الصقلاني المصري (ت ٨٧٦ هـ/١٤٧١ م)
شفاء القلوب في مناقب بني ايوب .

كما ألف البلوي ، عبدالله بن محمد المديني (ت ٢٧٠ هـ/٨٨٣ م) . كتابا عن «سيرة احمد بن طولون» مؤسس الدولة الطولونية في مصر .

وفعل مثله ابن الداية ، احمد بن يوسف المصري (ت ٣٤٠ هـ/٩٥١ م)

اما ابن زولاق ، الحسن بن ابراهيم المصري (ت ٣٨٧ هـ/٩٩٧ م) فقد ألف في سيرة مؤسس الدولة الاخشيدية بمصر كتابه الذي سمى جزؤه الاخير بأسم «العيون الدعج في حلى بني طغج» .

كما ألف ابو نصر العتبي (ت ٤٢٨ هـ/١٠٣٧ م) عن حياة السلطان محمود الغزنوي يمين الله كتابه (تاريخ اليميني) .

والف النسوي ، محمد بن احمد (ت ٦٣٩ هـ/١٢٤١ م) كاتب انشاء السلطان الخوارزمي الاخير جلال الدين منكوبرتي كتابا عن حياة هذا السلطان اسماه «سيرة السلطان جلال الدين»

وصنف ابن قاضي شهبه الاسدي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) كتابا عن حياة نورالدين محمود اسماه «الكواكب الدرية في السيرة النورية» .

هذا وقد وضعت كتب اخرى عن سير الوزراء والامراء والقضاة ، منها ماألفه الجهشياري ، محمد بن عبدوس بأسم «كتاب الوزراء والكتاب» . والثعالبي «كتاب تحفة الوزراء» ، والصابي (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء) وعلي بن منجب الصيرفي المصري (توفي حوالي ٥٤٢ هـ /١١٤٧ م) . كتابه (الاشارة الى من نال الوزارة) .

وابن طباطبا ، محمد بن علي «ت ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م) . كتاب (الفخري في الآداب السلطانية) عن وزراء الدولة العباسية وسياسة الملك ، وغيرها .

ولابي المعالي المؤيد بن محمد الجاجرمي كتابه (نكت الوزراء) كما ألف الصفدي صلاح الدين بن خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٣ م) كتابه عن (امراء دمشق

في الاسلام) من ظهور الاسلام حتى اواسط عهد المماليك في القرن الثامن الهجري ·

وكان لوكيع بن محمد (ت ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م) كتاب اخبار القضاة في ٣ اجزاء ·

وألف الكندي ، محمد بن يوسف المصري (ت ٣٥٠ هـ/٩٦١ م) · (كتاب الولاة وكتاب القضاة) ·

وابن طولون ، شمس الدين (٩٥٣ هـ/١٥٤٦ م) وكتابه (قضاة دمشق) ·

هذا ومن الامور اللافتة للنظر والاهتمام هو عناية رجال الكتابة التاريخية بأساسيات الفكر الاسلامي ، ولاسيا الحديث · ومن ضلع منهج (الجرح والتعديل) الخاص بالحديث الشريف ظهر العديد من انماط الكتابة التاريخية · اذ ان الاهتمام بالاحاديث وتقصي صحة اسانيدها ادى الى تتبع سير المحدثين والحفاظ وفقا للمنهج المذكور · وبمرور الزمن عرف ميدان الكتابة التاريخية عند المسلمين نوعا جديدا هو «كتب الطبقات» الذي كان قاصرا في بداية الامر على طبقات المحدثين ، ثم امتد اهتمامهم ليشمل اصحاب الممارسات الثقافية الاخرى ·

ومما يذكر ان المؤلف كان يهمه في الدرجة الاولى ان يرصد انجازات الاشخاص اصحاب السير في خدمة المجتمع ، اضافة الى التحقق في ضبط اسمائهم وتسجيل فضائلهم · وتكمن قيمة كتب الطبقات (او السير) في كونها مصدرا خصبا من مصادر معلوماتنا عن التاريخ الثقافي والاجتماعي ، وفي استكمال صورة التاريخ السياسي والعسكري · اما الوظيفة الحضارية للتراجم فتكمن داخل اطار النظرة الاخلاقية (التربوية) التي ترى في رصد تراجم المشاهير مايدفع الاخرين الى الاقتداء بهم في اعمالهم والتأسي بهم في اعمالهم الحسنة ·

وعن رجال القرآن (الحفاظ والمفسرين والقراء) ورجال الحديث ألفت مصنفات كثيرة نذكر منها كتاب الداودي ، شمس الدين محمد بن علي (طبقات المفسرين) والذهبي شمس الدين محمد الدمشقي (ت٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م) في (تذكرة الحفاظ) والجزري ، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ/١٤٢٩ م) كتابه (غاية النهاية في طبقات القراء) · والامام البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت

٢٥٦ هـ/٨٧٠ م) كتابه (التاريخ الكبير في رجال الحديث) وللذهبي المذكور كتاب في تراجم رجال الحديث هو «كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال» وذيل عليه ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م) في كتابه (لسان الميزان) وله ايضا (تهذيب التهذيب) ٠

وكان لرجال الشعر نصيبهم الوافر في التأليف عن سيرهم ٠ فألف ابن سلام محمد الجمحي (ت ٢٣٢ هـ/٨٤٦ م) كتاب (طبقات فحول الشعراء) وابن المعتز من أسرة الخلفاء العباسيين كتاب (طبقات الشعراء) وابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٠ هـ/٨٨٣ م) كتاب (الشعر والشعراء) وابو الفرج الاصفهاني (٣٥٦ هـ/٩٦٦ م) موسوعته المعروفة (كتاب الاغاني) ٠ وألف ابن سعيد المغربي الاندلسي (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م) كتابه (الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة) ، والثعالبي ، عبدالملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٨ م) كتابه (يتيمة الدهر في ذكر شعراء العصر) ثم عقب بنفسه ذيل اليتيمة متما له ٠ ثم ذيل عليه الباخرزي ،. ابو الحسن علي بن الحسن (ت ٤٦٧ هـ/١٠٧٤ م) في كتابه (دمية القصر وعصرة اهل العصر) وذيل على هذا العماد الكاتب (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١ م) في (خريدة القصر وجريدة العصر) ٠

وفي سير الادباء والنحاة ألف الانباري ، ابو البركات عبدالرحمن بن محمد (٥٧٧ هـ/١٨٨١ م) كتابه (نزهة الالباء في طبقات الادباء) ٠ وألف ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م) كتابه (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب) المعروف بـ (معجم الادباء) ، وابو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ/٩٨٩ م) كتابه (اخبار النحويين البصريين) ٠ والقفطي الوزير ، جمال الدين علي المصري (ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) كتابه (انباه الرواة على ابناء النحاة) ٠ والسيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن المصري (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) كتابه (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) ٠

وفي سير الحكماء والاطباء ألف اسحق بن حنين (ت ٢٩٨ هـ/٩١٠ م) كتاب (تاريخ الاطباء والحكماء) ، وعبيدالله بن جبريل بن عبيدالله بن بختيشوع (ت ٤٥١ هـ/١٠٥٨ م) كتاب (مناقب الاطباء) · وكتاب محمد بن محمود الشهرزوري «نزهة الارواح وروضة الافراح» · وللقفطي الوزير جمال الدين علي بن يوسف المصري (ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) المذكور كتابه (اخبار العلماء بأخبار الحكماء) ، وابن فندق ظهير الدين علي بن زيد (ت ٥٦٥ هـ /١١٦٩ م) كتابه (تاريخ حكماء الاسلام) · ولعل اهم واوسع كتاب في هذه السلسلة كان مألفه ابن ابي اصيبعة الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ/١٢٦٩ م) ، وهو (عيون الانباء في طبقات الاطباء) ·

هذا وقد الفت في تراجم النساء المسلمات كتب عديدة نشير الى :

(اخبار النساء) لعلي بن محمد المدائني · وتحت هذا العنوان صنف كتاب عديدون كتبهم نذكر : ابن حاجب النعمان ، ابن الجوزي ، واسامة بن منقذ الشيزري ، كما صنف الجاحظ كتابه (النساء) وفعل مثله (ابراهيم بن القاسم القيرواني) ، ولابن الساعي كتاب «جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء» ·

ولرجال الاندلس دورهم في مجال كتابة السير ، فألف ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبدالله (ت ٥٧٨ هـ/١١٨٣ م) كتاب (الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم) · وذيل عليه ابن الآبار ، محمد بن عبدالله القضاعي البلنسي (٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م) بكتابه (التكملة لكتاب الصلة) · وعلى هذا الكتاب ذيل ابو جعفر احمد بن الزبير ، بكتاب (صلة الصلة) · كما ألف ابن الفرضي ، ابو الوليد عبدالله بن محمد الازدي (ت ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م) (تاريخ علماء الاندلس) ، والقيرواني محمد ابن احمد (طبقات علماء افريقية وتونس) ، وابو جعفر احمد الضبي (بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس) ·

وبلغ التأليف في السير شأوا بعيدا حتى صار اصحاب التصانيف يضمون كتبا في تراجم اصناف المجتمع ممن لم يترجم لهم احد من قبل وتعد هذه الكتب مهمة في تاريخ تعريفنا بحياة فئات اجتماعية معينة ، كما ان تلك الكتب فيها من

المعلومات التاريخية مالايمكن الاستغناء عنها . تألف مؤرخ بغداد المعروف ابن الجوزي المذكور كتاب (الاذكياء) وكتاب (القصاص والمذكرين) و (اخبار الظراف والمتماجنين) و (الحمقى والمغفلين) .

وللصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٣ م) كتابه الظريف (نكث الهميان في نكت العميان) . وللذهبي المذكور كتابه (اهل المئة فصاعدا) .

هذا وظهر نوع جديد من كتب التراجم او ماسمي بكتب (الوفيات) وفيها لم يلتزم مؤلفوها بالحديث عن حياة صنف واحد من اعلام السياسة او الفقه او الفكر او الطب او الحديث وغيرهم ، بل شملت هذه الفئات جميعا . وقد نسقت التراجم حسب حروف الهجاء سواء حروف اسمائهم او القابهم او كناهم ، واحيانا حسب تسلسل سنوات وفياتهم وابتدأ بعض الكتب بأسم محمد (ﷺ) تيمنا بأسم الرسول الكريم ثم تتلوه بقية الاسماء ، ومن هذه الكتب :

(وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) لابن خلكان ، شمس الدين احمد الاربلي (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م) ، وهو اشهر كتب التراجم واكثرها دقة في معلوماته . وقد تركز اهتمام مؤلفه على العلماء والفقهاء والشعراء وبعض القادة والسلاطين دون الخلفاء . والف بعده (ابن شاكر الكتبي) (ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٣ م) كتابه (فوات الوفيات) ليكون بمثابة تكملة لكتاب ابن خلكان ، وكذلك فعل الصفدي المذكور سفره الضخم (الوافي لوفيات) وبعده ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف الاتابكي المصري (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م) في كتابه (النهل الصافي والمستوفي بعد الوافي) . كما ألف المنذري ، زكي الدين عبدالعظيم (ت ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م) كتابه (التكملة لوفيات النقلة) وقد صنفه حسب سني وفيات الاعلام .

كما ظهرت كتب تؤرخ للوفيات على مدى قرن كامل من الزمان مثل كتاب «الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨ م)

وكتاب (الضوء اللامع في اهل القرن التاسع) للسخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٦ م) .

وصنف كتّاب غيرهم في تراجم رجال بعض المدن العربية والاسلامية المهمة ، مضافة اليها تراجم الرجال الذين زاروا هذه المدينة او تلك او استقروا فيها ، فألف الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٠ م) كتابه الكبير (تاريخ بغداد) في ١٤ مجلدا . وابن الدبيثي ، ابو عبدالله محمد الواسطي (ت ٦٣٧ هـ/١٢٣٩ م) كتابه (ذيل تاريخ مدينة السلام) ، وابن النجار ، ابو عبدالله محمد بن محمود (ت ٦٤٣ هـ/١٢٤٥ م) كتابه (التاريخ المجدد لمدينة السلام) .

والازدي ، ابو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٢٤ هـ/٩٤٥ م) كتابه في (تاريخ الموصل) والف ابن المستوفي الاربلي ، المبارك شرف الدين (ت ٦٣٧ هـ/١٢٣٩ م) كتابه (تاريخ اربل) .

ومن المصنفات الخاصة بالحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) ألف : الازرقي ، ابو الوليد محمد بن عبدالله (ت ٢٤٤ هـ/٨٥٨ م) كتاب تاريخ مكة . والفاسي المكي ، تقي الدين محمد الحسني (ت ٨٣٢ هـ/١٤٢٨ م) ألف (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) وكذلك (العقد الثمين في تاريخ البلد الامين) . اضافة الى تآليف سابقة عن تاريخ هذه المدينة المنورة ، فقد صنف عمر بن شبه (ت ٢٦٢ هـ/٨٧٦ م) كتابه (اخبار المدينة) ، ولابن شبه كتب اخرى عن البصرة والكوفة ومكة . وممن كتب عن المدينة المنورة (الزبير بن بكارت ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م) الذي يعد كتابه «اخبار المدينة» من الكتب التي لعبت بها يد الدهر . وقد اعتمد بلدانيون عديدون على ماكتبه الزبير بن بكار عن المدينة(٢٣) .

---

(٢٣) د. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مطبعة السنة المحمدية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٧ ، القاهرة ١٩٦٥ ، جـ ٣ ص ٤٠٤ ، وانظر البحث القيم «المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ، للدكتور صالح احمد العلي» في المجلد الحادي عشر لمجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م ، ص ١٥-٢٠ .

كتب الانساب من الكثرة بحيث انها لو جمعت لزادت على بضع مئات ، ولكنها لم تصل الينا جميعا[٢٥] . ومن الامثلة على المؤلفات في هذا المضمار نذكر :

ابن حزم ، ابو محمد علي بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣ م) في (جمهرة أنساب العرب) . السمعاني ، عبدالكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢ هـ/١١٦٦ م) وكتابه (الانساب) ابن الاثير ، عزالدين علي الجزري (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣١ م) وكتابه (اللباب في تهذيب الانساب) وبه ذيل على كتاب السمعاني . القلقشندي ، احمد بن علي المصري (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م) الذي ألف (نهاية الارب في معرفة انساب العرب) وغيرهم .

وحسب الكنى والالقاب ألف كثيرون كتبا في التراجم ، نذكر منهم :

القرطبي الحافظ ، الوليد عبدالله بن محمد (ت ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م) صاحب تاريخ الاندلس فألف كتابا اسماه (مجمع الآداب في معجم الاسماء والالقاب) . كما ألف ابن الفوطي عبدالرزاق بن احمد البغدادي (ت ٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م) كتابا في ست مجلدات بقي الرابع والخامس منها فقط ، واسماه «تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب) ويعد اوفى تلك الكتب جميعا .

وقد ادت حركات التحرير العربية والفتوح الاسلامية الى بروز الحاجة الى نمط جديد من انماط الكتابة التاريخية ، يهتم بـ «فتوح البلدان» . ذلك ان معرفة طريقة وظروف تحرير او فتح هذا البلد او ذاك باتت أمرا مهما ، وفيما اذا تم فتحها صلحا او عنوة . وادى هذا الى ظهور عدد من الاخباريين المتخصصين في جمع اخبار هذا البلد وتدوينها وفقا لما ذكره ابن النديم ، محمد بن اسحق (ت ٣٨٥ هـ/٩٩٥ م) في مصنفه المعروف (الفهرست) .

فألف الواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ/٨٢٣ م) اشهر مصنف في (فتوح البلدان) كما ألف عبدالرحمن بن عبدالحكم (ت ٢٥٧ هـ/٨٧١ م) كتابه (فتوح مصر

(٢٥) جرجي زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية / طبعة دار الهلال ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤/١٧٣

وألف ابن عساكر ، علي بن الحسن الدمشقي (ت ٥٧١ هـ/١١٧٥ م) كتابه (تاريخ دمشق) . وابن العديم ، كمال الدين عمر بن احمد الحلبي (ت ٦٦٠ هـ/١٢٦١ م) كتابه (زبدة الحلب من تاريخ حلب) . ولسان الدين ابن الخطيب ، محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦ هـ/١٣٧٤ م) كتابه (الاحاطة في اخبار غرناطة) وله ايضا (الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية) . وابن ابي دينار القيرواني (المؤنس في اخبار افريقية وتونس) ، وثمة كتب عديدة اخرى في تاريخ الكوفة والفسطاط (القاهرة) وحلب وبيروت ودمشق وفاس ، ومدن الاندلس ، ومدن المشرق الاسلامي الكثيرة مثل بخارى وبيهق واصفهان وطبرستان وغيرها .

ومن مصادر دراسة التاريخ كتب «الانساب» التي لها اهميتها من عدة جوانب ، فقد ذكر ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ/٨٨٩ م) هذه الاهمية قائلا : رأيت كثيرا من الاشراف من يجهل نسبه ، ومن ذوي الاحساب من لم يعرف سلفه ، ومن قريش من لايعلم اين نمسه القربى من رسول الله (ﷺ) واهله ، او الرحم بالاعلام من صحابته . وكانت هناك اسباب اخرى لاستمرار الانساب كنمط من انماط الدراسة التاريخية له وظيفته الحضارية . فقد كان على الدولة ان تستعين بالانساب في تقرير عطاء الجند وفقا لانتماءاتهم القبلية من جهة ، واسبقية كل قبيلة في المشاركة في حركات التحرير والفتوح الاسلامية من جهة اخرى . وقد ازداد نشاط علماء الانساب في العصر الاموي . وقد ذكر المؤرخون اسماء عدد من النسابة العرب مثل «دغفل بن حنظلة البكري النساب» و «عبيد بن شرية الجرهمي» وقد ادركا النبي (ﷺ) ولكنهما لم يسمعا منه . و (ورقاء بن الاشعر) وكان انسب العرب ، ومحمد بن السائب الكلبي ، وابو مخنف لوط بن يحيى الازدي ، وغيرهم كثيرون ممن تكشف اعدادهم واختلاف مواطنهم عن مدى عناية العرب بالانساب كفرع من فروع الدراسة التاريخية بعد الاسلام(٢٤) . وكانت

(٢٤) د. قاسم عبده قاسم ، الوظيفة الحضارية للتاريخ بعد ظهور الاسلام . مجلة «اليقظة العربية» ، العدد (٦) اغسطس ١٩٨٥ ، ص ٨٣

واخبارها) ، ونبغ في [illegible] البلاذري [illegible] بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م) ، وكان من رجال مجلس الخليفة [illegible] المعتمد بالله ، وألف كتابه (فتوح البلدان) ، ومحمد بن علي بن اعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ/٩٢٦ م) (كتاب الفتوح) الذي يتضمن روايات عن الفتوح والخلفاء حتى زمن يزيد بن معاوية .

ومنذ منتصف القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) ظهر نوع من المؤلفات الشاملة الشبيهة بالموسوعات ، التي قصد بها مؤلفوها جمع شتات المعارف المتنوعة (من سياسية ودينية وعسكرية وجغرافية وادبية وادارية وتاريخية .. الخ) في مؤلف ضخم واحد ، وباجزاء عديدة ، بقصد حفظ تلك المعارف لتكون بمتناول من يريدها . وربما كانت ظروف الوهن التي دامت الوطن العربي والعالم الاسلامي في ذلك العهد احد اهم اسباب ظهور هذا النمط من المؤلفات الشاملة ، فكانت تلك الموسوعات بمثابة تجميع لتراث الاجيال السابقة ، والحيلولة دون ضياعها . وكان عصر المماليك في مصر (ثم الشام) هو العصر الذي شهد التوهج الاخير للثقافة العربية ، قبل ان تعاني ذلك الركود الذي دام قرونا .

ومن اشهر هذه المؤلفات الشاملة كتاب «نهاية الارب في فنون الادب» للنويري ، شهاب الدين احمد المصري (ت ٧٣٣ هـ/١٣٣٢ م) ويقع في ثلاثين مجلدا ، تحتل المادة التاريخية فيه الاجزاء الاثنى عشر الاخيرة ، وفيها يعرض النويري التاريخ الاسلامي من عصر الرسالة وحتى زمن المؤلف ، والقسم الاخير من الكتاب خاص بتاريخ مصر من عهد الاسرة الطولونية حتى عصر الناصر محمد بن قلاوون الذي عاصره المؤلف .

ويندرج كتاب (مسالك الابصار في ممالك الامصار) لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م) تحت نفس المواصفات المذكورة . ويقع الكتاب في ٢٧ جزء ، ويبتدئ من سنة ٤١ هـ (من قيام دولة بني امية) وينتهي عند سنة ٧٤٣ هـ . وكذلك كتاب «صبح الاعشى في صناعة الانشا» لمؤلفه القلقشندي

المصري (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م) الذي عرف بغزارة انتاجه الكتابي في اكثر من مؤلف . ويقع الكتاب في (١٠) جزء .

وتتسم المعالجة التاريخية في هذه المؤلفات الشاملة بتكرار بعض الاخبار التاريخية الواردة في ثنايا الكتاب . وربما كان سبب التكرار راجعا الى حقيقة هي ان مؤلفيها كانوا يوجهون جل اهتمامهم وعنايتهم الى جمع اكبر قدر من المعلومات بحيث لايمكنهم مراجعتها على نحو دقيق . كما ان تقسيماتهم لهذه المؤلفات تجعل من التكرار امرا لايمكن تجنبه .

الفصل السادس

العلوم المساعدة

العلوم المساعدة

Auxialiary Sciences

العلوم المساعدة ، او العلوم الموصلة ، او مايسمى احيانا بالعلوم الاضافية ، وهي مجموعة من العلوم والمعارف والاساليب التي يستعين بها ويستفيد منها الباحث التاريخي في فهم مادته وتمحيصها ونقدها . وتندرج تحت اسم العلوم المساعدة مجموعة كبيرة من فنون الثقافة والمعرفة واصناف من العلوم والفكر «عدا كتب التاريخ» سواء على هيئة تأليف او على شكل وثائق او مواد كانت تستعمل عصرئذ ، وتحولت فيما بعد الى آثار يعتمد عليها بشكل او اخر في دراسة تاريخ تلك الفترة ، مثل المباني والاسلحة والملابس والنقود والادوات والصور والفنون الموسيقية .

والمعرفة التاريخية تنفرد بين المعارف والعلوم الاخرى بسعة الموضوعات العلمية التي يجب على الباحث التاريخي ان يلم بها او يكون على معرفة بها . وهذا ناتج من طبيعة التاريخ نفسه الذي يتناول جميع مجالات النشاط الانساني والمعرفة الانسانية ، وان كان يتعذر على الباحث التاريخي الالمام بكل هذه العلوم لتنوعها الى حد كبير . لذا فالمطلوب هو ان يطلع الباحث على تلك صلة مباشرة بموضوع بحثه . فالعلوم المساعدة التي تهم الباحث في تاريخ الحضارات القديمة تختلف عن تلك التي تلزم الباحث في التاريخ العربي الاسلامي او التاريخ الاوربي[1] . ومع ذلك فأننا سنتحدث عن اشهر العلوم والمعارف والآثار التي تساعد الباحث والتي تعارف عليها المختصون بمنهج البحث التاريخي ، وهي :

---

(١) طه باقر ، والدكتور عبدالعزيز حميد ، طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار . مطبوعات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٠ ص : ١١٨

علم الجغرافية ، والمصنفات العربية :

ان الجغرافية من العلوم الاساسية التي يساعد الالمام بها على دراسة التاريخ . وهي علم يبحث في الانسان من حيث علاقته بالمكان ، ويتصل اصلا بالتاريخ الذي يبحث في الانسان من حيث علاقته بالزمان . ومن ثم غت الجغرافية التاريخية ، وكان لنموها خير عميم وفائدة للدراسات التاريخية ، الى حد ارجع معه احد الباحثين قيام الاديان الى عوامل جغرافية ، بل الى عامل الجو بالذات ، حتى انه اعلن ان ديانة «التوحيد ثمرة الحياة الصحراوية»(٢) . ومما له دلالته في العلاقة بين طبيعة المنطقة ومعتقدات سكانها ان بعض سكان المناطق الباردة ـ مثلا ـ يعتقدون ان الجحيم عبارة عن عالم يسود فيه الظلام الحالك والزمهرير والبرد القارس ، وبالمقابل يعتقد بعض سكان المناطق الحارة ان الجحيم عالم تغلب عليه النيران المتأججة المستعرة ابدا(٣) .

فالعوامل الجغرافية وتأثيراتها كانت الركن الثاني من اركان خلق الحضارة بعد الانسان ، لان البيئة بما تقدمه من معطيات تتمثل في الارض وشكلها وطبيعتها «تضاريسها» ودرجة خصوبتها اوجدبها ، ومن حيث توفر مصادر المياه او قلتها ، وموارد الثروة المعدنية او النباتية ، والبحار والانهار او الجبال والتلال والسهول والوديان ، فضلا عن الظروف المناخية السائدة وما الى ذلك . وهذه البيئة تترك اثرها الواضح على شكل الظاهرة التاريخية ومدى اهميتها في المجرى العام لتاريخ الانسانية ، وهو الامر الذي يفسر لنا حقيقة ان النمط الحضاري في بيئة نهرية

---

(٢) ج . هرنشو . علم التاريخ ، ترجمة عبدالحميد العبادي ، طبعة دار الحداثة ، بيروت ، طبعة ثانية ١٩٨٢ ، ص ١٢٠

(٣) د. حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، طبعة خامسة ص ٣٣ .

فيضية «كبيئة العراق و... والصين مثلا لابد وان تختلف عن النمط الحضاري في بيئة صحراوية او جبلية او بحرية(٤) .

فحين يتحدث مؤرخ الاغريق الاول (هيرودوت Herodotus ٤٨٤-٤٢٥ ق.م) عن مصر - مثلا - يبدأ بوصف مجمل اوضاع هذه البلاد البيئية والاقتصادية والبشرية ، لينتهي الى القول : «ان مصر هبة النيل»(٥) ، لان هذا النهر مصدر حياة مصر ، وهي هبته الكبرى حتى «صارت موارد مصر لاتنضب»(٦) بسبب زراعتها المنظمة . ولقد تركزت حياة المصريين القدماء في واديها الضيق الخصب ، وعلمهم فيضانه المنتظم هندسة الري ، وجعلهم يدركون معنى الوحدة ومعنى التعاون في سبيل تحقيق المصلحة المشتركة ، والصحارى المحيطة بوادى النيل نظمت اتصال مصر بالعالم الخارجي ، وحددت هجرات الشعوب والجماعات اليها .

ومايقال عن نيل مصر يقال عن الرافدين - دجلة والفرات - اللذين خلقا شخصية العراق المتميزة ، وصار بلادا وارضا «للرافدين» عبر التاريخ ، وموطنا لاقدم الحضارات القديمة وارقاها منذ عهد سومر واكد وبابل ، ومركزا للاشعاع في الحضارة العربية الاسلامية لقرون عديدة .

ولعل من المفيد ان نضرب امثلة عن تأثير الموقع الجغرافي على تاريخ العديد من الدول . فموقع مصر جعل قيمتها تتأرجح في التاريخ بين الاهتمام والاهمال ، فأثناء العصور الوسطى جمعت مصر - ولاسيما في عهد المماليك - ثروات طائلة لمرور التجارة العالمية عبر اراضيها ، وبفضلها استطاعت ان تشيد حضارة

---

(٤) د. قاسم عبده قاسم ، الرؤية الحضارية للتاريخ ، قراءة في التراث التاريخي العربي طبعة دار المعارف ، مصر ١٩٨٥ ، ص ٤٠-٤١

(٥) د. حسن عثمان ، ص ٣٣

(٦) د. مصطفى ابو ضيف احمد ، مصدر سابق ، ص ١١

(٧) ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د. السيد الباز العريني ، طبعة دار الثقافة - بيروت ١٩٦٨ ، ج ، ص ٦٧٢

القديمة ، وان تقف بوجه قوى الغرب اثناء الحروب الصليبية وبعدها . ولكن حين تم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، تحولت طرق التجارة منذ اواخر القرن الخامس عشر ، فاصيبت مصر ودول اوربية كالبندقية بخسارة كبيرة ، واختلت ماليتها ، واضطرب نظامها السياسي ، حتى لم يقو السلطان الغوري على الوقوف في وجه القوات العثمانية ، وبذلك زالت دولة المماليك سنة ١٥١٧ م ، الا ان مصر استعادت مكانتها حين تم حفر قناة السويس عام ١٨٦٩ ، تلك القناة التي صارت محور نضال المصريين الى ان عادت مصرية بعد تأميمها في عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر عام ١٩٥٦ .

ووجود جزيرة صقلية في جنوب ايطاليا ، وفي وسط البحر المتوسط ، جعلها عرضة لغارات ومؤثرات بشرية وحضارية مختلفة ، فتأثرت باليونان والقرطاجيين والرومان والعرب المسلمين والنورمان والاسبان ، وامتزجت بها هذه العناصر المتنوعة وتفاعلت ، فأصبحت مغايرة لسائر انحاء ايطاليا وتطورت بها بذور حضارة جديدة تجلت في الفكر والعلم والادب في النصف الاول من القرن الثالث عشر ، وبذلك ظهرت في هذه الجزيرة احدى المراحل التي ادت الى بزوغ حضارة النهضة في ايطاليا واوربا(٨) .

ويلاحظ كذلك ان انفصال الجزر البريطانية عن القارة الاوربية قد حولها من بلاد نائية في طرف قارة كبيرة ، الى بلاد مستقلة بذاتها ذات نظم خاصة بها ، فموقعها الجغرافي الفريد منع اوربا من التدخل في شؤونها منذ قرون عديدة ، بعد ان قويت واشتد ساعدها ، وكذلك جعلها موقعها الجغرافي قادرة على ان تسيطر على البحار ، وتتدخل في الشؤون الاوربية تبعا للظروف ، وساعد ذلك على ان تصبح اكبر دولة استعمارية في التاريخ ، وامبراطورية لاتغيب عنها الشمس .

وحتى بالنسبة لسير المعارك العسكرية فأنه على علاقة كبيرة بالتضاريس الارضية فعلى الباحث ان يعرف هل كان مركز احد الجانبين المتحاربين افضل من

(٨) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٣٦

مركز المقابل ، وهل سيطر على المسالك المهمة المحاولة عن وصول الامدادات من رجال واسلحة ومؤونة الى العدو وسهولة وصولها اليه . فما يذكر عن خليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه قوله : وددت لو ان بيننا وبين العجم سدا ... حسبنا من الريف السواد . اني آثرت سلامة المسلمين على الانفال والغنائم(٩) . الا ان تتابع الانتصارات جعل الخليفة يواصل تحرير كل العراق وغيره ليعم نور الاسلام على تلك البقاع جميعا .

وكذلك يرتبط سير المعارك بأرض المعركة ، وهل كانت ارضا سهلة او جبلية ، وهل كان الجو ايام المعركة صحوا ام غائما مطيرا ام حارا قائظا . فاختيار صلاح الدين الايوبي لارض وزمان معركة حطين الحاسمة يدل على انه قائد بارع حين وضع خطة عسكرية اعطت ثمرتها المرجوة ، اذ جعل العدو الصليبي يصل الى ارض المعركة منهوكا ، ولاسيا انه قد حرضهم على الهجوم والقتال في مطلع شهر تموز ، وحال بينهم وبين امكانية حصولهم على الماء من ينابيع المنطقة ، اضافة الى تسميم وطم آبارها وصهاريجها(١٠) ، في حين كان المسلمون ينعمون بالماء الوفير والظل الظليل ، مكتنزين قواهم لساعة الفصل . واجتمع على الصليبيين المحتلين «حر الجو وحر الظمأ الشديد وحر القتال»(١١) .

وعلى ذكر عامل الجو ينقل عن نابليون قوله «ان برد روسيا وحر سورية هما العدوان اللذان عجزت عن قهرهما . والروس لم يهزموا نابليون ، ولكن هزمه القائد يناير - اي برد شهر كانون الثاني»(١٢) . وهذا ماحصل لهتلر عام ١٩٤١

---

(٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ط ١٩٥٩ ، ص ٢٧١

(١٠) ابن الاثير ، عزالدين علي الجزري الشيباني ، الكامل في التاريخ ، طبعة دار صادر - بيروت ١٩٦٦ ، جـ ١١ ، ص ٥٣٤

(١١) ابن شداد ، بهاء الدين يوسف الاسدي ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين» ، طبعة الدار المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٧٧ .

(١٢) محمد احمد حسونة ، اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية ، طبعة مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠ ، ص ٢٧

حين اوقف برد روسيا القارس زحف جحافل القادة الالمان عليها ، من بحر البلطيق حتى البحر الاسود . وساعدت العواصف الاسطول الانكليزي في التغلب على السفن الاسبانية (الارمادا) عام ١٥٨٨ ، مما ادى الى هبوط مكانة اسبانيا وارتفاع شأن انكلترا .

ومما يوضح تأثير الجغرافية الكبير في التاريخ مانلاحظه من تدخلها تدخلا حاسما في تغيير مجرى التاريخ ، فمثلا اعاق البحر تيمورلنك عن العبور الى اوربا اثر انتصاره على السلطان العثماني بايزيد الاول في موقعة انقرة عام ١٤٠٢ م ، وادى هذا الى عودته الى بلاده في اواسط آسيا ، فاستعادت الدولة العثمانية الناشئة كيانها ومكانتها واستأنفت توسعاتها(١٣) .

وهذه كلها امثلة توضح اهمية الجغرافية لدارس التاريخ ، وتبين الى اي مدى يرتبط احدهما بالاخر . فعلى الباحث في التاريخ أن يعرف الاحوال والعوامل الجغرافية المختلفة التي تحيط بالمجتمع او بالعصر او الموضوع الذي يدرسه ، على النحو الذي يزيد من امكانيته في البحث والدرس والفهم .

ولذلك نجد ان البلدانيين العرب الذين الفوا كتبا عديدة في هذا المجال لم يغفلوا الحديث عن اقاليم الارض وتقسيمها الجغرافي واهم ملامح كل اقليم على حدة ، فضلا عن الحديث عن محاصيل وهواء ومياه كل اقليم ونشاط سكانه الحضاري . فالناس هم منفذو العملية التاريخية ، والتاريخ هو مجال بحث نشاط الناس في الماضي على ارض معينة . لذا فأن الارتباط بين الانسان بوصفه فاعلا تاريخيا على ارضه ، وبين التاريخ الذي يهتم بدراسة الفعل الانساني ، ومحاولة تفسيره يبدو غاية في الوضوح والاهمية(١٤) .

---

(١٣) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٣٣

(١٤) د. قاسم عبده قاسم ، الرؤية الحضارية للتاريخ ، ص ٥٠

وتعود جذور الرأي القائل ان الجغرافية توجه التاريخ الى قرون سحيقة الى علماء وفلاسفة الاغريق ، وفي مقدمتهم (ابو قراط وارسطو) ، فقد ذكر الاول منهما (والمعروف بأبي الطب) هذا الرأي في نشرته المسماة «في اثر الهواء والماء والمكان في الجسم» ، والمح ارسطو الى هذا الرأي في كتابه المرسوم (السياسة) حين عد التقدم اليوناني في التفكير والسياسة ناتجا عن عوامل بيئية . اما عن الرومان فقد حاول سترابون Strabon في كتابه (الجغرافية) ان يعزو التقدم الروماني في عهده الى عوامل جغرافية(١٥) . وفي الفكر التاريخي العربي يذهب ابن خلدون مثل هذا المذهب ، ولاسيما مايتعلق بأسباب نجاح حركات التحرير والفتوح العربية الاسلامية(١٦) .

ولهذا بات امرا لايستهان به معرفة (ارضية) المجتمع والحضارة اللذين يقوم الباحث بدراستهما . وفي الفكر الجغرافي في الحضارة العربية الاسلامية صنفت مؤلفات غزيرة بهذا الشأن نذكر اهمها في :

المكتبة الجغرافية العربية :

١) الاصطخري ، ابراهيم بن محمد (ت بعد ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م)
كتابه (مسالك الممالك) وقد صنفه على اساس الاقاليم

٢) ابن حوقل ، احمد ابو القاسم البغدادي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)
ألف «صورة الارض» مرتبا حسب الاقاليم كذلك

٣) ابن خرداذبة ، عبيدالله بن عبدالله (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م)
وكتابه (المسالك والممالك) .

---

(١٥) د. نوري جعفر ، التاريخ مجاله وفلسفته ، مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٥٥ ، ص ٥٠-٥١ وانظر ول ديورانت ، مباهج الفلسفة ، ترجمة د. احمد فؤاد الاهواني ، الفصل ١٤ من الكتاب الثاني ، ص ٥٥

(١٦) انظر مايقوله محمد احمد حسونة في كتابه المذكور «اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية» .

٤) المقدسي ، شمس الدين محمد (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م)
وضع كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم)
ألفه بعد معايناته وجولاته في البلدان ، ولقاءاته بالعلماء والقضاة والفقهاء والادباء .

٥) الشريف الادريسي ، ابو عبدالله محمد (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م) لقب بـ (سترابون العرب) كتابه الثمين (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) .

٦) البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز القرطبي (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) وله «المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب» .

٧) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) كتابه المعروف (معجم البلدان) صنفه على حسب حروف الهجاء . وهو افضل ماألف في الادب الجغرافي عند العرب .

٨) ابو الفدا ، عمادالدين اسماعيل بن محمد بن عمر الايوبي (ت ٧٣٢ هـ /١٣٣٢ م)
صنف (تقويم البلدان) حسب الاقاليم .

وكما ألف العرب والمسلمون في الجغرافية فأن بعضا من المولعين بالاسفار قد قاموا برحلات جابوا خلالها الآفاق ، وكانت الرحلة من اهم عوامل الترابط والتواصل بين ارجاء الوطن العربي والعالم الاسلامي في العصور الزاهرة ، وقد تعددت اسباب القيام بالرحلة ، فمن زيارة مكة واداء فريضة الحج الى التجارة ، او حب الاستطلاع والاستزادة من المعارف عن عادات الشعوب وحياتها ، او القيام بمهمة كأن يكون الرحالة سفيرا للخليفة او السلطان .

ولعل اهم الرحالة العرب :

١) اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م) مؤرخ ورحالة قام برحلات طويلة في بلاد ارمينية وايران والهند ومصر وبلاد المغرب . وكتابه (البلدان) من اهم المؤلفات في ادب الرحلات .

٢) المسعودي ، علي بن الحسين بن علي البغدادي (ت ٣٤٥ هـ ٩٥٦ م) لقب بـ «هيرودوت العرب» . نشأ في بغداد وزار كل من ... ثم استقر اخيرا في مصر ، وتوفي بها . له (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ويعد سجلا هاما لرحلاته وما شاهده . وله مؤلفات ...

٣) البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد (ت ٤٤٠ هـ ١٠٤٨ م) ومؤلفه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ، وهو من مشاهير ... ، وكان يعرف لغات عديدة بينها الهندية واليونانية مما ساعده ... من المعلومات الجغرافية والتاريخية .

٤) الهروي السائح ، ابو الحسن علي بن ابي بكر (ت ٦١٢ هـ ١٢١٥ م) موصلي المولد ، عرف بكثرة اسفاره ، فزار بلاد الروم ... والقسطنطينية والهند . اتصل بالملك الظاهر بن صلاح الدين ... حلب ، كتابه «الاشارات الى معرفة الزيارات» .

٥) عبداللطيف موفق الدين البغدادي (ت ٦٢٩ هـ ١٢٣١ م) بغدادي المولد . يتضمن كتابه (الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) او (اخبار مصر) معلومات ... الاثرية من الناحية التاريخية . ويقع في المقالتين الاولى من ستة ... الثانية من ثلاثة فصول(١٧) .

٦) ابن جبير ، محمد بن احمد الاندلسي (ت ٦١٤ هـ ١٢١٤ م) في مشاهداته كتاب تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار ... بن جبير» .

بشار ... الاسلامي ... ، التقى

حماد الشاذلي ... الزيلي ... اثاته وصدق

زياتا .

---

(١٧) د. فاضلة حمزة الراضي ... كتاب (المورد ... البغدادي مطبعة الشعب ، بغداد ١٩٧٧ : جـ ١ ... ٤٧ هـ

والملاحظ ان بلاد المغرب والاندلس عرفت بكثرة الرحالين فيها ، ولعل طلب العلم وزيارة الاماكن المقدسة كان اهم مادفعهم الى الترحل نحو المشرق ، فظهر :

١) ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م)

وله كتابان في الرحلة هما (المغرب في حلي المشرق) و (المشرق في حلي المغرب) .

٢) محمد بن محمد العبدري البلنسي (اواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) وله (الرحلة المغربية) .

٣) عبدالله بن رشيد الونشريسي (ت بعد عام ٧٠٠ هـ/١٣٠٠ م) وله (الرحلة) .

٤) ابو حامد الغرناطي (ت ٥٦٥ هـ/١١٦٩ م)

وله «تحفة الالباب ونخبة الاعجاب» ، زار بغداد مرتين .

٥) محمد عبدالله بن محمد التجاني التونسي (ت ٧١٨ هـ/١٣١٨ م)

له (رحلة التجاني) .

٦) ابن بطوطة الطنجي المغربي (ت ٧٧٠ هـ /١٣٦٨ م)

له «تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار» المعروف بـ «رحلة ابن بطوطة» . وهو اعظم الرحالة العرب واشهرهم على الاطلاق ، لانه اكثرهم طوافا في آفاق الارض ، وعناية بسرد تفصيلات مشاهداته في الرحلات التي قام بها خلال ثلاثين عاما ، زار خلالها الهند والصين وكافة بلاد ماوراء النهر وآسيا الصغرى والقسطنطينية وبلاد القرم والبلغار ، وقد حج الى مكة اربع مرات .

الادب :

تعد كتب الادب معينا لاينضب للحقائق التاريخية ، لان الادب الصادق مرآة العصر تعكس مايجول في خواطر الادباء ، ولالقاء الضوء على احوال المجتمع ، ولاسيا في مسائل الذوق والعلاقات والعادات والمقاييس الاجتماعية والمعايير الخلقية ومستوى المعيشة ، وفي تصوير المناسبات في الاتراح والافراح ، كالاعياد والمناسبات الدينية ، واساليب الحياة ، واحوال المدن ، فضلا عن اننا نظفر فيها بعض الحقائق عن التاريخ وسير الاحداث والمعارك ، والواقع ان كثيرا مما نعرفه عن الدولة الاموية ـ مثلا ـ مستمد من كتب الادب(١٨) .

والملاحظ في كثير من كتب الادب طابع سرد النوادر والحوادث منسوبة الى شخصيات معروفة في التاريخ ، ولكن مثل هذه النسبة امر لايمكن الاطمئنان اليه ، نظرا لكون تلك الكتب قد صنفت اصلا لهدف غير تاريخي ، ولكن قد تظهر في ثنايا تلك النوادر حقائق تاريخية غير موجودة في كتب الاصول التاريخية

فالادب العراقي القديم ، على الرغم من قلة ماوصل الينا من آثاره ، يساعد الباحث في التاريخ على فهم نواح مختلفة من حياة العراقيين في القرون السحيقة وهو يفصح عن اماني البشر ، ويصور احلامهم ودخائلهم ، كما هي الحال في اسطورة كلكامش الشهيرة التي تتضمن العديد من الحقائق التاريخية ، رغم انها تروى باسلوب خيالي .

واوحت البيئة المصرية للكتّاب المصريين القدماء بالتعبير عن مشاعرهم بلغة ادبية مؤثرة . فكتبوا عن الآلهة وعن الحياة الآخرة ، وكتبوا في الغزل والغيرة والشجن ، ودونوا قصصا رسموا فيها حياة الابطال ، وكتبوا في الادب التعليمي . وهذه الصور الادبية تشرح حياة المصريين القدماء في نواح عديدة ، ولايمكن

(١٨) سيدة اسماعيل كاشف ، مصدر سابق ، ص ٧٥

ن يقبل على بحث ... يحهم دون ان يتذوق ما ... ات ادبهم ، والتي تعينه
عقليتهم وعاداتهم ... انهم وبذا ... تصبح در ... تاريخهم اسهل عليه
... .

... ماينطبق على الا ... العربي في ... صور الاسا ... ة السابقة ، لذا فأن
... ندعو الى دراسة ... الادب لفهم ... التاريخ ال ... ، واستنباط الحقائق
... منه . الا ان ذلا ... ب ان يتم ... ر لان تلك ... قائع التي ترويها كتب
... ن الرواة قد تناقل ... شاها ، ... يتم تسجيلها ... لا في عصور متأخرة ،
... ان هدف هذا ال ... فن المقا ... ة وتزجية ... قت وكسب الاعجاب
... لابطال والمواقف ... فلا ع ... ان عمد ... ة الى خيالهم في خلق
... المواقف وال ... ر من الاح ... غير التا ... ة . ومن هذه القصص
... ة وليلة) التي تزخ ... القصص التي تحدث في ب ... جوانبها عن الحياة في
... م ازدهارها الحضا ... وكذلك قص ... ابطال العرب قبل الاسلام ، مثل
... رف بن ذي يزن ... ة «عنترة ... شداد ال ... ي» وبعض القصص عن
... صد الروم البيزنط ... ين او عن (تغريبة بني ... ل) ونزوحهم الى شمال
... ، وبعضها عن ابطا ... في التاريخ الاسلامي ... قصة (الظاهر بيبرس)
... صر الذي هزم المغ ... في موقعة (عين جالوت)(...) .
المؤلفات العربية ... في الادب القصص نذ ...
... لحظ ، ابو عثمان ... بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) ، ومنها :
... (البيان ... تاب التا ... الحلاو ...) .
... الاندلسي ...
... في الحماسة ...
... خاقان ...

... ن عثمان ...
... اسماعيل ... بن احمد

(قلائد العقيان في محاسن الاعيان) .

والثعالبي ، ابو منصور (ت ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م)

يتيمة الدهر ، ثمار القلوب ، خاص الخاص وغيرها .

وللمبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد النحوي (ت ٢٨٥ هـ /٨٩٨ م)

الكامل في اللغة والادب .

ولابن عبد ربه ، احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م)

كتاب (العقد الفريد) .

وللتنوخي ، ابو علي المحسن بن علي القاضي (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) كتابه (الفرج بعد الشدة) و (نشوار المحاضرة) .

ولابي الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ هـ /٩٦٧ م) كتاب الاغاني .

وللابشيهي المصري ، شهاب الدين احمد (ت ٨٥٠ هـ/١٤٤٦ م) كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) .

وبعض من ذكرناهم وغيرهم من الادباء من اسهم في كتابة التاريخ بشكل او بآخر ، مثل : الجاحظ والمبرد وابن عبد ربه والثعالبي وغيرهم .

ومما يدخل ضمن كتب الادب ماكتبه بعض الادباء والمؤرخين عن خواطرهم على هيئة مذكرات فيها مالايستهان به من الحقائق التاريخية تتسم بالطابع الحيوي الشخصي .

نذكر منها ماكتبه اسامة بن منقذ المرشدي الكناني (ت ٥٨٤ هـ/١١٨٨ م) سليل امراء بلدة (شيزر) في الشام في كتابه الاخبار (الاعتبار) ، وقد كتبه على شكل الذكريات وليس المذكرات اليومية ، ويروى فيه بعض الطرف التي عرفها في حياته ، وعلاقاته مع الامراء والقادة الصليبيين.ومذكرات الفضل بن مروان الذي خدم المأمون ووزر للمعتصم ، وتوفي في اواسط القرن الثالث الهجري . وقد

كتب مذكراته وضمنها مشاهداته(٢١) . ومن كتب المذكرات ماكتبه عمادالدين الكاتب الإصفهاني (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١ م) في اكثر من كتاب مثل «البرق الشامي» و «عقبى الزمان» و «خطفة البارق» ولكن اشهر هذه الكتب هو «الفتح القسي في الفتح القدسي» . وقد كتب العلامة الشهير ابن خلدون مذكراته في كتاب اسماه (التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا» وتوقف عن كتابتها قبيل وفاته بأشهر .

ونحن نتحدث عن الادب لابد من وقفة خاصة عند الشعر، لانه مصدر ثر لدراسة تاريخ المجتمع ، ولاسيما في الفترة التي سبقت الاسلام ، حيث يصور الشعر جوانب من احوال العرب الاجتماعية والدينية والسياسية ، كما يصور طباعهم واخلاقهم . لذا عد شعر هذه الفترة بمثابة «ديوان العرب»(٢٢) . لانه سجل لعاداتهم وعقليتهم . وبه حفظت الانساب وعرفت المآثر ، وفيه ذكر لايام العرب ووقائعهم ، وهو لذلك مرآة تنعكس عليها صور حياتهم في السلم وفي الحرب(٢٣) . وقد اورد ابن هشام في (السيرة) طائفة من الشعر سجلت حوادث وقعت في الجاهلية والاسلام . وسجل الطبري في تاريخه ، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) والجاحظ في (البيان والتبيين) وغيرهم اشعارا تتضمن حوادث تاريخية مهمة(٢٤) .

وكذلك يعين الشعر الباحث التاريخي على تصور ماكانت عليه الحياة داخل القصور وفي المتنزهات وحول البرك ، وكثيرا مايتضمن الشعر اسماء ومواضع تساعد على تحديد المعالم [illegible] المراد دراستها ، كما فعل الشاعر الوزير ابن زيدون ، وقد ثار به [illegible] من قرطبة يوم العيد ، يحن الى ذكرياته

---

(٢١) ابن النديم ، الفهرست ، ط الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ ، ص ١٢٧

(٢٢) احمد امين ، فجر الاسلام ، الطبعة العاشرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٥ ، ص ٥٧ .

(٢٣) د. سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٢٣٥

(٢٤) د. عبدالله فياض ، التاريخ فكرة ومنهجا ، مطبعة اسد ، طبعة ثانية ، بغداد ١٩٧٧ ، ص ٢٣

مع ولادة بنت المستكفي [illegible](٢٥) . ومن قصيد[illegible] الحنين اسماء مواضع في قرطبة مثل «العقاب» ، الرصافة ، شمس ناصح ، [illegible] ، شهدة ، العقيق ، [illegible] مالك ، الزهراء ، واودية وانهر المدينة الجميلة .

ومن الامثلة على اهمية الشعر ودراسته كمعرفة مساعدة للتاريخ هو اننا علمنا ان لون راية صلاح الدين كان اصفر ، وذلك من قصائد الشعراء الذين تغنوا بانتصاراته على المحتلين ، ففي قصيدة للشاعر الحسن الشاتاني جاء في مطلعها :

ارى النصر مقرونا برايتك الصفرا فسر واملك الدنيا فانت بها احرى(٢٦)

ودواوين الشعراء العرب الكثيرة فيها العديد من الحقائق التاريخية النافعة . وقد اورد (مرغليوث) تفصيلات عنها ، وذكر ان قدماء المؤرخين كانوا يدونون الاشعار في كتبهم لانها كانت الشاهد على كبار الحوادث ، ومن القصائد التي لها دلالتها التاريخية ارجوزة ابن المعتز التي تصف حياة الخليفة المعتضد وعهده(٢٧) .

اللغة :

تتم دراسة اللغة والاستفادة منها ضمن العلوم المساعدة في ثلاثة محاور في الاقل :

المحور الاول : معرفة لغة البحث التاريخي الاصلية (اي لغة المصادر واللغة التي يستعملها الباحث) .

---

(٢٥) المقري ، شهاب الدين [illegible] بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٩ ، جـ ٥ ، ص ١٥٥

(٢٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، طبعة بيروت ، ٢١١/٧ ، البنداري ، سنا البرق الشامي ، طبعة بيروت ، ٢٥٠/١

(٢٧) د. فياض ، مصدر سابق ، ص ٢٣

فلابد لدارس التاريخ ان يلم الماما تاما بلغة اهل الموضوع صنّاع الحدث ، حتى يتسنى له قراءة مصادره بسهولة دون الاعتماد على احد من المترجمين او على كتب مترجمة لان هذه الكتب لاتشفي غليل الباحث ، ولان مايترجم الى لغة اخرى ليس كتب المصادر عادة ، بل كتب تبغي الحصول على الثقافة العامة ، او اطلاع القارئ على معرفة مهمة احدثت صدى في اوساط المفكرين والقراء . لذا فالراغب - مثلا - في الكتابة عن ناحية من تاريخ الاغريق لابد له من معرفة اللغة اليونانية القديمة ، ومن يرغب في الكتابة عن ناحية من تاريخ العصور الوسطى في اوروبا يلزمه ان يكون عارفا باللغة اللاتينية ، وهكذا بالنسبة لدراسة تاريخ عصر النهضة في ايطاليا ، او تاريخ الثورة الفرنسية او الاستكشافات الجغرافية او تاريخ الصين ، وكلما تعددت اللغات الاصلية او الحديثة التي يلم بها الباحث ، اتسع امامه افق البحث والاستقصاء ، واستطاع بيسر الرجوع الى الاصول او المصادر الاولى(٢٨) .

المحور الثاني : ينبغي على الباحث في التاريخ ان يعرف احدى اللغات الاوربية الحديثة المنتشرة على نطاق واسع (كالانكليزية او الفرنسية او الاسبانية وغيرها) وهذه اللغات غنية بتراثها المعرفي وبمؤلفات هائلة من الكتب ، وكتابة البحوث ، ونشرها في مجلات عريقة متخصصة بالمواضيع التاريخية . رغم ان هذه البحوث وتلك الكتب قد الفت للتعبير عن وجهات نظر الغربيين في تراث وتاريخ بلدهم .

المحور الثالث : خاص بفقه اللغة ، او الفيلولوجيا ، وعلاقته كعلم مساعد لدراسة التاريخ تزداد كلما بعد العصر الذي يدرسه الباحث ، فيتحتم عليه ان يلم بدقه اللغة ليستطيع ان يقرأ النصوص التاريخية التي تختلف لغتها عن لغة هذا

(٢٨) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٢٩

العصر ، ولاسيما ان اللغة ترتبط بواقع اجتماعي سياسي اقتصادي وثقافي .. الخ تتغير بتغير هذا الواقع ، ولان اللغة ليست قوالب جامدة او علامات حسابية او معادلات كيماوية متفق عليها ، بل انها كائن حي يتغير تبعا لظروف المكان والزمان ، وانعكاس لواقع المجتمع واداة للتعبير عن هذا الواقع نظرا لتغير الانسان واختلاط الثقافات .

وقد اهتم فقه اللغة بتصحيح النصوص المكتوبة وشرحها والتعليق عليها(٢٩) . ففي بعض الاحيان قد يدل اللفظ اللغوي على معنى محدد تماما ، كما يمكن ان يدل اللفظ على معان نسبية او متغيرة او متضادة ، وقد تدل كلمة واحدة على معان متفاوتة او مختلفة باختلاف استخدامها عند كاتب بعينه . وتبدو هذه الظاهرة شديدة الاهمية في دراسة التاريخ . ولذلك لابد من معرفة اللغة التي يقرأ فيها دارس التاريخ ، فضلا عن الدراية بما نال الفاظها من المعاني المتفاوتة او المختلفة ، حتى لايفسر مايقرأ على غير حقيقته(٣٠) .

الاقتصاد ، وكتب الاقتصاد العربية

الاقتصاد من العلوم الاساسية التي يساعد الالمام بها على دراسة التاريخ ، اذ ان العوامل الاقتصادية ذات اثر فعال في سير التاريخ ، فالثروة الطبيعية في بلد ما تحدد نوع الانتاج الزراعي والصناعي ، ونوع التبادل التجاري ومدى نشاطه ، وطريقة توزيع الثروة الطبيعية او الاموال ومدى تركزها في يد طبقة او طبقات معينة ، او مستوى توزيعها بين فئات اكثر عددا ، يؤثر في السياسة الداخلية لدولة ما ، ويؤثر في نظام الحكم فيها وفي الرخاء او الفقر ، وفي حياة الشعب ،

---

(٢٩) لردبيلد دي سوسور ، علم اللغة العام ، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ، مطبوعات دار افاق عربية ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ١٩

(٣٠) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٢٧

وفي علاقة فئات بعضها ببعض ، ويؤثر في مستوى العمران ونهوض الحضارة او تدهورها ، وتؤثر الظروف الاقتصادية في علاقة الدولة بالعالم الخارجي ، سواء اكان ذلك في الناحية الاقتصادية البحتة ، ام في العلاقات السياسية وكذلك تؤثر في مستوى قوتها العسكرية ومركزها في المجتمع الدولي .

وثمة امثلة كثيرة تدل على دور الاقتصاد الفعال في الحوادث التاريخية ، منها : ان الانقلاب العسكري الذي حدث في اوروبا في القرن الثامن عشر قد احدث ثورة في النظم الاقتصادية ، مما املى على دول اوروبا الغربية سياسة التوسع والاستعمار للحصول على المواد الخام والوقود باسعار رخيصة ، ولايجاد اسواق لتصريف المنتجات الصناعية .

وحاول كل من نابليون بونابرت وحكام انكلترا استخدام السلاح الاقتصادي ، ليقضي كل طرف على الاخر في ذلك الصراع العنيف الذي طال بينهما ، وكانت غزوة نابليون لمصر في ١٧٩٨ تهدف اساسا الى تهديد مركز انكلترا الاقتصادي في شبه القارة الهندية ، وكذلك فرض كل منهما على الاخر حصارا اقتصاديا لكي يحمله على الاستسلام والخضوع .

واذا كانت هذه الامثلة وغيرها تظهر اهمية الظروف الاقتصادية ، الا ان هذا لايعني ان العامل الاقتصادي لوحده يفسر التاريخ ، بل ينبغي على الباحث ان يلم بالعوامل الاخرى التي لها اهميتها في مجال التفسير .

هذا ويتطلب البحث التاريخي ان يطلع الباحث على طبيعة النظام الاقتصادي للمجتمع الذي يدرسه . وفي التراث الفكري الاسلامي ظهرت مؤلفات عديدة تعالج جوانب اقتصادية للدولة العربية الاسلامية من الناحية النظرية او الفقهية ، وهذه الكتب تسمى عادة بكتب الاموال او الخراج ، والخراج ضريبة فرضت على الاراضي المفتوحة التي ابقيت بأيدي اصحابها ، وكانت تدفع مالا او عينا من حنطة وعسل وزيت ، وكانت نسبة الخراج تحدد حسب ريع الارض الذي تحدده خصوبتها وقربها او بعدها من مراكز السكان ونوع المحصول . وكانت

رض السواد في العراق اغنى مقاطعات الدولة العربية لخصوبة تلك الاراضي ، كما كانت حال ارض مصر .

ولعل كتاب (الخراج) لابي يوسف القاضي ، يعقوب بن ابراهيم الكوفي الانصاري (ت ١٨٢ هـ/٧٩٨ م) قاضي الخليفة هارون الرشيد كان اشهر ماألف في هذا الصدد ، زغم وجود كتب تحمل اسم الخراج (او الاموال) . وقد ذكر ابن النديم في كتابه (الفهرست) ثمانية عشر كتابا حتى عهده في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وكانت هذه الكتب تحوي اشارات ومعلومات تاريخية ذات قيمة كبيرة(٣١) .

ومن الامثلة على هذه الكتب :

١) كتاب (الاموال) ، لابن سلام ، ابو عبيد القاسم (ت ٢٢٤ هـ/٨٣٩ م) ، وهو اهم ماوصل الينا مع الكتاب المذكور .

٢) (كتاب الخراج) ، لابن الماشطة علي بن الحسن (ت بعد ٣١٠ هـ /٩٢٢ م)

٣) كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧ هـ/٩٤٨ م) وهو كتاب معروف .

٤) وضمن المناحي الحضارية الاخرى في الدولة العربية الاسلامية ظهرت الى الوجود مجموعة من كتب الحسبة (الاحتساب) ، وهي كتب تعالج الامور العملية في طابع تعليمي يوضح واجبات المحتسب ، ولكنها لم تحو معلومات عن تاريخ هذه المؤسسة الادارية والخدمية الاجتماعية الكبيرة الاهمية ، الا القليل . ويعود اول تأليف في هذا المجال الى اواخر القرن الثالث الهجري . وبين كتّابه الكبار الماوردي البصري ، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ /١٠٥٨ م) .

---

(٣١) د. شاكر مصطفى ، مصدر سابق ، ٢٢٣/١

والامام الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ /١١١٧ م) . وألف عبدالرحمن الشيزري (ت ٥٨٩ هـ /١١٩٣ م) اهم كتاب في الحسبة اسماه «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» ، وكان الكتاب الام للكتب التي كثر تأليفها في بلاد الاندلس ومصر في العهد المملوكي ، وبلغ عددها اكثر من ثلاثين كتابا(٣٢) نذكر منها :

١) كتاب بنفس الاسم ، لابن بسام المحتسب

٢) معالم القربة في احكام الحسبة ، لمحمد بن محمد القرشي

٣) الحسبة في الاسلام ، لابن تيمية .

والفت كتب في (الفلاحة) مثل كتاب (ابن البصال) وكتاب ابن العوام الاشبيلي ، وكذلك ماألفه المقريزي في (النقود) ، ومجالات اقتصادية اخرى.

كتب السياسة :

وفي هذا المجال افرد مؤلفون عديدون كتبا خاصة شكلت تيارا فكريا في الفلسفة السياسية للدولة ، على الرغم من ان تلك الكتب اخذت في معظمها شكل الحكمة وابداء النصيحة وتوجيه الحكام وهوايتهم . وقد ازدوج فيها تأثير الدين ومعطيات الحياة السياسية ومبادئ الاخلاق .

وقد بدأت التصانيف في هذا الباب تظهر بوضوح منذ القرن الثالث الهجري فصاعدا وقد سميت هذه الكتب احيانا بآداب السلطان ، واحيانا بسياسة الملوك . وكان المؤلفون يذكرون في كتبهم الامثلة التي يلتقطونها من التاريخ للتدليل على صحة الرأي المطروح .

(٣٢) ن . م . ص ٢٢٠

ومن هذه الكتب :

١) كتاب اخلاق الملوك ، لوزير الخليفة المتوكل (الفتح بن خاقان البغدادي) الذي قتل معه سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م .

٢) كتاب التاج في اخلاق الملوك ، للكاتب الكبير الجاحظ ، وهو كتاب شهير فيه آراء سياسية لتنظيم العلاقة بين الملوك والحاشية والناس ، وقد اهداه الجاحظ للفتح بن خاقان الوزير المذكور .

٣) الطف التدبير في الرئاسة ، للخطيب الاسكافي (ت ٤٢١ هـ/١٠٣٠ م) .

٤) كتاب السياسة ، لهلال الصابي

٥) الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، وكتاب (سياسة الملك) للماوردي .

٦) التبر المسبوك في سياسة الملوك ، للغزالي

٧) حسن السلوك الى مواعظ الملوك ، لابن الجوزي البغدادي .

٨) وألف ابن مماتي المصري (٦٠٦ هـ /١٢٠٩ م) الوزير الايوبي وصاحب كتاب (قوانين الدواوين) كتابا اهداه الى صلاح الدين اسماه (كتاب حجة الحق على الخلق) بين فيه سوء عاقبة الظلم .

٩) وجاء في نهاية القرن السابع الهجري كتاب ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا الحسيني (ت ٧٠٩ هـ /١٣٠٩ م) المعروف بكتاب (الفخري في الاداب السلطانية) .

١٠) ولايخرج عن هذا المجال كتاب (المقدمة) النفيس لمؤلفه العلامة ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ /١٤٠٦ م) في بعض فصوله .

١١) وقد حذا حذوه ابن الازرق الفرناطي الاندلسي (ت ٨٩٦ هـ /١٤٩١ م) في كتابه (بدائع السلك في طبائع الملك) .

مؤلفات في الفروسية والحرب والسلاح والجاسوسية وطرق القتال .

تعد المكتبة العربية غنية بمثل هذه التآليف التي احتاجوا اليها نظرا لحالة التحدى المتواصل التي عاشتها الدولة العربية مع القوى الاجنبية . ويبدو من

تواريخ تأليف اكثر هذه الكتب ان الاهتمام بها قد زاد بعد العدوان الصليبي ، ثم العدوان المغولي على الوطن العربي · ومن هذه الكتب :

١) ماألفه الهرثمي الشعراني (صاحب الخليفة المأمون العباسي) كتابه الموسوم (مختصر سياسة الحروب) ·

٢) الهروي ، علي بن ابي بكر (ت ٦١١ هـ /١٢١٥ م)وكتابه (التذكرة الهروية في الحيل الحربية)

٣) الطرسوسي ، مرضي بن علي (٥٨٩ هـ /١١٩٣ م) معاصر لصلاح الدين الايوبي ، كتابه (تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة ··)

٤) نجم الدين حسن الرماح المعروف بـ (الاحدب) ت ٦٩٥ هـ /١٢٩٦ م · وكتابه (الفروسية والمناصل الحربية) ·

٥) ابن جماعة الحموي (ت ٧٣٣ هـ /١٣٣٣ م)
وكتابه (مستند الاجناد في آلات الجهاد)·

٦) ابن منكلي المصري (ت ٧٧٨ هـ /١٣٧٦ م)
كتابه (التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية)

٧) ابن قيم الجوزيه (ت ٧٥١ هـ /١٣٥٠ م)
كتابه (الفروسية) ·
وكتب كثيرة اخرى ·

الوثائق :

ان علم الوثائق من العلوم المساعدة الاساسية لدراسة التاريخ · والوثيقة هي كل مايوثق كلامك ، وهي كل الاصول التي تحتوي على معلومات تاريخية دون ان ينحصر ذلك فيما دوّن منها على الورق · ولكنها في المعنى الدقيق الذي اصطلح عليه الباحثون في التاريخ ، هي الكتابات الرسمية ـ او شبه الرسمية ـ مثل الاوامر والقرارات والمعاهدات والمراسلات السياسية ، والكتابات التي تتناول

مسائل الاقتصاد او التجارة ، او عادات الشعوب او نظمهم وتقاليدهم ، وما يصيبهم من قوة او ضعف ، او المشروعات او المقترحات المتنوعة التي تصدر عن المسؤولين في الدولة ، او التي تقدم اليهم ، او المذكرات الشخصية او اليوميات(٣٣) .

وقد اولى الباحثان الفرنسيان (لانجلوا وسينوبوس Langlois & Seignobos) في بحثهما «المدخل الى الدراسات التاريخية»(٣٤) اهتمامها الكبير بموضوع الوثائق وعرفاها بأنها الآثار التي خلفتها افكار السلف وافعالهم . والقليل جدا من هذه الافعال والافكار هو الذي يترك آثارا محسوسة ، ان وجدت فنادرا ماتبقى ، لان عارضا بسيطا قد يكفي لزوالها ، وكل فكرة او فعل لايخلف اثرا ، هو امر ضاع على التاريخ ، كأن لم يكن البتة .

وبفقدان الوثائق صار تاريخ عصور متطاولة من ماضي الانسانية مجهولا ابدا اذ لابديل عن الوثائق : وحيث لا وثائق ، فلا تاريخ(٣٥) .

والبحث عن الوثائق من العمليات الاساسية في كتابة التاريخ ، وان كشف كمية من الوثائق الهامة عن موضوع معين ، هو الذي يحدد امكان الاستمرار في بحثه او العدول عنه الى موضوع اخر ، لاسيما في التاريخ الحديث . فالباحث حين يكتب تاريخا دون ان يحصل على مجموعة من الوثائق الاساسية الجديدة ، او التي لم يسبق استخدامها استخداما عمليا مكتملا ، فأن هذا يقلل من قيمة بحثه العلمية ، مهما بذل من جهود .

ومما يوضح اهمية الوثائق ان الفاتيكان (مقر البابوية في روما) عندما فتح ارشيفه للباحثين ، ارسلت دول اوروبية عديدة وفودا تضم متخصصين بدراسة

---

(٣٣) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٣٠

(٣٤) ضمن كتاب (النقد التاريخي) الذي يشمل ثلاثة بحوث لثلاثة مختصين ترجمها عن الفرنسية الدكتور عبدالرحمن بدوي ، الطبعة الثالثة ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٧ .

(٣٥) المصدر الآنف الذكر ، ص ٥

ونسخ الوثائق للاستفادة منها ، ووضع الفهارس للوثائق التي تهم تاريخ بلادهم . ومازال الباحثون في اقطار الوطن العربي لم يدركوا قيمة هذا العمل ، ليحذوا حذو الدول الاوروبية في قراءة ونسخ الوثائق التي تخص تاريخ بلادهم ، خصوصا مايتناول تاريخ البابويه في عمليات التبشير الديني ، او دورها الاساسي في توجيه وتنظيم الحملات نحو المشرق العربي في الحروب الصليبية ، وتمويلها بالرجال والمال والدعم المعنوي الكبير ، وكذلك دورها في اضطهاد العرب المسلمين في الاندلس ومطاردتهم ، وماتضمنته تقارير رجال الدين البابويين المنتشرين في المشرق والمغرب وعن احوال البلاد السياسية والاجتماعية والسياسية(٣٦) .

ويفتقر التاريخ الاسلامي الى الوثائق ، الا النادر المحفوظ في بعض المكتبات ولاسيا الوثائق المتعلقة بتاريخ بلاد المغرب في عصر المرابطين والموحدين ، تلك التي قرأها واعتنى بها ونشرها ليفي بروفنسال ود. حسين مؤنس ومحمود علي مكي في مصر ومدريد في الاعوام ١٩٤١ و ١٩٥٥ و ١٩٦٠ . وكذلك وثائق عن التاريخ الفاطمي جمعها وحققها ونشرها الدكتور عبدالمنعم ماجد في كتاب (السجلات المستنصرية) المطبوع في القاهرة عام ١٩٥٤ . وكذلك وثائق اوراق البردي العربية التي جمعها واعتنى بها (ادولف جرومان) وطبع بمصر في ١٩٣٤ .

اما مانشره بعض الباحثين تحت اسم (الوثائق) فليس سوى مااستخرجوه من رسائل متبادلة بين بعض الجماعات المختلفة ، والاوامر والقرارات والاتفاقيات ، التي نشرت مضامينها في كتب الاصول ، وهي ليست وثائق بالمعنى الاصطلاحي للوثائق . ومن هذه المنشورات ماجمعه محمد حميد الله في كتابه (الوثائق السياسية ـ وثائق عهد الرسالة)(٣٧) ، ود. محمد ماهر حمادة في كتاب «الوثائق

(٣٦) د. مصطفى ابو ضيف احمد ، منهج البحث التاريخي ، ص ١٤٩

(٣٧) طبعة دار الارشاد ـ بيروت ١٩٦٩

الاختام

للاختام علاقة بالوثائق ، لانها تمهر بها . وهي ذات انواع واشكال مختلفة ، فمنها المستدير ومنها البيضوي (البيضي) ومنها ماله شكل المثلث او المعيني او على شكل القلب او الصليب . وقد شاع استخدام اختام الشمع منذ ازمان بعيدة ولاتزال مستخدمة حتى الان . وقد استعملت في صنعها انواع من المعادن ، فوجدت اختام مصنوعة من الذهب عند ملوك الكارولنجيين في فترة العصور الوسطى في اوروبا ، وظلت هذه الاختام تستخدم عند بعض الاسرات الحاكمة حتى ازمنة حديثة . ومعرفة انواع الاختام تفيد الباحث في التثبت من صحة الوثائق(٤٠) . اضافة الى مايستنتجه الباحث عن العهد الذي يبحث فيه من ناحية القاب الحكام من الاباطرة والملوك والامراء وشعاراتهم والعبارات الخاصة التي يستعملونها في تواقيعهم . والامثلة كثيرة على ذلك ومنها تواقيع الخلفاء العباسيين والعبارات الخاصة لكل منهم . وكذلك كانت للملوك وامراء اوروبا شاراتهم وتواقيعهم ورموز اسرهم الحاكمة . ويلحق بالاختام الشارات التي تنقش على الدروع Heraldy ، وعلى الاعلام وملابس النبلاء والفرسان المحاربين . وقد استخدمت هذه الشارات في الحضارات القديمة ايضا وفي العصور الوسطى والعصور العربية الاسلامية وفي العهد العثماني(٤١) .

علم النقود (السكة ـ النميات)

علم النقود من العلوم الهامة المساعدة في دراسة نواح عديدة من التاريخ نوجزها بما يأتي :

---

(٤٠) د. طه حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٣١

(٤١) طه باقر ود. عبدالعزيز ، مصدر سابق ، ص ١٢١

السياسية والادارية السائدة للعصر العباسي الاول»[٣٨] ، وغيرهم من المعنيين باستخراج الوثائق من بطون الكتب ·

اما التاريخ الحديث ففي بوثائقه المنتشرة في المراكز المتخصصة بجمع وحفظ الوثائق او في حوزة اصحاب العلاقة ·

ونذكر على سبيل المثال ماجمعه ورتبه الدكتور أسد رستم في (المحفوظات الملكية المصرية) وكتاب فردناند توتل (وثائق تاريخية عن حلب) ، والدكتور عمر عبدالسلام التدمري (وثائق المحكمة الشرعية بطرابلس) ··· الخ ·

هذا ويدخل ضمن الوثائق طائفة من اللقى المادية المصنوعة من الاحجار والاخشاب والمعادن كالحديد والبرونز والنحاس او الذهب والفضة · وهذه اللقى مهمة جدا ولاسيما لدراسة تاريخ الاحقاب التي سبقت اكتشاف الكتابة ، وكذلك النقوش التي رسمت عليها ، او الكتابة التي دونت عليها منذ اكتشافها · (وسنتحدث عن ذلك في موضوع الآثار) ·

وللاستفادة القصوى من الوثائق ينبغي على دارس التاريخ ان يتعلم الاسلوب والمصطلحات الخاصة بوثائق العصر الذي يبحث عن تاريخه · ولابد له من ان يعرف نوع القلم المستعمل في الكتابة ونوع الحبر والورق كذلك · وتستخدم وسائل علمية عديدة (كيماوية وفيزياوية) في فحص الخط والحبر والورق ، ومعرفة عمر الورق والكتابة عليه بواسطة المجهر والتحليل الكيميائي ، والاستعانة احيانا ببعض الاشعة الحمراء والبنفسجية لاظهار الخطوط غير الواضحة او المطموسة او المغيرة عمدا[٣٩] .

---

(٣٨) طبعة دار الرسالة - بيروت ١٩٧٩

(٣٩) انظر جاك شوميه ، اصول التوثيق ، ترجمة انطوان عبده ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ١٩٧٤ ، ص ٤٤-٥٠ ، هذا وسنتحدث عن الوثائق في موضوع جمع المعلومات ·

١ـ ان صناعة العملة بحد ذاتها تعكس ماوصل اليه البلد المعني في مضمار التقدم الحضاري من حيث متانة العملة وذوق الشرفين على السك في رسم الاشكال المطلوب رسمها واختيارها . ومن ثم فأن صور الاشخاص والحيوانات والزخارف والنبات وفنون الكتابة تعكس جانبا من اهتمام المجتمع وتوجه ابنائه العقلي والوجداني والاجتماعي ، وكذلك السياسي .

٢ـ ان الكتابات التي تطبع على وجهي العملة لها علاقة وثيقة بتاريخ الدولة صاحبة العملة ، فهي تزود الباحث بمعلومات موثقة من حيث سكها وعمله ، فكثيرا ماصححت النقود اخطاء اوردتها مصادر التاريخ من القاب وحوادث وسنوات حكم وغيرها . بل ان النقود تكشف لنا احيانا عن وجود دولة معينة لم يشر اليها مصدر تاريخي او آثاري ما(٤٢) . هذا على الرغم من وجود عملات سكت من اجل الدعاية ، وعلى الباحث ان يكون واعيا وينتبه الى مثل هذه القطع النقدية . وخير مثال على ذلك ما سكه الفاطميون(٤٣) من قطع نقدية عام ٣٤١ هـ /٩٥٢ م ، اي قبل سبعة عشر عاما من انتقال حكمهم الى مصر وضمها الى دولتهم التي تأسست في تونس (افريقية) في اول عهدها ، وثبتوا على تلك القطع اسم مصر كمحل للضرب ، وذلك لاحداث تأثير نفسي في الشارع المصري(٤٤) .

والواقع ان العملة تكون احيانا المصدر الوحيد الذي يزود الباحث بمعلومات تاريخية ، بينما تسكت المصادر التاريخية المكتوبة لسبب او اخر . ومن هذه المسكوكات التي لها قيمة تاريخية في هذا المجال والتي تلقي ضوءا على جوانب مهمة

---

(٤٢) د. محمد باقر الحسيني ، النقود العربية ودورها في خلق مدرسة لفهم التاريخ ، مجلة (آفاق عربية) ، العدد ٩ لسنة ١٩٨٨ ، ص ٧٦

(٤٣) حكم الفاطميون مصر في الفترة بين ٣٥٨ هـ /٩٦٩ م و ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م

(٤٤) د. محمد باقر الحسيني ، دراسة تحليلية عن نقود الدعاية والاعلام ، نقلا عن (طه باقر ود. حميد ، مصدر سابق ، ص ١٢٤) .

من التاريخ الاسلامي مسكوكات ضربت بأسماء خلفاء عباسيين بعد قتلهم او خلعهم على ايدي البويهيين الفرس . فثمة دنانير ضربت في صنعاء بأسم الخليفة المستكفي بالله العباسي ، وعليها تاريخ سنة ٣٢٦ هـ و ٣٣٨ هـ ، ذلك الخليفة الذي خلعه البويهيون عام ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م(٤٥) . والسبب في ضرب هذا الدينار هو ان (بني يعفر) الذين حكموا بلاد اليمن في تلك الفترة لم يعترفوا بهذا الخلع ، بل انهم استنكروا مافعله البويهيون بالخليفة ، على الرغم من ان ارتباط اليمن بالخلافة العباسية كان رمزيا(٤٦) .

وهناك امثلة عديدة تؤكد ان الجماعات المختلفة قد سكت نقودا لها لاظهار قوتها ، وهذا يعني ان هذه الجماعات قد أولت موضوع السكة الكثير من اهتماماتها ، والسبب هو محاولة اضفاء الصفة الشرعية على حركتها او الفكرة التي يدعون اليها . ومن هذه القطع النقدية ما سكه العباسيون قبل انتهاء العهد الاموي ، وكذلك مافعله الخوارج والقرامطة ضد العباسيين(٤٧) .

٣ـ ان المسكوكات تساعد كثيرا على دراسة النشاط التجاري للدول . فالعثور على قطع من العملة الصينية في شرقي افريقيا ، واعداد من العملة العربية في شمال غربي اوربا ، واخرى من العملات الايطالية في المشرق ، دليل على مدى نشاط التجارة بين هذه المناطق المتباعدة من العالم اثناء العصور الوسطى .

٤ـ ان المعدن الثمين الذي يكون اساس العملة ، ووزن العملة ، وعيارها ووجود العملات الزيف (البهرج) او مايسمى بالعملات السود ، لاستعمال المعادن الرخيصة

---

(٤٥) مجلة المسكوكات ، العدد ٢ سنة ١٩٦٩ ، ص ٤٤

(٤٦) انظر طه باقر ود. حميد ، مصدر سابق ، ص ١٢٥

(٤٧) د. عبدالعزيز حميد ، درهم فريد لابي علي الكرماني ، مجلة المسكوكات ، بغداد ، العدد ٤/ لسنة ١٩٧٤ ، ص ٢٦

ود. محمد باقر الحسيني ، دراسات وتحقيقات اسلامية عن نقود الثوار ، مجلة المسكوكات بغداد ، العدد ٥/ لسنة ١٩٧٤ ص ٤٨

في صناعتها ، واختلاف احجام واقيام العملات ، واستعمال الدنانير المثلومة (القراضة)(٤٨) ، كلها امور لها دلالاتها في دراسة التاريخ الاقتصادي للدولة .

٥ـ ان الرسوم المطبوعة على النقود تحوي معلومات عن معتقدات اهل البلاد ، ومشاهد من حياتهم الاجتماعية وانظمتهم السياسية . وبالنسبة للنقود الاسلامية فأن لها اهميتها فيما يخص التشريع والعبادات والمعاملات ، لما لها من صلة بالزكاة والصداق والعقود والعقوبات والدية وغيرها(٤٩) .

وظهر بين الكتّاب العرب المسلمين من اهتم بموضوع النقود في تأليفهم ، منهم قدامة بن جعفر ، واليعقوبي ، والمقدسي ، والادريسي ، والبلاذري ، وابن خلدون وابن بطوطة والقلقشندي ، فتناولوا في كتبهم موضوع النقود في نبذ عرضية او فصول خاصة فيما عدا المؤرخ المصري الكبير المقريزي الذي خص النقود بكتاب مستقل ضمن مؤلفاته الكثيرة اسماه «شذور العقود في ذكر النقود» .

علم الآثار ـ اركيولوجي

علم الآثار من العلوم المهمة التي ظهرت الى الوجود في الحضارة الحديثة قبل زهاء قرن ونصف القرن (منتصف القرن التاسع عشر) ، وهو يبحث في المخلفات الاثرية بمختلف انواعها ولكافة العصور السابقة وذلك بالتنقيب عنها واستخراجها من باطن الارض بالاساليب العلمية المتبعة ، ودراستها والحصول على المعلومات التاريخية عن احوال الماضي .

فمعرفتنا بحضارة بلادنا «وادي الرافدين» في العصور التاريخية قد استحصلناها من مصدرين بنسب متساوية تقريبا هما دراسة البقايا المادية من ناحية ،

(٤٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، طبعة بيروت ، ٤/١٥٠

(٤٩) د. الحسيني ، مجلة آفاق عربية ، المقال المذكور ، ص ٧١

والكتابات القديمة من ناحية اخرى . اما عن العصور الطويلة التي سبقت اكتشاف الكتابة في حدود (٣٥٠٠ ق . م) فأن معلوماتنا مستمدة من الآثار التي تم الحصول عليها بأعمال الحفر والتنقيب عن الآثار(٥٠) لهذا افردت لعلم الآثار مكانة خاصة ضمن العلوم المساعدة الاساسية ، لان الآثار اوثق وسيلة لجمع المعلومات التي لايتطرق اليها الشك .

ويضم علم الاثار مختلف انواع الابنية وفنون العمارة ، والموسيقى والفنون والزخارف والادوات والصور والتماثيل والتحافيات التي استعملها الانسان في ادارة شؤون حياته . كما ان هذا العلم قد أماط اللثام عن حضارات وثقافات عديدة لم تكن معروفة سابقا ، اذ لم يشر اليها مصدر تاريخي ما . وظهرت في وقت لاحق دراسات جديدة عن الحضارات هي الدراسات المقارنة ، مما مكن الباحثين في التاريخ وفي فلسفة التاريخ من اقامة دراساتهم المقارنة على اسس سلمية .

ثم ان الطرق والوسائل العلمية التي اهتدى الى استنباطها الباحثون في حقل الدراسات الاثرية مثل تعيين ازمان الطبقات الاثرية التي تكتشف في اثناء التنقيبات ، كل ذلك وغيره من منهج البحث الاثري يمكن الباحث التاريخي من الاستعانة بها في جمع مادته ومصادره ، والافادة منها في دراساته التاريخية(٥١) .

---

(٥٠) سيتون لويد ، آثار بلاد الرافدين ، ترجمة د. سامي سعيد الاحمد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٦ .

(٥١) طه باقر ود. حميد ، مصدر سابق ، ص ١٢٤

الفصل السابع

اصول البحث التاريخي

اولا : اختيار الموضوع المناسب

ان اختيار موضوع البحث يعد مرحلة اساسية من مراحل الكتابة التاريخية . وحين يتم ذلك فأن الباحث «الطالب» يكون قد استقر عند عنوان محدد ، ويكف عن البحث عن الموضوع ليتفرغ الى كتابة ماختاره ويبدأ بجمع المعلومات عنه .

وفي البحث الذي يكتبه الطالب الجامعي ، او تقارير طلبة الدراسات العليا ، يحدث - بل يستحسن - ان يقوم الاستاذ بتحديد الموضوعات ويوزعها على طلبته ، وقد يترك للطلبة مجالا للاختيار والتغيير ، وهو بعمله هذا يسهل كثيرا من العبء على الطلبة ويوفر لهم وقتا وجهدا . والواقع ان هذا ممكن ومقبول في المراحل الاولى من الدراسة ، الا ان من الضروري ان يكون في مقدور الطالب اختيار موضوعاته بعد تلك المراحل ، خاصة اذا علمنا ان الجامعة تعد الطالب لعالم ارحب من عالم الصف ومحيط الكلية ، حين يتحول من طالب علم الى موجه لغيره ، لذا ينبغي زرع الثقة في نفس الطالب ، وخاصة في المراحل الاخيرة من الدراسة .

ان الغرض من البحث الجامعي الذي يكلف به الطالب يتمثل بما يأتي :

١) تنمية قدرات وكفاءات الطالب وتدريبه على اختيار موضوعه وصقل مهاراته في اختيار الحقائق الخاصة بموضوع بحثه .

٢) القدرة على كيفية استخدام المكتبة ، والالمام بنظام المكتبات ليستطيع الاستفادة من كتبها بسهولة ودون مساعدة احد ، ويميز بين كتب المصادر والمراجع حتى يتمكن من العثور على ضالته من المعلومات في بطون الكتب الاساسية بأيسر السبل توفيرا للوقت والجهد .

٢) تدريب الطالب على التعبير المناسب عن افكاره ، وافكار غيره بطريقة منهجية منتظمة وواضحة[١] .

لذا يكلف الطالب في المرحلة الجامعية بكتابة بحثه لا لكي يأتي فيه بجديد ، بل لكي يتمرن ويحلل بعض النصوص التاريخية بهدف التدريب على كيفية اعداد وتنظيم العمل ، وكيفية اقتباس النصوص . فيكتب مثلا عن بعض جوانب معارك الردة ، او تعريب الدواوين ، او بعض معارك التحرير ، او المعتزلة ، او بعض جوانب الجيوش الاسلامية ، او عن عصر احد الخلفاء ، او النقود العربية ، او قيام دولة الموحدين في المغرب ... الخ ، وهو يعتمد في بحثه على قليل من المصادر «المراجع الاساسية» التي يرشده اليها استاذه ، او التي يستخرجها بنفسه من كتب المراجع .

ومن التدريبات المفيدة للطالب المبتدئ ان يختار كتابا تاريخيا ويقوم بتلخيصه بشكل جيد في حدود عشر حجم الكتاب الاصلي ، حتى يتعلم القدرة على الاستيعاب والتركيز فضلا عن المعلومات التاريخية ومايجنبه من الحصيلة اللغوية من قراءة وترجمة واقتباس[٢] .

ويمكن لطالب التاريخ ان يختار موضوعا معينا ، وليكن عن تاريخ صلاح الدين الايوبي ، معتمدا على مصادر - ولو قليلة .. اطلع عليها وجعلته يميل الى موضوع كهذا اكثر من غيره ، فيقتبس ويدون منها في اوراق . وينبغي ان يدقق في وضع ارقام صفحات الكتاب او الكتب التي اخذ منها على هوامش اوراق ، حتى يمكنه الرجوع الى تلك الكتب اذا اقتضى الامر ذلك . ثم يجمع ماحصل عليه من المعلومات جاعلا نصب عينيه التمييز بين مجموعاتها التفصيلية التي تتعلق كل منها بموضوع فرعي محدد ، ثم يقارن الطالب بين هذه المواضيع الفرعية . بعده

---

(١) د. احمد بدر ، اصول البحث العلمي ومناهجه .
وكالة المطبوعات / الكويت ، طبعة رابعة سنة ١٩٧٨ ، ص ١٧٩

(٢) د. مصطفى ابو ضيف ، مصدر سابق ، ص ١٤١

يعرض بايجاز نشأة القائد المذكور وشخصيته وتدرجه في المناصب ، ومورد مع عمه شيركو في استقرار الاوضاع الداخلية في مصر ، ودحر محاولات الصليبيين في الاستيلاء على مصر ، ثم توجهه الى الشام ، وطبيعة دولته وجيشه ، واوضاع المسلمين والصليبيين في عهده ، وعلاقاته مع القوى الاسلامية شرقا وغربا ، ومعاركه ، ولاسيما معركة حطين وتحرير بيت المقدس والساحل الشامي والفلسطيني ، ثم تألب اوربا عليه ، والحملة الصليبية الثالثة ، وسقوط عكا المريع وعلاقاته مع قادة الحملة ولاسيما مع ريتشارد قلب الاسد ملك انكلترا ، ثم معاهدة الرملة ، واخيرا وفاة صلاح الدين في دمشق · وسيتجاوز الطالب في هذه الحالة الكثير من التفصيلات والحركات المحلية ، ويكتفي بالمسائل الهامة ، سواء اكانت حوادث الحروب ام قضايا تخص وضع دولته الداخلية او العلاقات الخارجية ·

بعد ذلك يتدرج الطالب فيختار جزءا محددا من الموضوع العام المشار اليه مثل معركة حطين ٥٨٣ هـ /١١٨٧ م ·.فيبحث عن استعدادات صلاح الدين في التهيد للقاء العدو في معركة حاسمة ، ويتبع سير مصادماته والمعارك التي خاضها قبل حطين ، ثم تكتيك «استدراج العدو» الذي اتبعه في هذه المعركة ، واخيرا انتصاره الباهر على الغزاة المحتلين ·

فأختيار الطالب مسألة معينة من بين المواضيع المتعددة ، ودراستها بشيء من التفصيل ، سيجعل بحثه اكثر عمقا ، والمامه بتاريخ صلاح الدين وجيشه ومعاركه اكثر دقة ، ويصبح اقدر علميا ، وكتابته اكثر اتقانا · ان هذا التدرج سيعلمه ضرورة الاهتمام بالجزئيات ، مع عدم اغفال الروح العامة والنظرة الشمولية الى العصر الذي يدرسه ، اذ لابد من العناية بهاتين الناحيتين معا على اتساق وتوافق ·

هذا وحين يجد بعض الطلبة انفسهم في ظرف يفرض عليهم ان يبحثوا ويكتبوا ، يحسون بحيرة امام اختيار العنوان ، اما لجهلهم بكيفية الاختيار واما لكثرة الموضوعات التي يفكرون فيها وتشعبها ، فصار واجب من يتصدى للكتابة

التاريخية ان يعرف فيها وقتا كافيا حتى يستقر على مايريد ، ويضمن قدرته على المضي فيه . لان المواضيع المناسبة لاتفصح عن نفسها بسهولة ، كما لايصلح لانتقائها - عادة - اخرون غير الباحث نفسه . ان المواضيع المناسبة للبحث تكتشف في الغالب بعد جهود شاقة وعمل مستمر . وقلما تتيسر معرفة تلك المواضيع الا بعد الاطلاع على كتابات تاريخية جادة ومركزة ، والاعتياد على قراءتها[٢] . ولهذا صار تنفيذ بعض المتطلبات او الشروط ضروريا قبل الاقدام على اختيار الموضوع وكتابته نذكر اهمها :

أ - الدقة والوضوح :

اي ان يكون الموضوع محدودا لايحتمل الزيادة والنقصان ، ولايكتنفه غموض وابهام ، ليدل الطالب على عقلية مستعدة لبلوغ الهدف وخدمة الحقيقة والتاريخ ، عارفا بما يأخذ ، عالما بما يدع ، وتتضح هذه الدقة من العنوان الذي اختاره .

ب - الجدة او الابتكار :

ولابد من ان يكون البحث غير مطروق ، لكي تكون للطالب فيه شخصيته ، وليستحق منه جهدا حقيقيا في اعداده ، ولئلا يتعود الكسل او السرقة فتفوته الفائدة التي اقرت من اجلها الابحاث . ويتصل بالجدة ان يكون الموضوع ذا هدف معلوم ليصبح جديرا بالجهد المبذول .

ج - وفرة المصادر :

ينبغي على الطالب ان يفكر في المصادر التي تزوده بالمعلومات اللازمة ، لكي يطمئن الى مستقبل عمله ، وان الجهد الذي سيبذله لن يذهب سدى ، اذ ان

(٢) د. عبدالله فياض ، التاريخ فكرة ومنهجا ، ص ٤٨-٤٩

الموضوع الذي تقل مصادره بشكل حاد ، او الذي تكون معلوماته محصورة في مصدر واحد او اثنين ، لايصلح للاختيار ، لان العمل في مثل هذا الموضوع لايعدو ان يكون تلخيصا ، ولايزود الطالب خبرة باستعمال المصادر ، ولايهيء له دليلا على المراجعة والتقصي ،وهكذا لايصبح باحثا حقيقيا(٤) .

وقد يجد الطالب ان موضوعا ما لم يبحثه احد كما ينبغي ، وانه يميل اليه اكثر من غيره ، وانه ذو قيمة يستحق معه ان يتحراه . وفي مجال الاختيار يحتاج الطالب - كما يرى جوتشلك - أن يسأل نفسه الاسئلة التالية التي تقع في مجموعات اربع هي :

١- المجموعة الجغرافية : وتدور حول السؤال (اين ؟) ، ويعني تحديد البقعة التي يرغب ان يتناول تاريخها ، فيسأل : اية منطقة ارغب في دراسة تاريخها : العراق ، المغرب ، ايران ، اوروبا ؟ او تاريخ مدينتي ام مدينة اخرى ؟

٢- المجموعة الثانية : وتتركز حول الاستفهام (من ؟) اي من هم الذين أبغي ان ادرس تاريخهم ؟ العرب ام الاغريق ؟ اجدادي ام جيراني ، ام اعداء بلادي في التاريخ ، ام شخص معين بعينه ؟

٣- المجموعة الثالثة : وهي زمنية تتركز حول كلمة الاستفهام (متى ؟) اي : اية حقبة من الماضي اريد ان ادرس تاريخها ؟ القديم ، العصر العباسي ، القرن التاسع عشر ؟

---

(٤) د. علي جواد الطاهر ، منهج البحث الادبي
منشورات المكتبة العالمية ، بغداد ، ص ٦ / سنة ١٩٨٣ ، ص ٦٢

٤. المجموعة الاخيرة : وهي عملية او مهنية ، وتتركز حول كلمة الاستفهام (أي ؟) بمعنى اي الجانب اميل اليه اكثر من غيره . اهو الجانب العسكري ، ام الاقتصادي ، ام الاداري(٥) .

وكذلك يسأل الباحث نفسه في هذا المجال : ايها اميل اليه اكثر : بحث في مختلف المؤسسات في فترة محدودة ؟ ام بحث مؤسسة واحدة وتطورها عبر فترة طويلة ؟ وماهي مزايا وعيوب كل اسلوب ؟ وينبغي على الباحث ان يجنب نفسه ولوج ميدان لايشعر بميل تجاهه ، في حين ان الباحث اذا تناول في دراسته المجال الذي يميل اليه فأن ذلك سيجعله اقدر على العمل واقوى على كشف الحقائق التاريخية(٦) .

بعد ان ينتهي الطالب من عرض هذه الاسئلة على نفسه ، والاجابة على كل منها اجابة صريحة مقنعة ، فأنه سوف يشعر بالاطمئنان ، وسيصل الى نتيجة واضحة اخر الامر ، ويقف على مجال اهتمامه الخاص في الدراسات التاريخية ، ويصبح بوسعه ان يختار موضوع بحثه(٧) .

ومازال في تاريخ العراق ، وكذلك التاريخ الاسلامي ، موضوعات جديرة بالبحث . فرغم الدراسات السياسية فأن الموضوعات الحضارية من اقتصادية واجتماعية وثقافية ، ومواضيع عن طبقات المجتمع ونظام القضاء والتعليم ومكانة المرأة والمؤسسات المختلفة ، ومستوى المعيشة والاسعار .. الخ مازالت تنتظر من يبحث فيها . صحيح ان المعلومات غير متوفرة في بطون المصادر كما يطمح

---

(٥) جوتشلك ، لويس ، كيف نفهم التاريخ
ترجمة د. عائدة سليمان عارف ، د. احمد مصطفى ابو حاكمة
مطبوعات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - بيروت - نيويورك ، ١٩٦٦م ص ٧٨

(٦) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٥٨

(٧) د. محمد عواد حسين ، صناعة التاريخ
عالم الفكر ، المجلد ٥ / العدد الاول ، ص ١٢٨

الباحث ان يحصل عليها . الا ان التصانيف الجغرافية والفقهية واللغوية ، وكتب التراجم ومؤلفات الادباء مازالت تشكل منبعا ثرا تحتاج الى الباحث الدؤوب الذي يتمكن من استنطاقها .

وعلى الطالب قبل الاقدام على اختيار موضوعه ان يطمئن الى مصادره من حيث توفرها ، وان توفرت فمن حيث امكان الحصول عليها . فثمة مصادر خطية ووثائق يصعب الوصول اليها ، كأن تكون مصادر نادرة باهظة التكاليف ، او ان تكون ملكا لافراد يحرصون على أن لايطلعوا احدا عليها ، او ان المصادر ملك لفئات او لجماعات تحرص على عدم اطلاع الناس عليها ، ليكلا يساء فهم معتقداتهم من قبل هؤلاء ، او ان يكون المصدر ضمن الوثائق المحظور الاطلاع عليها في المحفوظات الحكومية لاسباب امنية(٩) .

والمكتبات التي يؤمها الطالب تختلف فيما بينها في انواع الكتب التي توفرها للباحثين ففي حين تحتوي مكتبات معينة على مجموعة كبيرة من الكتب التي يحتاج اليها الباحث ، نجد ان مكتبات اخرى لاتحوي الا على كتب متنوعة في ميادين العلوم المختلفة . ولايمكن ان تكون هناك مكتبة واحدة تحوي كافة الكتب التي تهم الباحث التاريخي . لذا يصبح من الضروري على الباحث القيام بجهود خاصة من اجل الوصول الى مصادره ، ولو عانى من اجل ذلك المشاق .

ويحصل ان يختار الطالب موضوعا او اكثر ، ويقدمه الى استاذه ليتفقا على ماهو مناسب ، ولكن قد يرفض الاستاذ الموضوع . فيعود الطالب يبحث عن غيره ، وقد يوسع من افق بحثه السابق ، ويغير بعض جوانبه ، او يبحث عن موضوع اخر ، للخيلولة دون رفض مواضيعه مرارا . وعليه ان يقبل كل هذه الاحوال برحابة صدر دون تذمر ، لئلا يدل على عجز او خور او ميل الى الراحة فيضيع على نفسه فرصة ان تكون له مكانة علمية .

---

(٨) د. ابو ضيف ، مصدر سابق ، ص ١٤٤

(٩) جوتشلك ، مصدر سابق ، ص ٨٢

وليعلم الطالب انه مايزال في مرحلة التعلم وكسب المهارة في مجال الكتابة ، وقد يستفيد من الموضوع الذي يرى انه ارغم على قبوله ، في حين لم يكن ليستفيد من الموضوع الذي اختاره ، وقد يرغم على ترك موضوع قطع في كتابته مرحلة ، لان امرا ما قد طرأ او اكتشف اخيرا ان الموضوع تم بحثه بشكل مستوف في جامعة اخرى :

هذا وتشتد قساوة مرحلة الاختيار كلما تقدم الزمن بالطالب ، واختار مرحلة جديدة من مراحل الدراسة العالية ، ونوعا جديدا من انواع البحث(١٠) . وعلى الطالب ان يعرف انه لايمكن له ان يبحث في اي موضوع كان ، اذ ان المطلوب منه هو ان يقوم بكتابة بحث اصيل مبتكر Original ، ويكشف عن حقائق تاريخية جديدة . فلايكون في مثل هذه الحال بناء على الرغبة لوحدها ، بل بناء على مايجب ان يبحث ، او مايمكن ان يبحث . لذا فأن مايقال : «ان الباحث لايختار الموضوع التاريخي ، بل ان الموضوع التاريخي هو الذي يختار الباحث» صار صحيحا بهذا المعنى . لذا كان على الباحث ان يرتاد المناطق المجهولة ، وان يشحذ اسلحته وكفايته ، ويتحدث ويفكر ، حتى ينبثق امامه الضوء الجديد(١١) ، ويسأل : هل الموضوع الذي فكر فيه يحتاج الى ان يبحث ؟ هل بحث بطريقة غير مستوفاة ؟ وهل عثر على اصول تاريخية جديدة تبرر اعادة بحثه مجددا ؟ فاذا اجاب (الطالب / الباحث) على هذه الاسئلة بالايجاب فمعنى ذلك ان الموضوع قابل للدرس والبحث .

وليس من الضروري دائما ان يحدد الباحث عنوان الموضوع المختار منذ بداية العمل ، وحسبه ان يحدد العصر والنواحي التي تصلح موضوعا للبحث في نطاق معين . اما التحديد النهائي للعنوان فيتم - في الغالب - بعد المضي شوطا في القراءة والبحث بتمعن . وعلى الباحث ان يحدد بصفة تقريبية العصر الذي يتناول

(١٠) د. علي جواد الطاهر ، منهج البحث ، ص ٦٤

(١١) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٥٧

تاريخه . وتحديد العصر مرتبط بتحديد الموضوع . ومن المستحسن الا يختار الطالب موضوعا طويلا . اذ ان اختياره لناحية او مسألة محددة يدفعه الى ان يجيد في كتابة موضوعه(١٢) . كما يمكنه من انجاز بحثه في وقت مناسب ، كما ان من الضروري ان يكون بحثه جزءا من موضوع عام مترابط البناء ، لكي يتسع المجال امام الباحث لمواصلة دراساته في المستقبل .

فمثلا لايجوز للباحث الذي يريد ان ينجز بحثا علميا تاريخيا ان يتخذ تاريخ الدولة الايوبية بأكمله موضوعا لبحث ، لانه موضوع طويل . فالايوبيون قد حكموا مصر والشام وغيرهما من سنة ٥٦٤ هـ /١١٦٩ م حين تولى شيركوه عم صلاح الدين أمر وزارة مصر في عهد الخليفة الفاطمي الاخير العاضد والى نهاية دولتهم في مصر سنة ٦٤٨ هـ /١٢٥٠ م . ودراسة هذه الفترة دراسة منهجية مع كشف حقائق جديدة عنها لايمكن ان تتم في سنوات قلائل واذا اصر الباحث على القيام بهذه المهمة فلن يكون عمله اكثر من تلخيص والكتابة على غرار ماكتب عن هذا الموضوع في المراجع السابقة . اما اذا خص بالدراسة جانبا محددا من الدولة الايوبية ـ كالجوانب التي ذكرناها آنفا ـ فأنه سيستطيع في هذه الحالة ان يسبر غور ارض موضوعه باجادة ، ويكشف عن حقائق تاريخية جديدة ، اضافة الى ان الوقت والجهد اللذين يخصصان لفترة تاريخية اقصر يأتيان بنتائج علمية اعمق وادق مما لو خصصا لفترة اطول . وان وضع مؤلف علمي دقيق عن تاريخ الدولة الايوبية بأكمله لايمكن ان يتم الا بعد دراسة جزئيات هذا العصر ، وبعد الكشف عن كل او اغلب الحقائق التاريخية التي يمكن الوصول اليها .

اما عندما يجد الباحث الامر معكوسا ، وان موضوعه ضيق النطاق بسبب اغراق في التخصص بحيث لايجد المصادر والمراجع اللازمة ، فعليه ان يوسع نطاق بحثه بصورة تتيح له مزيدا من المصادر والمراجع(١٣) .

---

(١٢) د. محمد عواد حسين ، مصدر سابق ، ص ١٣٩

(١٣) ن . م . ص

وما ان يستقر الطالب على موضوع حتى يسير دون توقف او استهانة بالعمل بدعوى ان الوقت المحدد له «الاجازة الدراسية / او مهلة البحث» كاف ، لان الاستهانة بالوقت والتاهل في العمل سيلحقان به خسارات اقلها ان توقفه عن العمل يقطع صلته بالبحث ، ويخسر عناصر المعايشة المثمرة باستطابة الراحة ومايسبب له ذلك من ارباك ، فما ان ينتبه الا ويجد ان الوقت قد ادركه وان المدة تقارب ان تنتهي ، فيسرع لاهثا دون ثمرة حقيقية ، ويؤثر هذا اللهاث على مستوى عمله ، فيبدو مشوشا ، ويكتب صفحاته في قلق واضطراب ، ولاينفع معه الندم ، فالبحث لايعرف التهاون .

ان نجاح (الطالب / الباحث الجامعي) في كتابة بحث ما قد يكون ذا اهمية ملحوظة سواء بالنسبة له او بالنسبة للكلية التي ينتمي اليها ، فبالنسبة للطالب قد يرتبط تخصصه في المرحلة التالية من دراسته العليا بموضوع البحث الذي كتبه في المرحلة الجامعية (الاولية) الذي اجاد وبرز فيه . وبالنسبة للكلية فقد يُلفت بحثه الاولي هذا نظر اساتذته الى تميزه فيتبناه الاساتذة ويرشدونه حتى يحصل على درجته العلمية المنشودة التي تؤهله ليتبوأ المكانة العلمية التي يستحقها في الجامعة مستقبلا(١٤) .

وعلى هذا يجب ان يحرص الطالب الطموح على ان يختار موضوعا حيا لايحصل به على درجة علمية (جامعية او عليا) فقط ، بل يفخر بنشره وتقديمه للقراء مستقبلا . ويبتعد عن الموضوعات التي تختفي في مكاتب اصحابها بمجرد حصولهم على الدرجة التي تقدموا لنيلها ، فليست المسألة ان يكتب الطالب رسالة ، او ينال درجة ، بل ان يخرج موضوعا مفيدا يكون جديرا بأسمه وتذكارا جميلا لانتفاعه من مرحلة الدراسة ، واثرا خالدا يتكأ والوقت الذي قضى فيه والعناء الذي تحمله من اجله(١٥) .

---

(١٤) د. ابو ضيف ، مصدر سابق ، ص ١٤١

(١٥) د. احمد شلبي ، كيف تكتب بحثا او رسالة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٥ / ١٩٦٦ ، ص ٢٤

ثانيا : خطة البحث :

ان وضع خطة او تصميم للبحث يعد عملا اساسيا في كتابة البحث ، لان الخطة قوام كل بحث علمي منهجي يراد له النجاح ، وهي تأتي مرحليا بعد اختيار البحث ، وقبل البدء بجمع المعلومات · وتصميم البحث في الواقع هو بثابة فهرست لمحتويات الموضوع ، وهو الهيكل العظمي الذي يبنى عليه البحث · ولعل من المفيد ان نشير الى ضرورة قيام الطالب بالاستفادة من تجارب وخبرات الاخرين الملمين بكتابة البحوث ممن سبقوه ، والذين كتبوا عن موضوع مشابه لموضوعه ، سواء في طبيعته او المنهج الذي اتبعوه · وان البحوث او المقالات التي تحتويها الموسوعات المعتمدة عن موضوع ما تعد من بين المادة العلمية التي ينصح الطالب بقراءتها قبل وضع خطة لبحثه · ومن اشهر الموسوعات المعتمدة : دائرة المعارف الاسلامية ، وموسوعة الدين والاخلاق ، وموسوعة العلوم الاجتماعية ، ودائرة المعارف البريطانية ، والامريكية ، وغيرها · كما ينصح الطالب ان يطلع على الرسائل الجامعية ليستفيد من خبرات اصحابها ويستأنس بها حين يضع خطة رسالته · على ان يختار الطالب من بين تلك الرسائل الرسالة المناسبة له(١٦) .

والواقع ان الموضوع الذي وقع اختيار الطالب عليه يؤثر الى حد كبير على طبيعة الخطة التي سيضعها ، اضافة الى ان شخصية وثقافة الطالب تؤثران في تفاصيل الخطة فلكل باحث شخصيته التي تترك بصماتها على الخطة ·

ولكن ينبغي ان تتوفر في الخطة مجموعة من العناصر الضرورية منها :

(١) عنصر الابتكار : اي الا تشبه الخطة اية خطة سابقة في تفاصيلها

(٢) عنصر الشمولية : اي ان تشمل الخطة جميع النقاط المهمة التي ينوي الباحث دراستها ·

(٣) عنصر الملاءمة : اي ان تكون الخطة ملائمة لطبيعة الموضوع المختار ·

---

(١٦) د· فياض ، مصدر سابق ، ص ٥٣ و ٥٤

(٤) وعنصر المرونة : اي ان يكون في مقدور الطالب تغيير بعض جوانب الخطة او حذفها او الاضافة الى محتوياتها ، اذا تطلبت الحاجة ذلك وظهرت حقائق جديدة او آراء جديدة تستوجب الاضافة الى الخطة .

ولابد لمن يريد وضع خطة ناجحة ان يكون ملما بجوانب موضوعه اولا ، وان يراعي قواعد ومقترحات وضعها المعنيون بمنهج البحث التاريخي ثانيا ، واهم هذه القواعد :

اولا - التبويب :

يكون تقسيم الموضوع وتجزئته الى وحدات معينة اول هدف يستهدفه الباحث من وضع خطة البحث ، ويراعي في ترتيب الاحداث ان يسبق اولها اخرها ، وان يؤلف من مجموع الاجزاء كيان كامل ناضج يشد بعضه بعضا ، وكل شيء يقود الى نتيجة(١٧) .

وفي هذا الصدد ينبغي على الباحث ان يقوم بتقسيم الرسالة الى فصول متدرجة حسب اهمية كل فصل من هذه الفصول ، ومن ثم فأن البحث المتزن يجب ان يكون متزنا لا في مضمونه فحسب ، بل وفي شكله وحجمه وحجم فصول كتابه ، بحيث لايطغي عنصر على عنصر ، ولا فصل على فصل ، ولا باب على باب(١٨) .

ويستطيع الباحث ان يضع الخطوط العريضة الاولية لدراساته وابحاثه ، ويشمل ذلك مايأتي :

١) وضع عنوان للمشكلة موضوع الدراسة .

٢) بيان المشكلات الرئيسية التي تتفرع عن هذه المشكلة (وكل مشكلة من هذه المشكلات الرئيسية المتفرعة تسمى فصلا) .

(١٧) نفس المصدر السابق ، ص ٥٥

(١٨) د. ابو ضيف : ص ١٤٥

٣) تقسيم كل مشكلة من هذه المشكلات الرئيسية الى مشكلات فرعية (كل منها يسمى قسما) .

ويجب ان يلاحظ ان يكون عنوان الرسالة طريفا ممتعا جذابا . ثم ان يكون ذلك العنوان ، وكذلك عنوان كل فصل ، وكل قسم قصيرا بقدر الامكان ، وواضحا تمام الوضوح ، وكذلك شاملا لكل مايستوعبه من جزئيات وتفاصيل(١٩) .

وعلى هذا فالعناوين العامة التي يحدد مدلولها لا قيمة لها على الاطلاق ، وعلى الطالب ان يتحاشى ان يكون عنوان رسالته مبهما او ضعيفا . فأن العنوان الضعيف او الغامض يدل على عدم قدرة الباحث على تركيز تفكيره في موضوع محدد ، وعدم تبلور الفكرة يعني انه لم يصل الى مستوى المعايشة مع موضوع ما ، لذا فأن المطلع الناجح (العنوان المتين) هو بمثابة نصف الفوز في مسألة التبويب . فبات من الضروري ان تتوفر في البحث الجدية والابتكار والدقة والوضوح ، كما يجب ان يكون محددا ، لا طويلا فيمل ، ولا قصيرا فيخل بالمعنى(٢٠) .

ويجب كذلك ان يخضع الباحث الفصول والاقسام في ترتيبها لاساس سليم وفكرة منظمة ، ورابطة خاصة ، كالترتيب الزمني مثلا ، او اهمية موضوع ما اكثر من غيره ، او نحو ذلك ، وليحذر الباحث من وضع الفصول والاقسام ارتجالا ، وعلى اسس غير منطقية(٢١) .

هذا ويتضمن التبويب المحاور الاتية .

١ ـ المقدمة :

ويشمل التعريف بموضوع البحث بشكل موجز ولكنه واف لاعطاء فكرة واضحة عن الموضوع ، كما تحتوي على الدوافع التي حدت بالباحث الى اختياره

(١١) د. شلبي ، مصدر سابق ، ص ٢٣

(٢٠) د. ابو ضيف ، مصدر سابق ، ص ١٤٦

(٢١) د. شلبي ، مصدر سابق ، ص ٢٤

دون غيره . وقد تكون المقدمة في بعض الكتب عبارة عن الفصل الاول من الكتاب . ومن المسائل المعمول بها احيانا ان يقوم بكتابة المقدمة شخص اخر غير مؤلف الكتاب ، كأن يكون احد اساتذته او احد الاشخاص المرموقين في ميدان الكتابة التاريخية . وفي هذه الحالة تكون المقدمة لها قيمة مستقلة عن الكتاب(٢٢) .

٢- دراسة مصادر البحث ومراجعه

من المعلوم ان الباحث يعتمد في دراسته على مجموعة من المصادر (الاصول) منها ماهو مخطوط ، ومنها ماهو مطبوع ، وكذلك يستفيد من المؤلفات الحديثة (المراجع) التي تتناول الموضوع من بعيد او من قريب ، ويجب على الباحث ان يراعي في تسلسل هذه الكتب بنوعيها اهمية كل كتاب ضمن الترتيب النوعي : التاريخ العام ، التراجم ، كتب البلدان ، الادب ، الفقه ... الخ . ويستوجب احيانا ان يستعرض الوثائق المهمة التي اعتمد عليها ، قبل ان يستعرض المصادر ، مع ملاحظة ان هذه الدراسة «الاطلالة» ليس المقصود منها التعرض بالتفصيل لحياة مؤلفي تلك الكتب او محتويات مصنفاتهم ، بقدر ماهي لتوضيح اهمية كل مصدر ، وعلاقته بموضوع بحثه ، والمعلومات الجديدة التي استقاها الباحث من المصدر والتي لاتتوفر في مصدر اخر سواء كان معاصرا او غير معاصر لموضوع البحث(٢٣) .

٣- تقسيم البحث الى ابواب وفصول :

لقد جرت العادة ان يقوم الباحث بتقسيم بحثه الى عدة ابواب او اقسام ، ثم يقسم كل باب الى عدة فصول ، مع ذكر عنوان لكل باب او قسم وفصل منها .

---

(٢٢) د. عياض ، مصدر سابق ، ص ٥٨

(٢٣) د. ابو ضيف ، مصدر سابق ، ص ١٤٦

وليس هناك اتفاق بين الباحثين حول عدد الابواب او الفصول التي ينبغي ان يحويها البحث . فتحديد عددها منوط بطبيعة البحث وغزارة المادة او قلتها . والمهم هو خلق تناسق وترابط بين عنوان البحث وعناوين الابواب والفصول ، وكذلك ايجاد توازن بين أحجام الابواب ، ثم الفصول ، وعلى الباحث الا يكثر من وضع العناوين الفرعية بشكل مخل ، لان ذلك سيقطع البحث ويقضي على تسلسل افكاره .

٤ـ الخاتمة :

وتوضع في نهاية البحث ، وتتضمن خلاصة ماتوصل اليه الباحث ، والتي تشكل اضافة جديدة الى المعرفة التاريخية في بعض جوانبها .

٥ـ الملاحق والجداول الايضاحية :

قد تقتضي طبيعة البحث اضافة صفحات الى نهاية البحث او الاطروحة ، ويكون قصد الباحث من هذه الاضافات توضيح جوانب معينة من عمله لايستطيع ان يوضحها في صلب البحث حتى يتحاشى الاستطراد ، او حتى لايقطع انسجام الموضوع وتسلسله . ويتم ذلك حين تكون الاضافة نصوصا طويلة لايستوعبها الهامش في اسفل الصفحة .

والواقع ان الباحث لايستطيع ان يقرر مقدما ان كان بحثه يحتاج الى ملاحق ، او الى جداول ام لا . الا انه حين يقطع مرحلة معقولة من عمله يصبح بوسعه ان يقرر ذلك . ولذلك فأن مسألة وضع الملاحق او الجداول مسألة احتمالية ، ولهذا فأنه لايدرجها بتفاصيلها في خطته(٢٤) .

---

(٢٤) وسنتحدث عن الملاحق بشيء من التفصيل في الفصل الاخير

ثالثا : جمع المعلومات

بعد اختيار الموضوع ووضع خطة للعمل البحثي ، ينتقل الباحث الى مرحلة اخرى هي بمثابة المرحلة الثالثة من مراحل كتابة البحث ووفق المنهج الصحيح ، ويقصد بها مرحلة جمع المعلومات التاريخية اللازمة لموضوعه . ويتم جمعها من الاصول والوثائق والمراجع اضافة الى المصادر الاخرى التي تكون العلوم المساعدة (الموصلة) الخاصة ببحثه .

والاماكن التي يرتادها الباحث لجمع المعلومات هي : المكتبات (الخاصة والعامة والشخصية) ودور الوثائق والمتاحف والمواقع الاثرية . وعلى الباحث ان يكون على دراية تامة بكيفية الاستفادة من هذه الاماكن التي تصبح بالنسبة له بمثابة المختبرات للعاملين في العلوم الصرفة .

وقد الفت كتب عديدة في مجال جمع المادة العلمية ، يتعلم منها الباحث افضل السبل لاستخدام المكتبات والحصول منها على المادة التي تهمه . ومع كل ماكتب حول ذلك فأن المكتبة بفهارسها المختلفة ، سواء أكانت فهارس للموضوعات او لاسماء الكتب او لاسماء المؤلفين ، هي انفع اداة للباحث . ومن تلك المؤلفات كتاب «المرشد الى كيفية الاستفادة من المكتبات» Guide to the Use of Libraries لمؤلفيه هتچنز وجونسون ووليمز Hutchins, Johnson & Williams .

وعلى الباحث ان يكون على دراية بمجموعة من اسماء الاعلام والمواضع والمصطلحات التي تدخل ضمن بحثه ، وعليه ان يرجع الى كتب التراجم وقواميس الاعلام وكتب البلدانيين ودوائر المعارف وغيرها ، للعثور على تلك الاسماء والمواضع ، ويحصل منها على معلومات .

ان تنوع مصادر جمع المعلومات يبين مدى ضرورة احتفاظ المرء بفهرس موجز للكتب التي لايمكن الاستغناء عنها لاي بحث جدي . ومن هذه الكتب :

١) قائمة باسماء قوائم الاصول (المصادر) والمراجع العامة ، ولاسيما تلك التي تكون اكبر نفعا في حقل التخصص .

٢) دائرة معارف رصينة اي حقل دراسته ٠

٣) قاموس جيد للاعلام ٠

٤) فهرس الدوريات التي سيكون اكثر رجوعه اليها ٠

٥) اشهر مجموعة للوثائق المنشورة في حقل تخصصه ٠

٦) دليل لمجموعة الآثار التي تهم بحثه ، كالبناني «القلاع والقصور ودور العبادة والجسور والمدارس وغيرها» والاسلحة بمختلف انواعها ، والملابس والمفارش والادوات المنزلية والكتابية وادوات الزينة والنقود والكتلوكات الخاصة بها ٠٠ الخ ٠

وكتب المصادر والمراجع العامة تفيد في اعطاء الباحث فكرة شاملة جامعة عن العصر الذي اختار منه موضوع بحثه ، وهي ايضا تمده بمراجع اخرى تعينه في عمله ٠ ومن الواجب ان يبدأ الدارس بالافادة مما كتبه السابقون في هذا المضمار ، والاطلاع على المراجع والمصادر التي استعانوا بها ٠

وعملية الوقوف على كل المصادر والمراجع عملية صعبة ، لذا يصبح من اللازم ان يلجأ الباحث الى كتب مؤلفة توضع تحت تصرف الباحثين تحوي اسماء الكتب التي تتعلق بموضوع معين سميت بقوائم المؤلفات او «الببليوغرافيات Bibliographies»(٢٥) ولقد اصدر الباحثون العديد من هذه القوائم منها ذات طابع التعميم ، وبعضها له طابع التخصص ، وبعضها يكتفي بذكر اسم المرجع واسم مؤلفه ومكان وتاريخ نشره وعدد صفحاته وبعضها الاخر يعطينا فكرة موجزة عن كل مرجع او مصدر مطبوع او مخطوط ، لكن كتب المراجع «الببليوغرافيات» هذه لاتحوي في الغالب اسماء البحوث المنشورة في المجلات المتخصصة والدوريات التي تصدر بمختلف اللغات ، ولهذا بات من الضروري مراجعة فهارس هذه المجلات للوقوف على مانشر بها من ابحاث في الموضوع او المواضيع القريبة ٠

وضمن عملية جمع المعلومات يدخل البحث عن الوثائق الخاصة بالموضوع(٢٦) وقد تكون الوثائق اساس او جوهر بعض الابحاث التاريخية ، ولاسيما في التاريخ الحديث ، ولهذا اولى الباحثان (لانجلوا وسينوبوس Langlois & Seignobos) في كتابهما (المدخل الى الدراسات التاريخية) الوثائق اهمية استثنائية اذ قالا : (حيث لا وثائق فلا تاريخ)(٢٧) اي لابديل عن الوثائق . واعلن اسد رستم :
«اذا ضاعت الاصول ضاع التاريخ معها»(٢٨) .

فمن الثابت ان التاريخ لايخترع اختراعا ، او يخلق من العدم خلقا ، انما يؤسس على الارث المكتوب الذي خلقته عقول وايادي صنّاعه ومدوّني اخباره . واذا تصورنا ان فترة من الفترات قد ضاعت اصولها وآثارها تماما لسبب او لاخر ، كالتدمير والحرق وغيرها ، فأن تاريخ هذه الفترة يضيع تماما هو الاخر . واي باحث يتصدى لكتابة اي تاريخ دون دراسة وثائق واصول هذا التاريخ لايعدو ان يكون ناقلا عن غيره ، فأن قيمة عمله تنعدم مهما انفق في النقل من جهد ووقت .

والواقع ان الوثائق والاصول والآثار تزداد اهمية كلما توغلنا في عمق التاريخ ذلك لان من يبحث في التاريخ الحديث قد يستطيع الافادة من روايات بعض شهود الاحداث ، فيقارن بينها ويصنفها ويتخلص منها الحقائق ، بينما لايجد

---

(٢٥) انظر «كتاب قوائم المؤلفات او البيليوغرافيات» لمؤلفه السيد نزار محمد علي القابم ، طبعة دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٢ .
والبيبليوغرافيا ، لمؤلفه لوين نويل مالكليس ، ترجمة بهيج شعبان ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ط ١ / ١٩٧٤

(٢٦) وقد سبق ان تحدثنا عن بعض جوانب الوثائق في فصل العلوم المساعدة .

(٢٧) في كتابهما المذكور ضمن كتاب (النقد التاريخي) الذي جمعه وترجمه د. عبدالرحمن بدوي ، ص ٥

(٢٨) د. اسد رستم : مصطلح التاريخ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٥٥ ، ص ١٠

الباحث في تاريخ العصور السالفة البعيدة «الاسلامية مثلا» سوى الاصول والآثار ليجعلها مصدره الاساس في بحثه .

ويعثر الباحث على مبتغاه من الوثائق والمحفوظات الخطية (المخطوطات) في المكتبات المتخصصة ومكتبات بعض الاسر العلمية وفي المتاحف والمساجد والكنائس . وقد جنّد عدد كبير من العلماء والفنيين ، ولاسيا في الدول المتقدمة التي تهتم بتراثها المكتوب (وغير المكتوب) للعناية بترميم هذه المحفوظات وفهرستها وتنظيمها لتكون في متناول الباحثين . ومع ذلك فهناك اكداس من هذه المحفوظات لم يتم تنظيمها وكشف النقاب عن محتوياتها(٢٩) .

جمع المعلومات في بطاقات

في جمع المعلومات تعتبر طريقة تدوين المعلومات على الجذاذات او البطاقات(٣٠) افضل الانظمة المستعملة في جمع المعلومات من المصادر . ووصفت بأنها اكثر من سواها ضبطا ودقة ، وايسر في التصنيف ، وانفع لدى استعمال المعلومات ، وابقى في امكان الاستفادة منها في مجال اخر لدى اللزوم(٣١) .

والجذاذة (او الجزازة كما في بعض الكتب) ورقة سميكة اشبه ببطاقات الدعوة الاعتيادية ، وتكون مخططة في اكثر الاحوال ، مستطيلة الشكل بأبعاد (١٣×٨ سم) عموما وقد تقل او تزيد . واهم من مسألة الابعاد هذه ان نلتزم باستعمال

---

(٢٩) د. محمد عواد حسين ، مصدر سابق ، ص ١٤٢

(٣٠) او مايسمى بـ «النطاقات» جمع نطاقة وتعني الرسالة او الورقة الصغيرة لانها تنطق بما هو مكتوب فيه . (المنجد في اللغة ص ٨١٦)

وكلمة جذاذة تقابل بالانكليزية كلمة Card ، وبالفرنسية Fiche اي كارت وفيشة بالعربية الدارجة ، د. فياض ، مصدر سابق ، ص ٧٠

(٣١) د. علي جواد الطاهر ، مصدر سابق ، ص ٨٩

بطاقات ذات حجم واحد ، لان اختلاف الاحجام من مجموعة الى اخرى لايحقق لنا مانرجوه من الدقة والنظام · ويمكنك ان تعد هذه الجزازات بنفسك اذا صعب عليك شراؤها(٣٢) · ويفضل استعمال بطاقات ذات الوان مختلفة ، لتخصيص لون معين لكل فصل من فصول البحث · ويساعد هذا على التميز بينها ولاسيما ان اعدادها تكون كبيرة ، ويصبح حينئذ اختلاط بعضها مع البعض الاخر امرا غير محتمل · وتشد تلك البطاقات بعد انتهاء النقل بأحزمة من المطاط الرفيع (اللاستيك) ، وتوضع مجاميع من بطاقات كل فصل ذات اللون الواحد في درج خاص اعد لهذا الغرض(٣٣) .

وذكر كنت Kent(٣٤) في موضوع جمع المعلومات قائلا : يشترط في من يستعمل نظام البطاقات ان يكون حريصا على نقل مسألة تاريخية واحدة فقط على ظهر كل بطاقة ، وهذا يوفر للطالب حرية العمل او الاختيار عندما يرتب بطاقاته قبل الشروع في التأليف · وحينما ينتهي الطالب من جمع المادة اللازمة له في بطاقاته ، يبدأ بفرزها وتوزيعها حسب التبويب المخطط من قبل ·

ومن المفيد ان نشير الى العلاقة الوثيقة بين المستوى العلمي لطالب واخر وبين مايدوّنه ويجمعه من معلومات · فالطالب المبتدئ الذي ينبري للكتابة لاول مرة ، والذي تنقصه مستلزمات اتقان صناعة التاريخ التي يجيدها الباحثون المتمرسون ، يجد نفسه اسيرا للمعلومات التي جمعها في متن البطاقات ، ويستمرئ هذا الوضع مادام يكتب بسهولة وسرعة على بطاقاته المنتشرة امامه · فيتصور والحالة هذه ان اتقان طريقة جمع المعلومات على البطاقات وترتيبها طبقا لما تتطلبه الصناعة التاريخية يؤهله لان يكتب بحثا · ولكن الواقع عكس ذلك · لذا فأن الطالب الذي مارس كتابة البحث يتمتع بسعة الافق ، فيتصرف باتزان

---

(٣٣) ن · م · ص

(٣٣) د· عبدالله فياض ، ص ٧١

(٣٤) Kent, Sherman, Writing History, N.Y. 1941 pp. 37-38

ويتلمس طريقه الصحيح بخطى ثابتة واكيدة ، وهذه صفات تجعله يكتشف ان ليس من الضروري ان يلتصق كليا بتلك البطاقات التي دوّن عليها معلوماته . فكتابة البحث التاريخي عملية خلق وابداع ، ولاتقف عند تكديس المعلومات المتناثرة . بل ان العمل البحثي يتطلب شيئا اساسيا ، ليس جمع المعلومات سوى الخطوة الاولى المهمة التي تؤدي الى الشيء الاساسي وهو مايقوم به الطالب من عملية تركيب وتأليف للمادة التاريخية ، تلك العملية التي هي من صميم عمل الطالب ومن مستلزمات نجاح مهمته(٣٥) .

تفريق البطائق :

عندما ينتهي الطالب من جمع المعلومات ، ويكون لديه عدد من حزم الجزازات (البطاقات) يساوي عدد المصادر (الكتب) التي اقتبس منها ، فكل حزمة تمثل مااخذه من كتاب . ويقوم الطالب بترتيب هذه الحزم حسب تسلسل المصادر الزمنية مبتدئا بالاقدم . ويحسن ان يلقي على هذا الترتيب الزمني نظرة اخيرة للتأكد من صحته ، واعادة الحزمة الشاردة الى مكانها . ثم يعيد الطالب فك احزمة بطاقاته ليصنفها حسب تسلسل مواضيع فصوله ، مبتدئا بما يتعلق بالفصل الاول ، ومنتهيا بجزازات موضوع الفصل الاخير . اما مايتبقى من جزازات منفردة (قد تكون كثيرة او قليلة) فيمكنه ان يجمعها في حزمة واحدة بعنوان (متفرقات) لانه قد يحتاج اليها ذات يوم ، وكثيرا مايحتاج اليها . ويعيد الطالب الحزم بترتيبها الجديد (على نقاط الخطة) الى العلب او الادراج التي سماها باسماء فصوله ، ويتهيأ للبدء بالمرحلة التالية الحاسمة (مرحلة الكتابة)(٣٦) . ثم يقف هنيهة ليمعن النظر في امر صغير ولكنه هام وهو اعادة فحص وتقويم الخطة التي تركها على ماكانت عليه بشكلها الاولي قبل اشهر ، قبل البدء بجمع

(٣٥) د. فياض ، مصدر سابق ، ص ٢٣

(٣٦) د. الطاهر ، مصدر سابق ، ص ٩٨

المعلومات ، ثم احتمال لضرورة احداث تحوير او تغيير في جزء او اكثر من اجزائها ، بما فيه من حذف او اضافة هنا او هناك ، او اجراء تقديم او تأخير في بعض جوانبها ، او تغيير بعض العناوين ، فتفكير الطالب بعد الانتهاء من جمع المعلومات هو ، بالتأكيد ، غير ماكان عليه قبل البدء بهذا الجمع . وليس ثم مايمنع من اجراء التغيير مادام ذلك لصالح العملية البحثية(٣٧) .

ثالثا: نقد المصادر

ما ان يكمل الطالب / الباحث جمع معلوماته حتى تبدأ مرحلة عقلية شاقة هي مرحلة نقد مصادر بحثه ، من آثار ووثائق واصول وكتب مختلفة ، ومصادر العلوم المساعدة ، ويتم النقد قبل ان يصدر احكامه على احداث التاريخ والكتابة عنها ، اذ ان الوصول الى الحقيقة هو الهدف الذي يجب على الباحث ان يتوخى بلوغه . وبعملية النقد يستطيع التميز بين كاتب واخر . فقد دوّن المؤرخون اخبار الاحداث التاريخية في تصانيفهم بشكل او بآخر الا ان كتاباتهم لاتمتاز بنفس الاهمية . فعلى الباحث عندئذ ان يضع في اعتباره وجود اختلاف بين مؤرخ ومؤرخ . والواقع ان تدوين الخبر يتم عبر احد طريقين : طريق مباشر بملاحظة الحوادث اثناء وقوعها ، وطريق غير مباشر بدراسة الآثار التي خلفتها تلك الحوادث فالمعلومات عن حدث ما يمكن معرفتها عن طريق مباشر من بعض شهود العيان . او بطريق غير مباشر بملاحظة الآثار التي تركها ذلك الحدث ، او بقراءة وصف كتاب سجله احد الشهود ، او سماعه من احد الرواة ، وهذا ماينطبق تماما على حوادث التاريخ .

فوصف المؤرخ عمادالدين الكاتب لمعاينته في حطين حيث اشترك في صفوف جيش صلاح الدين بصفته كاتب انشاء هذا القائد ، حين عبّر عما رآه تعبيرا

---

(٣٧) د. احمد شلبي ، ص ٦٧

حيويا ، يختلف عن وصف المؤرخ الشهير ابن الاثير الذي كان يراقب الحدث عن كثب وهو في الموصل ، ولكنه ارتأى ان يرتاد موقع المعركة في العالم التالي وكتب انطباعاته عن الحدث قائلا : ولقد اجتزت بموضع الواقعة بعدها بنحو سنة ، فرأيت الارض ملأى من عظامهم تبين على البعد ، منها المجتمع بعضه على بعض ، ومنها المفترق ، وهذا سوى ماجحفته «جرفته» السيول ، واخذته السباع في تلك الآكام (المرتفعات) والوهاد (الارض المنخفضة)(٣٨) .

لذا فأن الحوادث والاوصاف التي يسجلها الرحالة ـ على غرار مافعله الرحالة ابن جبير الاندلسي وعبداللطيف البغدادي حين وصفا قيام صلاح الدين بتحصين مدينة القدس وعكا للصمود بوجه الغزاة ـ مثلا ـ تمتاز في احوال كثيرة باعطائها دقائق وتفاصيل لاتتاح بسهولة لكاتب يكتب بعيدا عن ارض الحدث من حيث الزمان والمكان . على ان وجود كاتب يسجل الحوادث كشاهد عيان لايعني انه يستطيع الاحاطة بجميع نواحيها ، بسبب عامل الهوى والتحيز والخشية والرغبة في المنفعة ، ولعدم امكان الافصاح عن خفايا السياسة او الشؤون العسكرية في وقتها ، حرصا على مصلحة الشعب والدولة(٣٩) .

والواقع ان آثار الانسان المختلفة هي نقطة البدء ، والحقيقة التاريخية هي الهدف،وثم طريق طويل بين نقطة البدء والهدف تعتوره المصاعب والعقبات والاخطاء ، والتي تبعد الباحث عن بلوغ الحقيقة . ودراسة تلك الآثار ، من ابنية وتماثيل واسلحة وملابس ونقود اسهل من دراسة كتابات رجال العصر الذين دونوا اخبار حوادثه ، لان الكتابة عن حوادث تاريخية معينة تتضمن عنصر التأويل الفردي ، وهي اثر عقلي نفسي «سايكولوجي» وليست شيئا ملموسا بارزا ، وهي لاتعدو كونها مجرد تعبير عن اثر تلك الحوادث في ذهن من دوّنها . وبذلك تنحصر قيمة الآثار الكتابية في انها عمليات سايكولوجية معقدة وصعبة التفسير ،

(٣٨) ابن الاثير ، جـ ١١ ، ص ٥٣٨

(٣٩) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٨٢

لان الانسان نفسه ، على وجه العموم ، كائن معقد مركب متضارب صعب الفهم ، فلاريب ان يكون الكثير من حوادثه ومايعبر عنها على غراره(٤٠) . ومن هنا كان لزاما على الباحث ان يقوم بنقد مصادر بحثه للتمييز بين مؤرخ شاهد ، او ناقل عن غيره ، صادق او كاذب ، مع اثبات صدقه او احتمال كذبه .

واساس النقد هو الحذر والشك في معلومات كاتب الاصل التاريخي ، ثم دراسته وفهمه واستخلاص الحقائق من ثنايا هذا الاصل . ولقد استخدم كثير من المؤرخين الاصول التاريخية دون نقد او تمحيص . اذ انه اسهل على الانسان ان يصدق بغير مناقشة ، ويوافق دون نقد . ولكنه من غير المستطاع للباحث ان يصل الى الحقيقة التاريخية اذا لم يعمد الى النقد في كل مايقع تحت يده من انواع الاصول التاريخية ، وهو ماقد يستغرق زمنا ليس بالقليل(٤١) . ووجود روايات عديدة مختلفة يدل على وجود من يكذب بينهم ، وان اتفاق الروايات لايعني صدق مايروونه ، فقد يتفقون على ترديد ماهو كذب اصلا .

وقد اشار العلامة ابن خلدون الى ضرورة الشك في المرويات وعدم تصديق الخبر دون مناقشة وعاب على من لم «يرفضوا ترهات الاحاديث ولادفعوها ، لان التحقيق قليل والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل والتقليد عريق في الآدميين وسليل»(٤٢) . وخص ابن خلدون بالذكر «المسعودي والواقدي» ممن في كتبهم «من الطعن والمغمز ماهو معروف عند الاثبات»(٤٣) . وبعد ان يضرب امثلة على الروايات الملفقة يعود ليقول : «فلاتثقن بما يلقي اليك من ذلك ، وتأمل الاخبار

---

(٤٠) د. محمد عواد حسين ، مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

(٤١) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ٨٣

(٤٢) ابن خلدون ، المقدمة ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢ لسنة ١٩٧٩ ، ص ٢

(٤٣) ابن خلدون ، ص ٣

واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه»(٤٤) . وهذا عين مايطلبه المنطق العلمي من الباحث التاريخي ان يفعله .

وتقسم عملية النقد عادة الى قسمين اساسيين : النقد الخارجي (الظاهري) والنقد الداخلي (الباطني) .

(١) النقد الخارجي : External Criticism

اساس هذا النقد هو السؤال عن مؤلف الكتاب ، ومحاولة التأكد من صحة المصدر ونصوص الوثيقة عن طريق التثبت من خلوه من الزيادة والنقصان . وكذلك من التحريف . فالباحث التاريخي عندما يجابه مصدرا او وثيقة تعترضه حالات مختلفة تتعلق بشخص كاتب النص . فقد يكون المصدر الذي يستعمله هو النسخة الاصلية التي وضعها المؤلف . وعندئذ تخف متاعب الباحث ويبادر الى اعتماد نص هذه النسخة ، خصوصا اذا كانت سليمة لم تتعرض للتشويه والتلف(٤٥) .

ولكي يطمئن الباحث الى صحة المصدر يقوم بجملة اعمال او خطوات فنية بقدر ماتسعفه ادوات التحقيق ، وهذه الخطوات تتعلق بدراسة الخط ، ونوع الورق وتاريخ صنعه ، وكذلك نوع الحبر والقلم ، ويتضمن النقد الخارجي ، اضافة الى ذلك ، معرفة زمن قيام صاحب النص بتدوين كتاباته ، وتصور الاحوال التي كتبت فيها ، والتطورات التي تعاقبت عليها ، والمكان الذي كان فيه لدى قيامه بعمله .

وسبب كل هذا التحري عن هذه الجوانب هو ان الناس لايتورعون من التلاعب بما لديهم من نصوص ، ومن محاولة تبديلها والاضافة اليها ، والحذف

(٤٤) ن . م . ص ، ص ٢٠

(٤٥) د. فياض ، مصدر سابق ، ص ٣٨

منها و «تصحيحها» ، وذلك لغايات متباينة ، بعضها برئ واكثرها غير برئ(٤٦) ، صحيح ان تزييف الاصول والوثائق صار اليوم اصعب منه في الماضي ، ولكن دوافع التزييف والدس لاتزال قائمة ، كالاهواء والمطامع وحب الكسب والشهرة .

امثلة على التزييف والبحث عن صاحب النص :

قد تزيف مصادر التاريخ والآثار بغرض الحصول على مكسب مادي ، ومن ذلك ماحدث حين اعلن في عام ١٨٧٢ عن العثور على مجموعة من الاواني والادوات الفخارية في مدينة القدس اثناء قيام بعض المنقبين بالبحث عن الآثار في فلسطين ، وتم بيع بعض تلك الآثار الى متاحف عالمية ، ولكن بعد دراسة تلك الآثار تبين انها آثار مزيفة(٤٧) . واذا كان بالامكان تزوير اللقى الاثرية فما بالك بتلفيق الاحداث وتزويرها . ومن الامثلة على الكتابات المزيفة مجموعة من الخطابات والتواريخ والاشعار طبعت في ايطاليا بين سنتي ١٨٦٣ و ١٨٦٥ ، بأعتبار انها قد كتبت عن جزيرة سردينيا في الفترة بين القرنين الثامن والخامس عشر . ولقد أثار ظهور هذه المجموعة دهشة كبيرة في الاوساط العلمية ، لانه كان مجهولاً وجود كتابات من هذا النوع في سردينيا في ذلك العهد . وبعد نشر هذا الكتاب وضعت اصوله الخطية في مكتبة كالياري في سردينيا . وحدثت مناقشات طويلة بشأن هذه الكتابات . فعرضت الاصول الخطية على اكاديمية العلوم في برلين لدراستها . وفحص بعض المتخصصين الخطوط التي كتبت بها هذه الاصول ،

---

(٤٦) قسطنطين زريق ، نحن والتاريخ ، طبعة دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٥ / ١٩٨١ ، ص ٧٢

(٤٧) د. حسن عثمان نقلا عن Fling, F.M. The Writing of History An Introduction to Historical Method, New Haven, Yale University Press, 1926, p. 51.

وبحث اخرون الناحية اللغوية والادبية ، وناقش غيرهم المعلومات التاريخية ، ووجدوا ان ماجاء فيها لايطابق ولايشابه ماعرف عن خطوط سردينيا وادبها وتاريخها في تلك القرون ، فقرر العلماء ان هذه الآثار الكتابية مزيفة(٤٨) .

ان معرفة كاتب الاصل التاريخي وشخصيته مسألة هامة ، لان قيمة المعلومات التي يوردها ترتبط كل الارتباط بشخصية الكاتب ومدى فهمه للحوادث ، وبكل الظروف التي تحيط به على وجه العموم ، فالمعلومات التي يدونها القائد العسكري تختلف عما يكتبه السياسي او المحامي او الجندي او الصحفي او شخص من عامة الناس ، فهذا الاخير ـ مثلا ـ يكتب ـ بصورة عامة ـ متحررا من القيود والالتزامات ، بينما الحاكم او القائد العسكري او السياسي يكتبون وهم مقيدون بالتزامات مناصبهم ـ كل حسب موقعه ـ ويحاولون تبرير التصرفات والمواقف ، اذا كانوا شركاء في صنع الاحداث(٤٩) ، اضافة الى اختلاف مايكتبه الاشخاص المذكورون ، كل على حده ، وتفاوت قيمته حسب مكانة وثقافة كل منهم .

وهنا تشبه مهمة الباحث مهمة القاضي او المحقق ، وان اختلفت الظروف . اذ يوسع القاضي ان يستدعي شهود الحوادث امامه فهم احياء ، وينطقون ـ حسب ماتمليه عليهم مواقفهم ـ بالحق او بالكذب . ولكن هذا المثول للشهود لايتوفر للباحث ، الذي كتب عليه ان يشد الرحال من الحاضر الى الماضي عبر الاصول ، وحسب ملكاته العقلية وقدرته على التخيل ، وبنقده لرواياته .

وقد تضيع جهود المؤرخ لمعرفة اسم كاتب الاصل التاريخي فيظل مجهولا ، وان كان هذا لايمنع من الافادة من الكتاب ، وربما يكون هذا الكتاب (المجهول المؤلف) هو المصدر الوحيد لما قدمه من المعلومات . ومن ذلك مثلا «كتاب

---

(٤٨) Fling : Ibid, p. 52

(٤٩) د. محمد عواد حسين ، مصدر سابق ، ص ١٤٥

العيون والحدائق في اخبار الحقائق»[٥٠] الذي لم يعرف اسم كاتبه لحد الان ، وكتاب (اخبار الدولة العباسية وفيه اخبار العباس وولده)[٥١] . ومن الامثلة الاخرى ان كاتبا مجهولا ألف في حوالي سنة ٦٠ م كتابا سمي بـ «الطواف حول البحر الاريتري»[٥٢] وصف فيه الموانيء التي مر بها ، من البحر الاحمر الى الخليج العربي فالهند ، ثم العودة الى ساحل شرقي افريقية ، وقد قدم هذا الكاتب المجهول معلومات طريفة عن مشاهداته في تلك الانحاء . ومن الامثلة ايضا ماسجله رجل مجهول الاسم من المذكرات عن رحلة (فاسكودي گاما البرتغالي) في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي حول رأس الرجاء الصالح واتجاهه الى ساحل شرقي افريقية ، ولو لم يسجل لنا هذا الكاتب المجهول معلوماته لظلت اخبار رحلة فاسكودي گاما الشهيرة مجهولة . هذا ومن جهة اخرى فأن وضع اسم شخص ما على اصل تاريخي لايعني حتما انه هو كاتبه[٥٣] .

وتبين هذه الامثلة وامثلة عديدة اخرى مدى الصعوبات التي تعترض الباحث في التاريخ عند السعي الى اثبات شخصية كاتب اصل تاريخي ما ، وتوضح اختلاف الباحثين في استنتاجاتهم ومايتعرضون له من دواعي الشك : وتقضي الضرورة ان يعرف الباحث كل مايمكن معرفته عن شخصية كاتب الاصل التاريخي وصفاته ، لتقييم كتابته . ويستطيع الباحث في كثير من الاحيان ان يجمع المعلومات اللازمة عن شخصية الكاتب من كتب التراجم او من الاصل التاريخي ذاته . فعلى سبيل المثال كتب احد الفرنسيين المعاصرين للثورة

---

(٥٠) الجزء الثالث من (كتاب العيون والحدائق) نشره المستشرق الفرنسي دي غويه وطبع بليدن ١٨٦٩ ، وثم في بغداد وبتحقيق الاستاذة نبيلة عبدالمنعم داود ، طبع الجزء الرابع من هذا الكتاب بمجلدين نشرا في ١٩٧٢-١٩٧٣

(٥١) حقق هذا المخطوط ونشره الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور عبدالجبار المطلبي بالعنوان المذكور ، وطبع في دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ .

(٥٢) يقصد بالبحر الاريتري : البحر الاحمر والمحيط الهندي والخليج العربي

(٥٣) د. حسن عثمان ، ص ٩٠ .

الفرنسية احداث الايام الاولى للثورة في باريس وفرساي دون ان يذكر اسمه . ولكن بقراءة تلك الكتابات بدقة يعرف الباحث والمحقق من لغة تلك الكتابات واسلوبها وطريقة عرضها ومعلوماتها ان كاتبها شخص مثقف ، وانه كان شابا قوي الجسم ينتقل بسهولة بين باريس وفرساي ، رغم هطول المطر الغزير ، وكذلك يدرك الباحث ان الكاتب شخص ثوري جريء ومتحمس لمبادئ الثورة ، ويتكلم بصراحة ، ويقرر ان ممثلي الشعب الفرنسي لايهابون الموت ، ويعلم الباحث ايضا ان الكاتب كان مهتما بالحوادث التي شهدها فوصفها بتعابير صادقة وبدقة ، لهذا يقرر الباحث ان هذه الاوصاف لاتنطبق على احد قدر انطباقها على (كامي دي مولان)(٥٤) .

معرفة زمن التدوين : مداخل

وهناك ناحية مهمة اخرى في مسألة النقد التاريخي هي معرفة الزمن الذي دوّن فيه الحدث . فقد يكون الاصل صحيحا غير مزيف ، وقد يكون صاحبه شخصا صادقا بعيدا عن الهوى ، لا مصلحة له في الكذب ، ومع ذلك فقد ينقص من قيمة الاصل بعد الزمن بين وقوع الحادث وبين تدوين اخبارة . فالذاكرة تتعرض للنسيان ، وتخون الانسان ، وكلما كان الكاتب بعيدا عن زمن وقوع الحادث كلما تعرض لنسيان بعض تفاصيل الحادث ، مهما كانت رغبته في قول الصدق قوية ، ومهما حاول استرجاع وقائع الماضي . عندئذ لايرى الكاتب بدا من تركيز الاحداث دون ان يفصل فيها .

واذا لم يحدد الكاتب الزمن الذي دوّن فيه ماكتبه ، فماذا يفعل الباحث ليستطيع تحديد ذلك الزمن ؟ يمكن للباحث ان يضع حدين للحدث وذلك استنادا على دراسة محتويات الحدث . الحد الأول لبدء الحدث والثاني لنهاية الحدث ، اي ان الباحث يعيّن الزمن الذي لايمكن للحدث ان يكون قد وقع

(٥٤) مصدر سابق ، ص ١٠٢ نقلا عن Fling المذكور في الهامش (٤٧)

قبله ، ثم الزمن الذي لايمكن ان يكون الحدث قد وقع بعده . ولتحديد الزمنين ينبغي ان يكون الباحث ملما بثقافة تاريخية واسعة تتعلق بالعصر الذي يدرسه ، تؤهله للحصول على المعلومات المطلوبة .

ومن الواضح ان الاصل التاريخي يدوّن بعد اخر حادث ورد فيه ، ولكن لايعرف دائما متى تم ذلك التدوين ، ابعد اخر حادث ورد فيه بزمن قصير ام طويل ؟ وهل يمكن تعيين تاريخ تدوينه على وجه التحديد ؟

تعيين مكان التدوين :

كما يتعين على الباحث ان يعين شخصية المؤلف ، ويحدد زمان التدوين ، اذا استطاع ، كذلك يتعين عليه تعيين المكان الذي دون فيه الاصل التاريخي ، وهي عملية مرتبطة بما سبقها ومكملة له . وسواء اكان النص الذي امامه اصلا تاريخيا من الطبقة الاولى «دوّنه كشاهد عيان» ام كان اصلا تاريخيا من الطبقة الثانية «نقله المؤرخ اصلا من غيره» . فينبغي على الباحث ان يبذل مافي وسعه لتحديد المكان الذي قام فيه صاحب النص بكتابة خبر الحدث المعني . حتى يعلم ان كان التدوين تم في مكان وقوع الحدث ، ام في مكان بعيد عنه ، وهل اخذ معلوماته عن اشخاص شهدوا الحوادث بأنفسهم ، وبذلك تصبح هذه المعلومات مصدرا من الطبقة الثانية ؟ واين كان ذلك ؟ وهل تم التدوين في مكان يجعل كاتب الاصل التاريخي قادرا على تصوير الوقائع تصويرا صحيحا ، ام ان التدوين حدث في مكان بعيد ، واعتمد على الذاكرة والخيال في سرد الوقائع(٥٥) .

فعلى سبيل المثال هناك فرق بين مرويات ابن شداد لمعايناته لما كان يجري في معسكر صلاح الدين منذ ان التحق بركبه الى وفاة هذا القائد في دمشق عام ٥٨٩ هـ /١١٩٣ م ، وبين مايذكره المؤرخون اللاحقون ، ففي اتفاقية الرملة التي

(٥٥) مصدر سابق ، ص ١٠٤

تم التوقيع عليها بين المسلمين وبين الصليبيين (او بين صلاح الدين وريتشارد قلب الاسد ملك انكلترا) يذكر ابن شداد تفاصيل ماكان يجري ، وكيف استقبل الناس والمحاربون هذا الصلح بفرح طاغ ، اذ قال :

غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور مالايعلمه الا الله تعالى . «ولكن ابن شداد يضيف ليسجل بأمانة موقف صلاح الدين الرافض للمصالحة مع المحتلين اذ قال : والله العليم ان الصلح لم يكن من ايثاره فأنه قال لي في بعض محاوراته في الصلح : «اخاف ان اصالح ومادري اي شيء يكون ، فيقوى هذا العدو .. الخ»(٥٦) . وقد صوّر هذا المؤرخ بقلمه الرائع الايام بل الساعات الاخيرة من حياة هذا القائد وهو يراقب احتضاره .. ويصف تفاصيل ماحصل للناس في هذا اليوم الاليم(٥٧) فيشعر الباحث ومعه القارئ بدفق الحياة في كلمات ابن شداد ، لانه كان لصيق تلك الاحداث ، ويدوّنها كشاهد عيان . في حين كان المؤرخون الاخرون بعيدين عن ساحتها ، فجاء كلامهم خاليا من نبض كلام هذا المؤرخ .

وبعد ، فأن عملية النقد الخارجي للاصول التاريخية عملية تستنفد وقتا طويلا وتتطلب قسطا كبيرا من المثابرة ، ولكنها عملية ضرورية لايمكن أغفالها بحال من الاحوال وهي السبيل الى كتابة بحث تاريخي علمي .

وحين ينتهي الباحث من النقد الخارجي ينتقل الى النقد الباطني الذي يستهدف الوصول الى الحقيقة من خلال نصوص الاصول والوثائق ، والسبيل الى هذا النقد هو التحليل الذي يمر بمرحلتين : الاولى يحاول فيها الباحث ان يتحقق من معنى الالفاظ وقصد كاتب الاصل ، وذلك مانسميه «النقد الباطني الايجابي» . والمرحلة الثانية يحاول فيها الباحث ان يتبين مدى الصحة في المعلومات الواردة في النص ، عن طريق تمحيصه واستبعاد الزائف منه ، وذلك مانسميه «النقد الباطني السلبي» .

---

(٥٦) ابن شداد ، بهاء الدين ، النوادر السلطانية ، (سيرة صلاح الدين) ، ص ٢٣٥

(٥٧) ن . م . ص : ٢٤٦-٢٤٧

(٢) النقد الباطني (الداخلي) الايجابي : Internal Critiism

اي قيام الباحث بنقد داخل النص .

فبعد ان يتثبت الباحث من شخصية صاحب النص ، ومعرفة زمان تدوينه ومكانه ، يبادر الى قراءة النص بتأن ودقة لمعرفة مايقصده صاحبه . اذ لايكتفي الباحث بتفسير ظاهر النص بل يحتاج الى تقصي داخله والتوغل الى عمقه لفهمه وتحليله(٥٨) .

وفهم النص تتبعه محاولة تقدير قيمة المؤلف وصحة شهادته ، وهل كان دقيق الملاحظة ؟ وهل كان منصفا نزيها في روايته ام كان مدفوعا في كتابته بعوامل دفعته لتزوير الحقائق ؟ وهذه اسئلة تبين اجوبتها قيمة الرواية التاريخية ، في عملية استخراج حقيقة الحادث التاريخي من الشهادات المختلفة . فمهمة النقد هي ان نميز في الوثيقة «او النص التاريخي» مايمكن قبوله على انه حق(٥٩) .

فالاصل التاريخي يصل الى الباحث نتيجة عدة عمليات لايشرحها الكاتب في الغالب . فهو لايوضح كيف لاحظ الوقائع ، ولا كيف جمع معلوماته عنها ، ولا كيف صاغ عبارات رواياته التي عبّر بها عن الحدث ، ولا كيف دوّنها . وهذه كلها عمليات مستقلة كل واحدة منها عن الاخرى ، ومن الجائز انه لم تراع الدقة التامة بشأن بعضها ، او بشأنها جميعا(٦٠) .

ولكي يكون التحليل كاملا من الناحية المنطقية ينبغي على الباحث ان يعيد تركيب كل العمليات التي لابد ان يكون صاحب النص قد اجراها ، وان يفحصها الواحدة بعد الاخرى ، للتأكد منها ان كانت قد تمت على الوجه الصحيح . فينبغي المرور من جديد بكل الافعال المتوالية التي انتجت الوثيقة منذ اللحظة

---

(٥٨) د. عبدالله فياض ، التاريخ فكرة ومنهجا ، ص ٤٠

(٥٩) لانجلوا وسينوبوس ، مصدر سابق ، ص ١٠٩

(٦٠) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ١١٧

التي شاهد فيها المؤلف الواقعة حتى تحركت يده لتسطير الخبر الماثل بين يدي الباحث . او على العكس من ذلك ينبغي ان يسير الباحث ابتداء من الحادث المسجل في الاصل حتى يصل الى الوقت الذي شهد فيه المؤلف ذلك الحادث . ولكن هذا المنهج - كما يرى لانجلوا وسينيوبوس - سيكون من الطول والارهاق بحيث لن يجد احد من الوقت ولا من الصبر مايستطيع به ان يطبقه(٦١) لذا يلجأ اكثر الباحثين في التاريخ دقة الى طريق مختصر ، ويركزون عملياتهم في مجموعتين :

الاولى : معرفة تحليل محتويات الاصل التاريخي للتحقق من معنى الالفاظ ومن قصد المؤلف الحقيقي فيما كتبه ، ولهذا عدت الفيلولوجيا «علم اللغات» من بين العلوم المساعدة المهمة في دراسة التاريخ ، وفي نقد النصوص التاريخية .

الثانية : معرفة وتحليل الظروف التي دوّن فيها الاصل التاريخي للتأكد من صحة المعلومات التاريخية التي اوردها .

وقد يقرأ الباحث نصه التاريخي دون ان يوجه عنايته الاساسية الى محاولة فهم محتوياته ، وعندئذ سيفسر بعض نصوصه بناء على تصوراته السابقة ، او يفسرها على ضوء مايسمى بـ «الفكرة المسبقة» التي كوّنها مقدما عن الوقائع ، مما قد لاتنطبق على الواقع التاريخي . فقد يجد الباحث عبارات او كلمات توافق آراءه وامنياته وتصوراته عن الحدث ، فيستخرج حقائق دون وعي منه ، ويجعل منها نصا خياليا ومفتعلا ، ويضعه في موضع النص التاريخي الحقيقي الذي لم يتمكن اصلا من الوصول اليه . فبعض الباحثين يقومون بكتابة بحثهم وقد سيطرت عليهم فكرة معينة عن حدث ماتحت تأثير نشأتهم او ميولهم السياسية او الدينية ، ويبحثون في التاريخ تحت تأثير هذه المؤثرات ، فيفهمون ما في الاصل

(٦١) لانجلوا وسينيوبوس ، مصدر سابق ، ص ١١٠

فهما خاطئا ، او لايفهمونها على الاطلاق(٦٢) . «ناسيا ان النص لايحوي الا افكار كاتبه»(٦٣) . وبذلك يتكيف النص ويتشكل عنده بحسب الفكرة المسيطرة على ذهنه وقد يظن انه يفسر النص تفسيرا حديثا مبتكرا ، ولكن الحقيقة هي انه يخضع النص لفكرته الخاصة على حساب الحقيقة التاريخية ، ويتكيف الحدث التاريخي لديه اللون والتفسير والمدلول الملائم الذي يريده له عقله(٦٤) . وبذلك يكون قد عرض التاريخ للتشويه ، من حيث يقصد او لايقصد .

ومن شأن هذا الامر انه يبعد الباحث عن الوصول الى الحقيقة التي ينشدها لذا ينبغي عليه ان يبدأ عمله في هذه المرحلة من بحثه بتحليل دقيق للاصول التاريخية التي بين يديه ، وان يكون غرضه الاساسي هو استخراج الحقائق منها ـ بقدر المستطاع ـ وليس اضافة مالا وجود له على تلك الاصول . وعلى الباحث ان يفهم النص في ذاته يفسر نفسه بنفسه ، قبل السعي الى استخراج الحقائق التاريخية منه . وهكذا نصل الى هذه القاعدة المنهجية العامة وهي : ان دراسة كل وثيقة ينبغي ان تبدأ بتحليل مضمونها لغير غاية الا تحديد فكرة المؤلف الحقيقية(٦٥) .

والتحليل يشمل ايضاح المعنى العام للوثيقة او الاصل التاريخي ، ومجمل محتوياته ، ثم تفصيلاته ، ثم وجهة نظر الكاتب ، ورأي الباحث وملاحظته وتعليقه . ومن الضروري الا يستخرج الباحث فقرة معينة ، او يفسر نصا دون فهم الاصل في مجموعة ، حتى لايخطيء الباحث في استنتاجه . وتحليل اصل تاريخي معين ، معناه السعي الى فهم الحوادث والآراء والافكار الواردة فيه ، والتمييز بين كل منها على حدة .

---

(٦٢) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ١١٨

(٦٣) لانجلوا وسينوبوس ، مصدر سابق ، ص ١١٢

(٦٤) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ١١٨

(٦٥) لانجلوا وسينوبوس ، مصدر سابق ، ص ١١٢

ولان النقد الباطني الايجابي هو نقد النص من حيث لغته ، لذا يقتضي في هذا المجال معرفة اللغة التي كتب بها النص ، فكثيرا مايكون جهل لغة النص عائقا يحول دون الاستفادة الصحيحة من نصوص هامة ووثائق خطيرة(٦٦) .

وتحديد المعنى الحرفي لنص تاريخي معين عبارة عن عملية لغوية . ولابد لفهم كل نص تاريخي من معرفة لغته . ولاتكفي المعرفة العامة لهذه اللغة ، بل من الضروري فهم دقائقها ، فضلا عن الالمام بلغة ذلك العصر الذي كتب فيه . وهذا يسوقنا الى معرفة القواعد التي ينبغي على الباحث السير بمقتضاها لكي يحدد المعنى الحرفي لالفاظ النص التاريخي ، فثمة حقائق اساسية تخص اللغات يتعين على الباحث ان يضعها في اعتباره وهي :

١ـ ان اللغة في تغير مستمر ، ولكل عصر لغته الخاصة التي ينبغي النظر اليها على انها نظام خاص من الرموز والدلالات والاصوات ، فاللغة كائن حي دائم النمو والتطور ، «ولهذا كان لكل عصر قاموسه الجديد» ، وهي انعكاس لحالة المجتمع الحضارية في صعوده وتدهوره . ولفهم وثيقة ماينبغي معرفة لغة العصر الذي كتبت فيه ، ويمكن الاستعانة في تحديد معنى بعض الالفاظ الخاصة بالسعي الى فهم الجمل والتراكيب التي وردت بها تلك الالفاظ .

٢ـ ان الاستعمال اللغوي يمكن ان يختلف من اقليم الى اخر ، فينبغي معرفة اللغة اواللهجة التي كتبت بها الوثيقة او ألف بها الكتاب ، وهذه مسألة تنطبق على كافة لغات العالم . ولهذا يتعين على من يقرأ ابن خلدون «مثلا» ان يكون ملما بمعاني بعض الالفاظ التي كانت متداولة في شمال افريقية وبلاد الاندلس يومئذ دون المشرق العربي ، اضافة الى رسم بعض الحروف ولاسيما قبل انتشار استعمال الآلة الطابعة . ولكن ليست كل الكلمات خاضعة للتغيير في المعنى حسب الاقاليم .

---

(٦٦) قسطنطين زريق ، مصدر سابق ، ص ٧٣

٣ـ لكل مؤلف طريقته الخاصة في الكتابة والتعبير ، ولهذا يتعين على الباحث ان يلم بلغة المؤلف واسلوبه ، ويمكن الاستعانة في ذلك بمؤلفاته الاخرى ، او بمؤلفات العصر والبيئة التي عاش فيها ، او ببعض المعاجم الخاصة ان وجدت ٠

٤ـ ان التعبير يختلف معناه بحسب الموضع الذي يوجد فيه ، ولهذا يتعين الا تفسر كل كلمة او جملة بذاتها ، بل ينبغي ان تفسر بحسب المعنى العام للفقرة ، وفي نطاق السياق العام للتفسير التاريخي فيتعين قراءة النص كله اولا قبل استعمال الجملة ٠ ولايجوز التقاط الاقتباسات وادراجها في عمل حديث ، اي التقاط كلمات من جمل منتزعة من فقرة لاندري ماللمعنى الخاص الذي لها فيها(٦٧) . فالذي يجتزئ من النص مايحتاج اليه ويناسب فكرته ويهمل باقي العبارة كمن يقتطع عبارة «ولاتقربوا الصلاة» دون ان يكمل بقية الآية الكريمة «وانتم سكارى» ٠

وهذه الحقائق اذا روعيت بدقة في قراءة النص التاريخي كان احتمال الوقوع في خطأ فهم النص اقل مايمكن ٠ وبطبيعة الحال لايعني ان كل الالفاظ قد تغيرت معانيها من عصر الى اخر ، ومن كاتب الى كاتب، اذ ان التغيير لايشمل الا جزءا من الالفاظ والتراكيب اللغوية ٠ وعلى الباحث ان يتتبع الاساليب والمصطلحات التي تأخذ معنى معينا ، ولاتتغير ولاتتبع تطور اللغة الطبيعي ٠ كما يدرس الباحث الالفاظ التي تدل على معان قابلة للتغيير طبقا لما تقتضيه ظروف الحياة ٠ فلابد اذن من التدقيق في معرفة معنى كل منها في العصر الذي كتبت فيه ، وفي النص الذي وردت فيه ٠ وبدون ذلك كثيرا مايتعرض الباحث للخطأ في فهم النصوص واستخلاص الحقائق التاريخية منها(٦٨) .

---

(٦٧) لانجلوا وسينوبوس ، مصدر سابق ، ص ١١٥-١١٦

والخطوة التالية بعد تحديد المعنى الحرفي للالفاظ والتراكيب التي تحتمل الشك في معانيها ، هي البدء بمعرفة غرض الكاتب والمعنى الحقيقي لما كتبه . فمن الجائز انه كتب اخبار بعض الوقائع بتعابير وتراكيب غير واضحة ، وفي هذه الحالة لايؤدي ظاهر النص الى المعنى المقصود . فقد يكتب مستعملا اساليب بلاغية من قبيل التشبيه او المجاز او الاستعارة او الكناية ، او اساليب ادبية من قبيل الرمز او الهزل او التلميح او التعريض ، وكلها اساليب تزيد في صعوبة فهم المعنى الحرفي للالفاظ ، وتنطبق خاصة على الكتب الدينية او على الاعمال الادبية او الرسائل الخاصة ، والمراسلات العسكرية . ولكن يندر استعمال مثل هذه الاساليب الفنية او الغامضة في الوثائق الرسمية او في كتب التاريخ البحتة (الاصول) ، ففي اغلب هذه الكتابات يجيء معنى النص مطابقا لمعنى الفاظه .

وحين يجد الباحث ان الغموض يكتنف بعض النصوص فأن هذا لايعني ان عليه ان يجلي هذا الغموض كيفما يشاء ، او ان يسرف في التشكك في معاني الالفاظ الحقيقية ، او في تصور وجود الكنايات والمجازات في كل الفقرات . وربما يحاول الباحث ان يزعم لنفسه قدرة معينة على فهم النصوص التاريخية ، وعلى استنباط الحقائق منها ، ويحمّل النصوص مالايمكن ان تحمله الفاظها من المعاني ، وتكون النتيجة التي يستخلصها مجرد محاولة لارضاء الغرور في نفسه ، الذي هو من طبائع البشر(٦٩) .

وقد اشار الدكتور اسد رستم بشكل واضح الى ان علماء التفسير المسلمين قد تذرعوا بعدة وسائل في تفسير نصوص الآيات الكريمة ، واتبعوا في ذلك اسسا علمية صحيحة ، حين اهتدوا الى ان اسلم طرق التفسير واصحها هو ان يتم تفسير القرآن بالقرآن . فالمسائل التي تطرق اليها القرآن الكريم بايجاز في بعض السور

(٦٨) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ١٢١

(٦٩) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ١٢٢

قد فسرها في سور اخرى ، فما غمض هنا تم توضيحه في مواضع اخرى[٧٠] . وقد يفسر القرآن الكريم كذلك بالحديث الشريف الذي ذكره النبي «ﷺ» في مناسبات مختلفة لكي يوضح ماغمض فهمه على المسلمين من امور دينهم ودنياهم . هذه هي مجمل الوسائل العلمية التي اتبعها علماء التفسير ، وهي توضح نصيبهم في تقدم العلم والمعرفة ، وان الالمام بها يفيد الباحث في التاريخ ، ويساعده على تطبيق هذه القواعد فيما يقع تحت يده من الوثائق والاصول التاريخية .

وعندما يصل الباحث الى المعنى الحقيقي للنص التاريخي ، فأن عملية التحليل ، او التفسير الايجابي تكون قد انتهت ، والنتيجة التي يخرج بها الباحث من ذلك هي انه اصبح عارفا بمعلومات كاتب الاصل التاريخي ، وبالصور التي كوّنها في ذهنه عن المسائل او الحوادث التي كتب عنها .

(٣٠)النقد الباطني السلبي

ان وجود الاقوال المتعارضة والمتضاربة لاصحاب النصوص ، والتسليم مقدما بامكان وجود خطأ او كذب في الاصل ، هما السبيل الاساس لقيام الباحث بعملية النقدالباطني السلبيالنقد الذي يرمي الى التمحيص الدقيق للاصول ويهدف الى تصفية المعلومات وغربلتها حتى نستخلص منها الحقيقة قدر الامكان ، وتلك مهمة شاقة بحد ذاتها ، ولهذا فأنها اكثر صعوبة من عملية النقد الباطني الايجابي[٧١] . فما عرفناه عن التحليل والنقد الباطني التفسيري الايجابي ، يصل الباحث في التاريخ الى ان يدرك الآراء التي دوّنها كاتب الاصل التاريخي ، ويعرف تصوره للوقائع التاريخية . ولكن ذلك وحده لايعطي الباحث المعلومات المباشرة والضرورية عن الوقائع التاريخية ذاتها . وحتى لو كان كاتب

---

(٧٠) احمد رستم ، مصطلح التاريخ ، ص ٥١-٥٨

(٧١) د. محمد عواد حسين ، مصدر سابق ، ص ١٤٩

الاصل قد شهد الحوادث ، فأن النص الذي قدمه لنا لايدل الا على كيفية تصوره لها او فهمه لها ، وطريقة تعبيره عنها ، ولايوضح في اغلب الاحوال كيف شهدها · وكذلك فأن مايدونه كاتب الاصل لايأتي مطابقا لما عرفه او اعتقده · فمن المحتمل انه ارتكب الكذب ، ومن الجائز ان مااعتقده لايكون دائما هو ماحدث فعلا ، لانه من الممكن انه ارتكب خطأ او انخدع في تكوين اعتقاده او في جمع معلوماته · ويلاحظ ان الباحث يميل الى تصديق كل المعلومات الواردة في اصل تاريخي ما ، ولكن هذا معناه ان كل مدوّني الاصول التاريخية لم يكذبوا على الاطلاق ، ولم يخدعوا ابدا ولم يرتكبوا خطأ في جمع معلوماتهم ، وهذا شيء غير صحيح · ووجود آراء متعارضة متضاربة بين اصحاب الاصول دليل على ان هناك من يكذب ، او انه لم يكن يعرف كل الحقيقة(٧٢) .

ووجود تعارض في المعلومات عن موضوع ما يجعل من الواجب على الباحث في التاريخ ان يقوم بدراسة وتصفية هذه المعلومات في محاولة للوصول الى الحقيقة او الى مايقرب منها ، وبيان مكامن الضعف واحتمالات الكذب فيها بصورة او اخرى ·

ونظرا لصعوبة قيام الباحثين بعملية النقد الباطني السلبي ، فأن البعض منهم لم يعنوا به عنايتهم بالنقد الايجابي ، واكتفوا بأن يعرفوا هل كان كاتب الأصل التاريخي معاصرا للحوادث التي كتب عنها ؟ وهل كان شاهد عيان صادقا في رواية مااعتقد او ماتصور حدوثه ؟ · ورغم اهمية معرفة هذه الجوانب وفائدتها في دراسة التاريخ ، لكن ينبغي تطبيق النقد الباطني السلبي بطريقة اعمق وادق · ويتعين على الباحث ان يطرح جانبا الروايات التي لايطمئن اليها ، ولاتتوفر لديه الادلة الكافية على صحتها للاخذ بها ، وعليه ان ينظر الى مثل هذه الروايات بروح الشك ·

---

(٧٢) د· حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ١٢٤

والاتجاه المعمول به في هذا الصدد ، هو ان الباحث يقرأ النصوص ثم يقسمها الى قسمين : اصول موثوق بصحتها ، واصول غير موثوق بصحتها . والاصول التي تعد صحيحة كوحدة عامة تقبل معلوماتها على انها حقائق مسلّم بصحتها . والعكس بالنسبة للاصول التي يتقرر انها ليست اهلا للثقة بها . ولكن ذلك لايعني حتما صحة كل ماورد في القسم الاول من المعلومات . فينبغي على الباحث ان يقاوم هذا الاتجاه عند دراسة الاصول التاريخية ونقدها ، اذ انها تحتوي بالضرورة على معلومات متنوعة ، قد يكون بعضها صحيحا وقد يكون بعضها الاخر غير صحيح عن عمد او عن غير عمد . وعلى ذلك فلاتكفي دراسة معلومات الاصل التاريخي كوحدة عامة ، ولا الاقتصار على التأكد من انه غير مزيف ، بل ينبغي ان تدرس كل رواية او حادث على حدة . وليس النقد الباطني السلبي بالامر المستطاع بغير هذا التثبت الدقيق(٧٣) .

ولهذا فأن هذا النقد يفضي الى قاعدتين عامتين :

١) الحقيقة العلمية لاتتقرر بمجرد كون قائلها شاهد عيان بل ينبغي ان تتوافر لدى الباحث الادلة التي تثبت صحة تلك الحقيقة . وفي بعض الاحوال تعد اقوال مؤلف بعينه اقوالا صحيحة ، ولكن لايمكن ان يتخذ ذلك كقاعدة عامة .

٢) ان نقد الوثيقة او النص لايمكن ان يتم جملة . بل ينبغي ان تنقد جزئياته وتفصيلاته وحوادثه المفردة واحدة بعد اخرى ، ويتم فحص كل منها على حدة .

وفي كثير من الاحوال نشاهد ان الجملة الواحدة تحتوي على عدة اقوال ، لهذا ينبغي فصلها بعضها عن بعض لنقد كل منها على حدة . ففي عقد البيع ـ مثلا ـ ينبغي ان نميز التاريخ والمكان والبائع والشاري والسلعة والثمن وشروط البيع .

(٧٣) قسطنطين زريق ، مصدر سابق ، ص ٧٣

ومعنى هذا ان النقد السلبي يتألف من عدد كبير من العمليات ، مما يجعله يبدو وكأن من العسير الوفاء بكافة عملياته ، ولكن ممارسة الباحث المستمرة في اجرائها - ولو ببطء - تجعلها سهلة وسريعة .

والغريزة الطبيعية - كما يقول لانجلوا وسينوبوس - تدفع الى الحكم على قيمة الاقوال تبعا لصورتها ، فيخيل للباحث ان مدوّن الوثيقة امين ، وان صاحب الاصل صادق ، وكما يبدو من «لهجة الامانة» او «انطباع الشعور بالحقيقة» . وهو انطباع يكاد لايقاوم . ولكنه قد لايكون انطباعا صحيحا ، لهذا فكثيرا مايضل الباحث طريق البحث العلمي ، اذ ان لهجة الصدق مظهر لايعتد به ولايعوّل عليه دائما ، بل قد تدل احيانا على المهارة في الخداع والتضليل ، وكثرة التفاصيل لاتدل على صحة الوقائع التي تساق من اجل التضليل لتحقيق هدف او غاية معينة(٧٤) .

وترتبط قيمة الاصل التاريخي بالظروف التي تمت خلالها سلسلة العمليات العقلية التي انتهت الى تدوينه ووصوله الى الباحث في التاريخ . وواجب النقد الاساسي هو معرفة تلك الظروف والعمليات وتمحيصها . ولايمكن معرفة كل تلك الظروف والعمليات باستعادتها ، ولكن يمكن معرفة جزء منها على الاقل . كما يمكن الى حد كبير معرفة ذلك بالتعرف على شخصية المؤلف ، وقد اشرنا الى ذلك ، وهذا التعرف يرشدنا الى بعض الظروف التي كتب خلالها الاصل التاريخي ، ثم ان معرفة عواطف المؤلف وعاداته واهوائه وبيئته ومستواه يساعدنا في الكشف عن عوامل الكذب او الخطأ او الانخداع ، او الصدق او النزاهة ، حينما نتتبع مايمكن تتبعه من العمليات العقلية والظروف التي ارتبطت بكتابة الاصل التاريخي .

ولكن على الباحث ان يميز بين حالتين متباينتين يكون صاحب الاصل فيهما بجانب الحقيقة التاريخية ، وينبغي التميز بين الحالتين لدى القيام بعملية النقد .

(٧٤) د. حسن عثمان ، ص ١٢٦

الباطني السلبي . فقد لايكون بمقدور صاحب الاصل التوصل الى الحقيقة كلها ، رغم رغبته الصادقة في ذكرها ، وذلك لظروف قاهرة . اما الحالة الثانية فهي الاسباب التي تدفعه الى الكذب عمدا . ففي الحالة الاولى هي حالات الاخطاء التي قد يقع فيها المؤلف دون قصد ، ولعل اهم اسبابها :

١) نقص في حواسه مما يحول دون اطلاعه الكامل على ماحصل ، كأن يكون ضعيف البصر ، او ثقيل السمع ، او شارد الذهن ، مما يفوّت عليه ملاحظة بعض التفاصيل .

٢) من الجائز ان الكاتب وجد في مكان لايسمح له ان يلاحظ الاحداث بصورة دقيقة .

٣) من المحتمل ان يكون الكاتب قد سجل معلوماته بناء على الافتراض او التقدير العام فقط ، لعدم استطاعته الحصول على ارقام مضبوطة في العهود السابقة ، كما هي الحال في تقدير حجم الجيوش او عدد القتلى او حجم السكان او عدد المشتركين في احتفال ما . وقد يحاول المؤلف ان يطبق امرا صحيحا في منطقة معينة ولناحية خاصة ليشمل شعبا بأسره او عصرا بطوله ، فتكون كتابته تعميما على الواقع ولاتعطي الحقائق التاريخية مضبوطة .

٤) قد تعجز اللغة عن وصف الحوادث وعن اداء المعاني وعن التعبير عما يجيش في الصدور ، فلايستطيع المؤلف ان يعبّر عن حقيقة ماحصل ، رغم ذكائه ورغبته الحقيقية في قول الصدق ، ومن ثم فأن مايكتبه لايدل على انه مطابق لما رغب في التعبير عنه ، وذلك لان الامر يتطلب دقة خاصة وملكة او موهبة تساعده على تدوين الكتابة التاريخية .

اما حالات الكذب (المتعمد) ، فان لانجلوا يورد اسبابا تساعد على معرفة اسباب الشك في صدق اقوال المؤلف ، وفي الغالب تصل الى معرفة هل وجد المؤلف في ظروف حملته على الكذب ، واهم هذه الظروف (او دوافع الكذب) هي :

١) قد يكذب المؤلف في محاولة منه للحصول على منفعة شخصية ، فيعمد الى خداع القارئ بذكر معلومات كاذبة لكي يسوق الى استنتاج خاص ، ويخالف الحقيقة مخالفة جزئية او مخالفة تامة · واشد انواع الكذب تأثيرا في النفس ذلك الذي يحتوي على عنصر كبير من الحقيقة · ونحن نصادف امثلة في الحياة اليومية لبعض الناس ، ولكننا ننسى ذلك عندما يتعلق الامر بمصادر التاريخ (على اعتبار ان الكذب لم يكن من شيمة الناس في الماضي) · والواقع ان كل قول مغرض يمكن ان يكون كذبا · ولتحديد الاقوال المتهمة ، ينبغي ان نتساءل ماذا كان يمكن ان يكون هدف المؤلف عامة وهو يكتب ، وماذا كانت مصلحته الشخصية في قيامه بتزوير اخبار الحوادث ·

٢) قد يكون كاتب الاصل التاريخي في مركز يضطره الى الكذب ومخالفة الحقيقة · او في ظروف اضطرته الى ذلك لانها فوق طاقته ، فثمة حالات من هذا النوع في الوثائق الرسمية التي تحاول ان تتمشى مع القواعد النظرية او العرف المتبع ، ولكنها تخالف الظروف الواقعة بدرجات متفاوتة · فقد يضطر كاتب الوثيقة الى الاعلان ان الظروف كانت طبيعية في يوم معين بغض النظر عن الواقع التاريخي ، وبذلك يسجل معلومات كاذبة ، وقد تضطر الظروف السياسية او الحربية او الوطنية الى عدم ذكر الحقائق في زمن معين ، فيكتفي المسؤولون بذكر جزء منها ، او قد يذكرون وقائع مخالفة للحقيقة بدرجات متفاوتة ؛ لان ثمة قضية اكبر واخطر من قضية قول الحقيقة هي قضية الوطن وسلامته · بل ربما تسكت الوثائق الرسمية او الصحف او الكتابات عن تناول مسألة او حادثة معينة ولكن ذلك لايعني انها لم تحصل ، ولم تشغل الناس بشكل او بآخر · ولهذا لاتكون الوثيقة الرسمية صحيحة دائما لمجرد كونها رسمية ، تبعا للظروف والعوامل التي اقتضت ذلك(٧٥) .

---

(٧٥) ن · م · ص ١٢٨

فعلى سبيل المثال ذكرت صحيفة (المونيتير Moniteur) الفرنسية في معرض حديثها عن تنقلات نابليون بونابرت الاول بعد فراره من منفاه في جزيرة (البا) في طريقه الى باريس عبر البر الفرنسي ـ ذكرت في اعدادها الصادرة بين ٩ ـ ١٨١٥/٣/٢٢ العناوين التالية التي تبين مدى الفرق بين عنوان اليوم الأول واليوم الاخير ـ ففي ٣/٩ ذكرت : لقد هرب الخبيث نابليون من منفاه ـ وفي اليوم التالي : دخل السفاح «كيب جوان» ـ ثم الطاغية الان في ليون ، لقد اثار ظهوره الرعب في النفوس ـ ثم : اصبح المعتدى على بعد خمسة ايام مشيا عن العاصمة ـ

وفي ٣/١٩ : يشق بونابرت طريقه الى باريس ، ولكن هيهات ان يدخل ـ

وفي ٣/٢٠ : سيكون نابليون غدا ضمن حدود مدينة باريس ـ

ثم الامبراطور نابليون في فونتين بلو ـ

وفي ١٨١٥/٣/٢٢ : شرف صاحب الجلالة الامبراطور قصر التويلري ـ

لقد عم السرور الجميع بشكل يفوق الوصف ـ

والفرق بين «هروب الخبيث من منفاه» وبين «تشريف جلالة الامبراطور» كبير ولايحتاج الى تعليق(٧٦) ـ

٣) قد يشعر صاحب الاصل بميل او يشعر بكراهية تجاه جماعة من الناس «شعب ، دولة ، حزب ، طائفة ، اقليم ، اسرة ... الخ» ، او لاحدى الفلسفات او المذاهب او الافكار او الاديان ، مما يحمله على تشويه الوقائع ابتغاء ان يعطي فكرة حسنة عن جماعته وسيئة عن خصومه ـ ولاريب ان الجماعات المختلفة قد تتعارض مصالحها في احوال كثيرة ، فينبغي على الباحث في التاريخ ان يكشف اي هذه الجماعات كانت تهم صاحب الاصل ـ وتلك اعتبارات كانت لها اهميتها الكبيرة حتى في التاريخ القديم ـ فعلى سبيل المثال ابرمت عام (١٢٧٨ قبل الميلاد)

---

(٧٦) د. نوري جعفر : التاريخ مجاله وفلسفته ـ
مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٥٥ ، ص ١٢٩

الجائز انه قال كذبا لكي ينسب لنفسه او لطائفته اعمالا مجيدة ، قد تعد في عصر اخر اعمالا شائنة ، او جريمة لاتغتفر.فشارل التاسع ملك فرنسا مثلا نسب الى نفسه مفاخرا مذبحة (سان بارثلوميو) في سنة ١٥٧٢ دون ان يكون هو مرتكبها . فمن طبيعة البشر عموما الرغبة في الظهور بمظهر من هو في مرتبة سامية رفيعة ، وانه يلعب دورا خطيرا . فعلى الباحث في التاريخ الا يثق بالاقوال التي تضفي مظهر الاهمية والنفوذ على كاتب الاصل او على الجماعة التي تعنيه او التي ينتمي اليها .

٥) قد يرمي كاتب الاصل التاريخي من كتابته تملّق الجمهور او ارضاءه ، او يتعمد عدم ازعاج الرأي العام في الاقل ، فيورد اخبارا تعبر عن العواطف والافكار المتفقة مع اخلاق او ذوق الجمهور ، حتى لو كان صاحب الاصل غير مقتنع بما يقول ، لان عواطفه وافكاره تختلف عما يقوله ، لذا فأنه يشوه الوقائع ابتغاء تكييفها مع اهواء جمهوره واحكامه السابقة .

والانماط الاكثر وضوحا لهذا النوع من الكذب نجدها في اشكال الرسميات والعبارات الخطابية الرنانة ، والتصريحات التي يقتضيها «الاتيكيت» ، والخطب الرسمية وصيغ المجاملة والفاظ التملق والنفاق والمجاملة ، وعلى الباحث ان يعرف هل حاول كاتب الاصل التاريخي من كتاباته ان يفعل ذلك ؟ وماهي العوامل التي دفعته الى هذا السبيل ؟

ومن الامثلة على ذلك ان الناس اعتقدوا زمنا طويلا بتواضع رجال الدين «الكهنوت» في العصور الوسطى ، لانهم كانوا في يوم انتخابهم لوظيفة رسمية يبدون رفضهم للوظيفة ، معلنين انهم لايستحقون المراكز التي سيشغلونها ولكن تبين بعد ذلك بواسطة المقارنة ، ان هذا الرفض كان مفتعلا وكان صورة شكلية من صور اللياقة الادبية جريا على العادة او العرف السائد .

٦) احتال ان يكتب صاحب الاصل التاريخي باسلوب ادبي لارضاء ذوق الجمهور ، فيشوّه الوقائع لجعلها اجمل حسب تصوره للجمال ، وعلى حساب الحقيقة

اول معاهدة دولية مكتوبة في التاريخ بين المصريين وبين الحيثيين ، ابرمها الفرعون (رمسيس الثاني) من الجانب المصري ، والملك (خاتو سيليس الثالث) من الجانب الحيثي واودعت نسختان من المعاهدة لدي الطرفين ، وقد عثر على النسخة المصرية بمنطقة تل العمارنة بمصر عام ١٨٨٦ م ، بينما عثر على النسخة الحيثية في (بوغاز كوي) بالاناضول (تركيا) عام ١٩٠٦ . وتضمن اهم نص في الاتفاق ايقاف الحرب بينهما . ولكن مايدعو الى الدهشة في الامر ان النص المصري من المعاهدة يشير الى ان ملك الحيثيين ارسل رسلا الى رمسيس الثاني يطلب الصلح . في حين اشير في النسخة الحيثية الى ان رمسيس الثاني هو الذي ارسل رسلا في طلب الصلح . والقصد من هذا هو ان الملكين كليهما ارادا ان يظهرا نفسيهما بمظهر القوي ، وان الطرف المقابل يطلب مصالحته .

وفي تاريخ التصدي للعدوان الصليبي نجد خلافا بين روايات اثنين من ابرز مؤرخي عصر صلاح الدين ، هما ابن الاثير والعماد الكاتب نظرا للخلاف الذي كان موجودا بين الطرفين الاسلاميين (الاتابكي في الموصل والايوبي في الشام) فأثر هذا الخلاف على كتابة المؤرخين المذكورين ، فبدت كتاباتهما متضاربة متناقضة ، حتى حين عالجا موضوعا واحدا في التاريخ(٧٧) .

٤) قد يكون الغرور الشخصي او الجماعي اثره في تزوير الحوادث والكذب على التاريخ . كأن يورد كاتب الاصل معلومات معينة لكي يحمل القراء على تغيير قناعاتهم التي كوّنوها بأنفسهم . لذا يتعين على الباحث في التاريخ ان يبحث ويتساءل : الم تكتب المعلومات الماثلة امامه تحت تأثير هذا الغرور ايا كان نوعه والدافع اليه ؟ وكذلك من الضروري ان يلاحظ الباحث ان غرور الكاتب او غرور اهل العصر الذي عاش فيه لايشابه تماما غرور اهل العصور الاخرى . فينبغي التعرف الى ناحية الغرور الخاصة عند مؤلف الاصل التاريخي . فمن

(٧٧) السير هاملتون أ . ر . جب ، صلاح الدين ، ترجمة يوسف ايبش / طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٨٦-٨٧

التاريخية ، فيعبث بالالفاظ ، ويقدم ويؤخر ، ويزيد ويبالغ ، لكي يكتب كتابة أدبية فنية ، ويعد هذا النوع من الكتابة خطرا لان كثرة التفاصيل الواردة في ثناياها ربما تخدع القارئ ، فالتشويه الدرامي هو حشد الوقائع ابتغاء زيادة قوتها الدرامية ـ حسب تعبير لانجلوا ٠

وعلى الباحث ان يأخذ جانب الحذر ويتشكك في صحة المعلومات الواردة في النص كلما كان التعبير جميلا من الوجهة الفنية ٠ ويمكن للقارئ ان يتصور ان مايقرأه هو «اصدق من الصدق» ، وهذا كلام له خطورته ، لان الميل الى تصديق الاقوال سببه افتتانه باسلوب المؤرخين الفنانين من امثال المؤرخ الاغريقي هيرودوت ، والمؤرخ الروماني ناسيتوس ، وقد كتب هذا النوع من الكتابة المؤرخون الفنانون من كتّاب عصر النهضة في ايطاليا ، ولكن الكتابة بالاسلوب الادبي لاتجد سبيلها ـ في الغالب ـ الى الوثائق الرسمية ٠ على ان هذا لايمنع من وجود بعض المؤرخين الموهوبين الذين كتبوا ـ ويكتبون ـ باسلوب ادبي فني جميل ، ولكنهم في الوقت نفسه لايحيدون عن الحقائق التاريخية التي يعرفونها او يتوصلون اليها(٧٨) .

خامسا : قواعد اثبات صحة النصوص :

بعد قيام الباحث بعملية نقد الاصول التاريخية يصل الى مجموعة من المعلومات والآراء عما حدث ، وقد تكون هذه المعلومات صادقة او كاذبة ٠ ويكون دور الباحث هو اثبات صحة هذه المعلومات ، وذلك بتحليلها الى عناصرها الاولية ، قدر الامكان ، محاولا ان يزن تفصيلاتها واحدة بعد الاخرى ، ليستطيع التميز بين الصادق والمكذوب او المشكوك في صحته من الروايات ٠

---

(٧٨) لانجلوا وسينوبوس ، المدخل الى الدراسات التاريخية ، ص ١٢٩ـ١٣٤

د٠ حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ١٢٧ـ١٣٠

والواقع ان النقد التاريخي لايستطيع ان يثبت الحقيقة التاريخية بشكل مطلق الا انه يستطيع ان يساعد على بلوغ الحقيقة ، وابعاد مالاينسجم من الروايات مع الحقيقة . ومن السهل نسبيا نبذ الروايات التي يثبت كذبها ، ولكن من غير السهل وضع روايات بديلة مكانها .

ولابد من عملية نهائية للوصول الى نتيجة محددة ، اذ ينبغي الخروج من دائرة الاحتمال والشك الى دائرة اليقين . ويحصل ان لاتكون هناك الا رواية واحدة عن حادث تاريخي معين ، وقد يتصرف الباحث مع هذه الرواية الوحيدة «رواية الواحد» وكأن ليس امامه سوى التسليم بما جاء فيها مضطرا ، لعدم وجود البديل . ولكن لهذا «التسليم الاضطراري» مخاطره . وقد فطن العلماء المسلمون - سواء اكانوا من المحدثين ام من الاخباريين - الى خطورة الاعتماد الكلي على مثل هذه الرواية . فجعل العلماء الحديث النبوي الكريم درجات ، واشترطوا فيه ان يبلغ عدد المخبرين مبلغا يمنع في العادة تواطؤهم على الكذب . فالرواية المفردة مهما كانت صادقة ، يحسن الا تعد حقيقة ، بل ينبغي ان يشار اليها على انها رواية مفردة ، مع الاشارة الى قائلها او الى كاتبها ، لانه هو الذي يتحمل مسؤوليتها . فمثلا الحروب الميدية التي تحدث عنها هيرودوت ، لايمكن ان تكون موضع دراسة ومناقشة نظرا لتفرد هذا المؤرخ في الكلام عنها ، عكس الحال بالنسبة لحوادث الثورة الفرنسية التي شهدها وكتب عنها مؤلفون عديدون ، وبوجهات نظر مختلفة .

وحين تتعارض الآراء وتتناقض الروايات بشأن حادث تاريخي واحد ، يتعين على الباحث ان يتبع بعض القواعد التي تساعده في الوصول الى الحقيقة التاريخية منها :

١- لكي يتأكد الباحث من ان هذه الاصول والوثائق متعارضة فعلا ، عليه ان يتحقق من انها تتعلق بنفس الحادث . لان من المحتمل ان خبرين متعارضين من الاخبار التي في حوزته لايتعلقان بنفس الحادث ، بل بحادثين مختلفين ،

وربما لاينطبقان على نفس الزمن او على نفس المكان ، او على ذات الاشخاص الذين تناولهم ذلك الحادث .

٢- اذا كان تعارض المصادر حقيقيا ، فربما يكون بعضها صادقا وبعضها الاخر كاذبا . وفي مثل هذه الحالة يوجد اتجاه طبيعي نحو التوفيق بين خبرين متعارضين ، واتخاذ موقف وسط بينهما . ولكن هذه ليست طريقة علمية سليمة . فاذا اختلف مصدران مثلا في عدد جيش ما ، فلايصح ان تأخذ المتوسط بينهما . اذ من الجائز ان احد المصدرين صحيح والاخر خطأ . فلابد من السعي الى معرفة اي المصدرين اصح ، واي العددين اضبط ، لاسقاط مالايقبله النقد . واذا تعذر الوصول الى رأي محدد فيجب الاعتراف بذلك ، وذكر ماقاله المصدران معا ، بدون ترجيح رأي احدهما على الاخر ، وربما يكون كلا القولين خاطئين .

٣- ينبغي على الباحث ان يلاحظ انه اذا وجد ان مصادر عديدة تقول برأي معين ، ووجد مصدرا واحدا يقول برأي مخالف ، فمن الجائز ان يكون الرأي الواحد هو الصحيح . والكثرة العددية لاتحدد حتما صحة ماتورده ، والعبرة قائمة في نوع هذه الكثرة او في نوع الواحد ، من حيث صفات الكتاب وظروفهم ووسائل بحثهم ولاعبرة بالعدد احيانا في بعض المسائل التاريخية . فنحن نعرف في حياتنا اليومية ان الناس يميلون الى ان ينقل بعضهم الاخبار عن بعض ، وان اكثر من شخص واحد قد يرجع الى اصل واحد لاستقاء معلوماتهم وان عدة صحف قد تنشر خبرا واحدا ارسله مراسل واحد ، وهذا هو عين ماقد يحدث في كثير من الاصول التاريخية . فعندما ينقل مؤلف تاريخي عن اصل سابق ، فأنه لايفعل اكثر من تكرار المعلومات ذاتها ، كما هو حادث في كثير من كتب التاريخ العربية والاوربية التي كتبت في الازمنة السابقة . فمن الواجب على الباحث ان يتثبت من استقلال هذه المصادر بعضها عن بعض ، ان كانت مستقلة

فعلا ، والا فأنها تعد بمثابة مصدر واحد · ولايجوز اعتبار توافق المصادر على مسألة بعينها امرا نهائيا الا بعد تحديد العلاقة بينها · ثم يبدأ الباحث بدراسة نواحي الاتفاق والاختلاف في المعلومات الواردة فيها · والاتفاق الصحيح بين مصدرين وتشابههما في مواضيع وتفاوتهما واختلافهما في مواضيع اخرى ·

٤ـ يتعين على الباحث ان يضع في اعتباره ان مؤلفا ماقد يورد معلومات متنوعة عن موقع تاريخي ما · فمن الضروري ان يحاول الباحث معرفة هل شاهد صاحب الاصل ذلك الموقع اكثر من مرة ولهذا جاءت معلوماته عنه متفاوتة ؟ ام انه شهد ذلك الموقع مرة واحدة ولكنه دوّن عنه ملاحظات متفاوتة نتيجة تغيرات احدثها هو من تلقاء نفسه ؟

واحيانا قد يشاهد عدة اشخاص حادثا ما ، ولكنهم ينيبون واحدا من بينهم للكتابة عن الحادث · لذا ينبغي محاولة التحقيق فيا اذا كان التدوين (الذي يتفق عليه الاشخاص العديدون) قد حدث نتيجة مشاهدة ذلك الفرد الشخصية وحدها ؟ ام نتيجة مشاهدته بالاشتراك مع الاخرين ؟ وقد يدون عدة اشخاص في ظروف متشابهة معلوماتهم عن حادث معين في اصول مختلفة ، فينبغي ان يسعى الباحث الى ان يعرف : هل خضع الجميع لمؤثرات واحدة ؟ وهل تعرضوا لاخطاء او لعوامل خداع معينة ؟ وهل كانت لهم جميعا مصلحة واحدة مشتركة ام مصالح مختلفة متباينة ؟

والباحث في التاريخ مضطر الى ملاحظة العلاقة والارتباط والتآلف بين مجموعات الروايات الماثلة امامه ، لكي يخرج باثبات الحقائق التاريخية التي تعنيه ، وهو في ذلك يمهد لنفسه السبيل للانتقال من دور التحليل والنقد ، الى دور تركيب الحوادث وبنائها والربط والتأليف بينها ·

ومن الامثلة على اتفاق روايات عديدة بشأن حادث معين ، مانلاحظه من اتفاق على تفاصيل حادث اجتماع ملعب التنس اثناء الثورة الفرنسية

١٧٨٩ ، كما رواها شهود العيان . فلقد وجد الاستاذ فلنج - في المصدر الانف الذكر - ان مصادر مستقلة عديدة تتفق على ان ممثلي الشعب في مجلس طبقات الامة حين ارادوا ان يجتمعوا في القاعة المخصصة لذلك في صباح ٢٠ حزيران ١٧٨٩ ، وجدوا ان القاعة مغلقة ويحرسها جنود الملك ، فذهبوا الى ملعب التنس لعقد اجتماعهم فيه ، واقسموا انهم لن يتفرقوا ولن يكفوا عن موالاة اجتماعاتهم حتى يضعوا دستورا لبلادهم .

وكما يلاحظ فأن هذا الحادث يتكون من اكثر من تفصيل واحد . ففيه خبر عن قرار الملك اغلاق قاعة الاجتماع ، وحراسة الجنود اياها ، وتحديد يوم ٢٠ حزيران لذلك الاجتماع ثم تحولهم الى ملعب التنس ، وكيف اقسموا انهم سيواصلون اجتماعاتهم الى ان يضعون دستورا وهذه التفاصيل سجلتها عدة مصادر معاصرة مستقلة اهمها : محضر اجتماع الجلسة ، جريدة الجمعية الوطنية ، وخطاب كتبه (دي كنوا) احد اعضاء طبقة العامة في مجلس طبقات الامة والذي كان يرافق الملك احيانا . فيستطيع الباحث في تاريخ الثورة الفرنسية ان يقبل ما يرد في هذه المصادر المعاصرة المستقلة ، وان يثق بغير تحفظ بصحة ماجاء فيها من المعلومات(٧٩) .

وفي تاريخ العراق الحديث اتفقت عدة روايات مستقلة بشأن مصرع نوري السعيد رئيس وزراء العراق في العهد الملكي وذلك في اليوم التالي لقيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . ورغم اختلاف اصحاب الروايات حول التفاصيل الجزئية الا انهم يتفقون على ان نوري السعيد قد فرّ من منزله فجر ١٤ تموز والتجأ الى دار في الكاظمية ، وان القيادة العامة للقوات المسلحة قد خصصت جائزة بمبلغ عشرة آلاف دينار يدفع لمن يلقي القبض عليه حيا او ميتا . وانه قتل بعد ظهر يوم الثلاثاء (١٥ تموز) في منطقة البتاوين ، وكان يتنكر بزي

---

(٧٩) د. حسن عثمان ، مصدر سابق ، عن فلنج (Fling, PP. 112-113)

امرأة ونقلت جثته الى وزارة الدفاع . اما الاختلافات بين الروايات فتتعلق بساعة مقتله ، وبرصاص من قتل ؟ (ولهذا لم يتسلم مبلغ الجائزة المذكورة احد)(٨٠) .

واذا نحن قارنا شيئا من معلوماتنا عن التاريخ الحديث بشيء من معلوماتنا عن التاريخ القديم ، من حيث اثبات الحقائق التاريخية ، وجدنا الاصول والمصادر التاريخية المتعلقة بالتاريخ الحديث كثيرة متنوعة ، بعكس التاريخ القديم . ويشك بعض الباحثين في حقيقة الحوادث القريبة الينا لكثرة الروايات وتعارضها ، ويصبحون اكثر ميلا الى تصديق اخبار الحوادث في التاريخ القديم ، التي لاتتوفر عنها روايات كثيرة ومتعارضة . ولكن كثرة الروايات ووجود الاختلاف او التعارض بينها يعد ميزة هامة للتاريخ الحديث ، اذ يعطي ذلك فرصة اوسع للدرس والبحث واثبات الحقائق التاريخية ، على مدى الزمن ، مما هو غير متوفر بالنسبة للتاريخ القديم .

محاولة اخضاع حوادث التاريخ الى المنطق العلمي :

تواجه الباحث في التاريخ احيانا حالات لايتم فيها التوافق بين الوقائع التي تذكرها الاصول التاريخية ، وبين الحقائق المتداولة بين الناس . فقد تتعارض بعض المعلومات التاريخية مع خلاصة المعرفة الانسانية ، او مع القوانين العلمية الثابتة . وقد اشار ابن خلدون الى ضرورة رفض الروايات

(٨٠) انظر عن الروايات ومصادر الموضوع مجلة (افاق عربية) ، العدد ١١/١٩٨٨ والعدد ٢/١٩٨٩ ، وانظر على سبيل المثال ايضا : ليث عبدالحسين الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٧٩ ، ص ٢١٣-٢١٦ ، ود. محمد حسين الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، طبعة وزارة الثقافة والاعلام ص ٤٦٢ ، وانظر جريدة (الزمان) البغدادية (العدد ٦٢٩٠) الصادرة في ١٦ تموز ١٩٥٨ ، والجرائد العراقية الاخرى : الاخبار ، البلاد ، الشعب لليوم المذكور ، وفيها البيان الصادر من القيادة العامة للقوات المسلحة .

التي لاتتماشى مع المنطق العلمي حين قال : لاتثقن بما يلقي اليك من الاخبار ، وتأملها واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها باحسن وجه»(٨١) . وطالب بضرورة تطابق الوقائع التي يتحدث عنها المؤرخ مع امكانية حصولها الفعلي ، اذ قال : «اما الاخبار عن الواقعات فلابد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة ، فلذلك وجب ان ينظر في امكان وقوعها»(٨٢) .

ولاشك ان الملاحظات التي دونت نتائجها في الاصول التاريخية ، لايمكن ان تساوي في الدقة والصحة الملاحظات التي يدونها ويرسمها رجال العلوم الطبيعية ، فالطريقة غير المباشرة في دراسة التاريخ ، تقل من قيمتها كثيرا من حيث الدقة عن طريقة الملاحظة المباشرة والتجريبية في العلم الطبيعي . فاذا كانت نتائج الملاحظة في التاريخ لاتتفق مع نتائج الملاحظة في العلوم الطبيعية ، فلابد ان تسلم الاولى للثانية . ولايمكن للمعرفة التاريخية ان تدعي معارضة نتائج العلوم الطبيعية او تصحيحها ، بل على العكس ، على هذه المعرفة ـ وان شئت على علم التاريخ ـ ان يصحح نتائجه طبقا لنتائج العلوم الطبيعية ونواميسها . ولاشك ان التاريخ ، مهما بلغ في دراسته من الدقة ، يظل بعيدا عن الحقيقة بدرجات متفاوتة ، بسبب وسائله غير المباشرة في الحصول على معلوماته وكان هذا هو العائق الاساس الذي حال بين التاريخ وبين ان يكون علما ، او من (العلوم المضبوطة ـ Exact Sciences) .

(٨١) ابن خلدون ، المقدمة ،

(٨٢) ن . م . ص ٦١

الفصل الثامن

كتابة التاريخ : التركيب التاريخي
عرض الحقائق ، والرأي فيها

التركيب التاريخي او التأليف التاريخي Synthesis ، هو محاولة الجمع بين عناصر اولية لتكوين شيء جديد ، ثم عرض هذا المكون الذي هو الحصيلة النهائية لجهود الباحث التي بذلها في المراحل والخطوات السابقة المذكورة · تلك المراحل التي لاتفضي الى تاريخ مفهوم منظم ، ولكنها تزودنا بحقائق ووقائع تاريخية منعزلة غير متناسقة · فهي بمثابة المواد الخام الاولية التي يحولها الباحث الى بناء تاريخي مرتب مفهوم في عملية التركيب والتأليف والعرض ·

وقد يحسب الطالب (او الباحث المبتدئ) ان مرحلة التركيب مرحلة سهلة لاتتطلب سوى تنظيم اقوال اصحاب النصوص وعرضها وفق نسق معين · الا ان هذا الرأي بعيد عن الصواب ، ولاسيما حسب المفاهيم والاساليب الحديثة في التدوين التاريخي · فقد كان جهد قدماء المؤرخين ينصب على التدوين وعرض الروايات المختلفة دون القيام بعمليات نقد وتمحيص الروايات وتحليلها وتفسيرها ، واكتفوا بالسرد الاخباري ، فبدا التاريخ مجموعة وقائع ساكنة Static منعزلة ، وقلما نجد في التأليف القديم اثر لشخصية المؤرخ الذي جمع تلك المواد ، او بيان علل الحوادث ونتائجها · في حين ان الباحث (او المؤرخ) الحديث تقع عليه مهمة غير سهلة تكمن في تاريخ مقنع وبيان اسباب الحوادث واظهار المؤلف لآرائه ومعتقده في فلسفة التاريخ وفي تعليل الوقائع ، وعرض مواده بتعابير لغوية واضحة بعيدة عن التعقيد ، وبأسلوب جذاب غير مغال في اطلاق التعابير الادبية والمموهة ، ويمكن اجمال مامطلوب من الباحث في عملية العرض التاريخي بالقول : ان خير تاريخ يدون هو الذي يعتمد في جمع مادته على العلم ومنهجه في البحث ، وعلى الادب والفن في عرض تلك المادة[1] ·

١ـ طه باقر ، ود· عبدالعزيز حميد ، طرق البحث العلمي ، ص ١٦٠

وليست هناك قواعد صارمة دقيقة متفق عليها من جانب الباحثين من اصحاب منهج البحث التاريخي حول العرض وتركيب الحقائق . ولكن خبرات الباحث الشخصية التي تتكون خلال اشتغاله وتمرسه في حقل كتابة البحوث التاريخية ، هي المعول عليها الى حد كبير . فالباحثون تتفاوت مقدرتهم وقابليتهم ، ليس في العرض والتركيب حسب ، بل في المراحل السابقة كذلك . ومع ذلك فعلى الباحث ان يضع امامه امورا عديدة مهمة حين يتصدى لكتابة البحث المنهجي اهمها :

اولا : ان يكون بحثه وحدة تامة المعنى مرتبطة الاجزاء . وهو عمل ليس صعب المنال لمن يتبصر في أمر الكتابة ، فيبدأ العمل بهيكل (بخطة) متوازن منطقي شامل لجميع اجزاء البحث ، وتقسيم البحث الى وحدات متناسقة ومتجانسة ، وتتناول كل وحدة ناحية خاصة من البحث ، ثم مراعاة تسلسل وحدات الفصل . ثم يقوم بالكتابة بترو . فيبدأ كل فصل من فصوله بملخص عام يستعرض فيه آراءه ، ثم ينتقل الى النقاط الفرعية او المسائل الثانوية . وعليه ان يحسن الانتقال من فصل الى فصل ، ومن فقرة الى اخرى ، بحيث يكون الانتقال تدريجيا ، ويخلق بين الفقرات السابقة واللاحقة علاقة منطقية . فتكون الموضوعات متتالية ومترابطة ، وتكون كل الفصول ممهدة للفصل التالي . ولعل المثال الآتي يشرح المقصود :

ففي عرض تاريخ حضارة ما على الباحث ان يراعي الموازنة بين عرض وشرح الادوار التاريخية واحوالها السياسية مع ما سبقها . بمقدمة عن الاحوال الجغرافية التي اثرت في سير تاريخ تلك البلاد وحضارتها . وتكون هذه الادوار السياسية بمثابة خلفية تاريخية موجزة لبيان التطورات السياسية وخصائص كل دور منها . يعقب ذلك القسم الثاني من البحث وهو الخاص بالنواحي الحضارية ، حيث يعرض الباحث فيه اوجه ومقومات تلك الحضارة . ومن البديهي ، او اللازم ، ان يتبع الباحث في هذا القسم الحضاري تقسيمه الى وحدات

يراعي فيها التسلسل المنطقي المترابط ، كأن يبدأ اولا : بما يعتقده انه اهم ماأثر في سير تلك الحضارة ، مثل الديانة والمعتقدات والطقوس والاساطير، ويعقب ذلك الاوجه الحضارية التالية ، مثل الحياة الاقتصادية التي أثرت في بنية المجتمعات وسيرها وتطورها ، ثم يخصص الباحث فصله التالي للحديث عن المجتمع واحواله الاجتماعية والفئات الاجتماعية ومكانة المرأة ودورها ، وتنظيم المدن · ثم الجوانب السياسية في فصل تال يتناول فيه نظام الحكم · واخيرا الحياة العقلية ويتناول في هذا الفصل مختلف العلوم «كالهندسة والطب والكيمياء ·· الخ» ، والفنون والادب والفكر الفلسفي والمعارف الاخرى ، ثم خاتمة لما توصل اليه الباحث من حقائق تاريخية جديدة تضيف الى الجهود السابقة التي توصل اليها غيره من قبل · هذا ومن الضروري الا يعيد الباحث المسائل التي سبق لغيره ان ذكرها ، ففي هذا تكرار ممل · ويفضل ان يقوم الباحث بأيجاز الخصائص التاريخية لكل مرحلة حضارية ، ثم المستجدات التي اضيفت في كل مرحلة ·

ثانيا : ان تتصف اقوال الباحث بالصدق والامانة ، ولايخفي الآراء والتعاليل التي يتوصل اليها بقناعة ، ويعلن انها آراؤه ، ولاينسب آراء غيره الى نفسه · ثم يذكر بوضوح العبارة حينما تكون الوقائع والافكار التي يذكرها انه قد حصل عليها من بطون الكتاب الفلاني ، ليتمكن القارئ من التميز بين آرائه وبين الوقائع التي اقتبسها مع الاشارة الواضحة الى المصادر تسهيلا للباحثين الآخرين لمتابعة البحث والتدقيق ، اذا شاؤا ان يواصلوا العمل من حيث انتهى عنده هو ، وقد يخالفه باحث فيما يذهب اليه من الاستنتاج او الاجتهاد(٢) ·

هذا ولابد من كفاية ودراية خاصة لعرض نتيجة البحث التاريخي بأسلوب خاص به وليس من السهل على كل فرد ان يكتب التاريخ كما ينبغي ان يكتب · فكم تحوي رفوف المكاتب مؤلفات يظن كاتبوها انها كتبت في التاريخ ، وهي بعيدة عن ان تكون تاريخا بالمعنى العلمي ·

٢ـ اسد رستم ، مصدر سابق ، ص ١٢٣ـ١٢٤

ثالثا : لمن يؤلف الباحث كتابه ؟

ان المؤلفات التاريخية توضع اما للجمهور واما للمختصين

فالكتاب الذي يوضع للجمهور يقصد به نشر الثقافة التاريخية العامة ، ولهذا يعنى المؤلف بتقديم صورة مبسطة واضحة وموجزة عن العصر او الناحية التاريخية التي يتناولها . ولاتحتوي مثل هذه الكتب على التفصيلات ، وتقل فيها الا حالات الى الاصول والمراجع ، ويكتفي مؤلفه بذكر بعض المراجع العامة للرجوع اليها اذا رغب القارئ في المزيد .

وعموم قراء مثل هذه الكتب هم جمهور القراء ، غير المختصين ، او مايعرفون بعموم المتعلمين المعنيين بجوانب الثقافة المختلفة . ومن الافضل ان يقوم بتأليف مثل هذه الكتب العامة نفس الباحثين الذين يكتبون للمختصين ، اذا اتسع وقتهم لذلك . والواقع ان المختصين بوسعهم ان يؤلفوا كتبا مبسطة لعامة الناس ، في حين ان من اعتاد ان يكتب لعامة الناس قد لايكون في وسعه ان يؤلف كتابا تتوفر فيه صفات العلمية والمنهجية والدقة وليس من الضروري ان يشير بالنصوص الى وجهات النظر المختلفة المتعارضة ، كما لايلزم المؤلف الاكثار من الهوامش ويتحاشى التعابير والمصطلحات الفنية المعقدة ، بل يتوخى سلامة اللغة وسهولة التعبير والبساطة في العرض كلما امكن ذلك .

اما البحوث التي يكتبها الاختصاصي كعمل علمي منهجي ، فأنه يسير فيها بعرض وجهات النظر المختلفة عن الموضوع المعني ، واجلاء الغوامض والاكثار من التفسيرات والتعليلات مع الاشارة بصورة دقيقة الى المصادر والمراجع .

وهذا يعني ان على الباحث ان يضع في حسبانه مقدما الجهة التي سيخاطبها في مؤلفه ، لان اذا كان صحيحا ان الكتاب يحدد قراءه ، فالصحيح ايضا ان مستوى القراء يوجه الباحث الى المستوى الكتابي المطلوب .

هذا وهناك انواع واصناف عديدة من التأليف التاريخية يختلف كل منها عن الاخر في الهدف والعرض والاسلوب ، منها مايألف في التاريخ العام ، مثل

المؤلفات التي تخص حضارات معينة ، وتاريخ مرحلة بارزة من تاريخ بلاد ما ، او تاريخ موضوع خاص عن الحضارات المختلفة ، او بحث عن حياة شخصية مهمة ، او تاريخ العلوم او الفنون وتطورها عبر الزمان .. الخ .

رابعا : تفسير احداث التاريخ :

على الباحث ان يجتهد في اظهار شخصيته وآرائه في تفسير الاحداث ، وفيما يكتشفه ويرتأيه من علل واسباب ، ويقدم بتواضع شديد هذه الآراء والعلل والاحكام الى القارئ ليكون حكما في مسألة قبولها او رفضها . اي ان على الباحث الا يقتصر على مجرد سرد الروايات والاحداث التاريخية دون ذكر اسباب او علل تلك الحوادث .

والواقع ان الباحثين والمؤرخين يختلفون في علل واسباب قيام الحضارات ونشوب المعارك وسقوط الدول . لان مايسمى بقوانين العلية «السببية» قوانين متناهية في التعقيد والتعددية ، والسبب في ذلك هو ان التاريخ ليس من صنف المعارف العلمية المضبوطة - كما ذكرنا - والتي يكون فيها قانون العلية واضحا مضبوطا ومطردا ، وان مايحاول الباحث والمؤرخ في كشفه عن القواعد والقوانين لمسيرة التاريخ وتطور المجتمعات البشرية ليس على تلك الدرجة من الوضوح والدقة كما في قوانين العلوم الطبيعية . فأحداث التاريخ ناتجة عن علاقات اجتماعية بين افراد عاقلين يتصفون بالارادة والدوافع والحوافز المعقدة ، بخلاف حوادث الطبيعة وظواهرها التي تنتج عن اشياء جامدة تخضع لقوانين طبيعية صارمة مطردة .

وقد حاول المعنيون بالتاريخ الاستفادة من النتائج التي توصلت اليها العلوم الصرفة - كالرياضيات والطبيعيات - وتأثيرها على نشوء عدة علوم اجتماعية انسانية مثل (علم الاجتماع Sociology) او العمران كما سماه ابن خلدون ، و (علم الاقتصاد Economy) و (العلوم السياسية Politics) وغيرها ، واخذت هذه العلوم

تدرس المؤسسات والانظمة الاجتماعية دراسة مقارنة Comparative Study ، ويستخرج من هذه الدراسة بعض القواعد الكلية التي تسير تطورات الحضارات والمجتمعات البشرية ، فيفيد من ذلك المؤرخون في تعليل وتسبيب الظواهر التاريخية ، وقد تطورت مثل هذه الدراسات اكثر بفضل الكشوف الآثارية عن حضارات قديمة كثيرة متقدمة لم يكن يعرف عنها الكثير .

كل ذلك وضع في متناول ايدي المؤرخين مادة مهمة غزيرة تمكنهم من استخراج العلل والاسباب المسيرة لتطور الحضارات والمجتمعات وعوامل نموها وتوقفها عن النمو وركودها وانحلالها وفنائها .. والمهتم بشأن التاريخ يريد ان يعلم لماذا سقطت نينوى ؟ لماذا بنى المصريون الاهرامات ؟ لماذا اعلن حمورابي قوانينه ودوّنها على مسلته ؟ لماذا وقعت النهضة الاوربية في ايطاليا ؟ لماذا خرج مارتن لوثر عن طاعة الكنيسة البابوية ؟ ولماذا انبلعت الثورة الفرنسية قبل مائتي عام ؟ . فظهرت بسبب محاولات الكشف عن الاسباب نظريات عديدة للجواب على هذه الاسئلة اطلق عليها «فلسفة التاريخ Philosophy of History» ، منها الفلسفة او النظرية المثالية Idealism ويمثلها الفيلسوف الالماني هيكل Hegel ، وهي استمرار ـ في بعض جوانبها ـ لنظرية العناية الالهية ، او المذهب الميتافيزيقي Metaphysical او المدرسة الدينية التي ترى ان قوة عليا هي التي تسير الانسان والمجتمعات الانسانية ويقابل هذا المذهب المادي Materialistic الذي اكد ان الاحوال الاقتصادية هي التي تسير التطور البشري واشكال مجتمعاته(٣) .

ومن النظريات المهمة الاخرى ماعرف بالبعد البيولوجي «الاحيائي» ومفادها ان الحضارات لها اعمارها وفصولها والتي لابد ان تنتهي ، واعلن هذا المذهب الفيلسوف اوزوالد شبنگلر Oswald Spengler في كتابه «تدهور الحضارة الغربية The Decline of the West» ، وتشبه النظرية في بعض جوانبها ماأعلنه الفيلسوف

٣ـ طه باقر ، د. عبدالعزيز حميد ، مصدر سابق ، ص ١٦٤ـ١٦٥

العربي الكبير ابن خلدون في «المقدمة» قبل شبنكلر بأكثر من خمسة قرون حين قال : «ان للدول اعمارا طبيعية كما للاشخاص»(٤) .

واذا كان التعليل والتفسير امرين مطلوبين ، فأن من الضروري ان يقوم بهما الباحث عن قناعة واقتدار ، والا يفسر نفسه عليهما دون اعتقاد حقيقي بنظرية من النظريات ، والا فأن الباحث سيقع في تناقضات حين يعلل ويجتهد ، كأن يذكر هنا تفسيرا سرعان ماينقضه في مكان اخر ، وهذا مايؤثر على مكانته كباحث جاد .

خامسا : في اسلوب العرض اللغوي

من شروط العرض التاريخي ان تكون للباحث في التاريخ المقدرة على حسن التعبير باللغة التي يكتب بها ، فعليه ان يعرف كيف يختار الالفاظ المناسبة والاساليب التي تعبر عن غرضه . وقد يتعمد بعض الباحثين اختيار الالفاظ الصعبة والاساليب المعقدة الثقيلة ، بقصد ايهام القارئ بقدرته وعمق تفكيره ، وهذا أمر مخل بأسلوب العرض التاريخي . فعلى الباحث ان يكتب بلغة سهلة واضحة تلائم الموضوع الذي يتناوله ، ويكتب بأسلوبه الذي تتضح فيه شخصيته ، فلايقلد غيره من الكتّاب والباحثين . ولاريب فأن لكل كاتب طريقته الخاصة في التعبير عن آرائه .

هذا وينبغي الا يكتب الباحث بأسلوب ادبي بحت ، فقد يضطره هذا الاسلوب الى تغيير الحقائق ، او الى المبالغة في تصوير الاحداث ، بقصد إحداث الاثر المطلوب في نفس القارئ . فليس المقصود في كتابة البحث التاريخي كتابة قطعة ادبية جميلة مثيرة للعواطف ، بل عرض الافكار والنتائج التي توصل اليها بوضوح وسلاسة ودقة.وكذلك ينبغي ان تجمع الصيغة التاريخية بين الايجاز

---

٤. ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٠٠-٢٠٤ .

والدقة . فالصياغة المختصرة ربما تحول دون فهم المقصود ، والصياغة المطولة ربما تقلل من قيمة التاريخ المكتوب ، وتقدم للقارئ ماليس ضروريا ، فيحسن اتباع طريق وسط بين الصياغتين وحذف كل ماهو غير ضروري لايضاح الحقيقة[٥] . فاللغة السليمة التي تجلو الحقيقة سلسة من دون تصنع او تقعر شرط رئيس في كمال البحث[٦] .

سادسا : وحدة الموضوع في الكتاب

فعلى الرغم من الوحدة الموجودة في كل مصنف تاريخي ،بشكل او بآخر ، الا ان على الباحث ان يضع في اعتباره ان مايكتبه جزء من تاريخ عام ، فهو بحث يتناول تاريخ موضوع ما في عصر ما ، وهذا العصر سبقه عصر ، ويتلوه عصر اخر .

سابعا : حين يبدأ الباحث بعمله فأنه سيسير على ضوء المخطط (او الهيكل) الذي وضعه من قبل ومافيه من ابواب واقسام وفصول . لكن ليس من الضروري ان يسير في كتابته وفق هذا الترتيب . فقد يرى ان من الافضل ان يبدأ بكتابة الفصل الرابع قبل الفصل الاول مثلا ، حسب مااستطاع جمعه من معلومات تخص الفصل المذكور ، واكتمال صورة هذا الفصل لديه ونضجه . وحين يستكمل كتابة فصله يحسن به ان يتركه جانبا لمدة معينة ، ثم يعود اليه مرة اخرى ، فكثيرا ماتظهر له مسائل غامضة او غير حسنة الترتيب او الصياغة او ناقصة ، لم يكن بالامكان اكتشافها قبل كتابتها ، وحين يعود اليها يستطيع ان يلاحظها فيقوم بتوضيح الغامض او يعدل بعض الفقرات او يعيد كتابتها من جديد اذا اقتضى الامر ذلك . وان اعادة الكتابة اكثر من مرة تجعل عباراته ادق واوفر بالغرض .

٥ـ د. مصطفى ابو ضيف احمد ، مصدر سابق ، ص ١٥٤

٦ـ د. الطاهر ، منهج البحث الادبي ، ص ١٢٣

ثامنا : ينبغي ان يكتب الباحث وفي ذهنه احتمال الوقوع في الخطأ ، وعليه ان يبادر بتصويب مايمكن ان يكتشفه من اخطاء . واذا ماظهرت له معلومات او ادلة جديدة فعليه الا يتردد في اضافتها الى صفحات بحثه . وحينما لايكون واثقا من مسألة ماعليه ان يقرر ذلك صراحة دون وجل . وقد يشعر الباحث ان خللا ما قد دب في ثنايا بحثه وقد لايستطيع احد ان يفطن الى موطن الخلل ، ولكن الامانة العلمية تتطلب الافصاح عن هذا الخلل ورتقه قدر الامكان ، واذا لم يستطع من ذلك يتركه الى باحث اخر ، والاعلان عن وجود خلل دليل على ذكاء الباحث وقدرته على وضع يده على نقاط الضعف الموجودة في الموضوع .

مسألة الهوامش : على الباحث ان يفرق بين ماينبغي ان يكتبه في المتن (في صلب الرسالة) وبين حالات الكتابة في الهامش ، فلاينتقل بين المتن وبين الهامش انتقالا يخل بمنهجية الكتابة ، ويزعزع وحدة الموضوع وانسجام اجزائه ، ويعرض فقراته الى التفكك والارتباك . ومع هذا فقد يبدو في احايين كثيرة ان ليس ثم حد واضح يفصل بين مايجب ايراده في متن الكتاب ، او في الهوامش ، والمسألة متروكة لتقدير الباحث وميزانه . فقد يرى ان يضع مسائل معينة في المتن ، بينما يفضل غيره وضعها في الهامش . ويرجع الاختلاف والتفاوت الى الاختلاف بين طبيعة المسائل التاريخية ، والتداخل بين تفصيلاتها الجوهرية والثانوية ، والاختلاف بين باحث واخر في تقدير مدلول الحقائق التاريخية في عمومها وتفصيلاتها . فيجد الباحث احيانا ان من الضروري ان يناقش او ينقد نصا او دليلا تاريخيا في الهامش او ينقد رأي مؤلف اخر في مسألة ما ، او يوفق بين عدة آراء خلافية عن حادث ما . ومن امثلة ذلك انه وجدت آراء عديدة بشأن مصرع روبسبير Robespierre (١٧٥٨-١٧٩٤) ابرز رجالات الثورة الفرنسية الكبرى . فتذكر بعض المصادر انه قد انتحر ، ويعتقد اخرون ان (ميدا) احد رجال الشرطة الفرنسية قد اطلق عليه الرصاص ، ويرجح البعض الاخر ان

اشخاصا ، وبينهم ميدا ، قد اطلقوا على روبسبير النار بعد ان اصاب نفسه في محاولته للانتحار فأردي قتيلا ، سواء برصاصه ام برصاص غيره(٧) .

ففي هذه الحالة ينبغي على الباحث ان يورد في المتن الرأي الذي يرجحه مع ذكر اسباب وادلة هذا الترجيح ، ويورد في الهامش الآراء الخلافية حولها ، ويناقشها ويستخرج رأيه ، اذا امكنه ان يفعل ذلك ، او يترك المسألة كما هي ، اذا لم يصل فيها الى رأي قاطع ، ولايكون الباحث مسؤولا اذا لم يجد من الادلة التي لاتقبل الدحض او الشك .

ويضطر الباحث احيانا ان يورد في الهامش نصا بلغة اجنبية مأخوذا من مخطوط او وثيقة ، او كتاب مطبوع ، فيفضل ان يبقى النص بلغته الاصلية ، لان ترجمة النص قد تغير المعنى . وقد يكون ذلك في الحالات التي يصعب او يتعذر فيها الوصول الى الاصل التاريخي ، او حينما يكون من الضروري تقديم الدليل القاطع لاثبات حقيقة تاريخية معينة .

وتتبع في تسلسل الهوامش طريقتان : احداهما تقوم على وضع ارقام متسلسلة لكل صحيفة ، وهي تبدأ من الرقم (١) وتوضع في اسفل كل صفحة ، وسهولة هذه الطريقة واضحة ، فكل صفحة مستقلة بأرقامها ومصادرها وكل مايتصل بها . ومن السهل في هذه الحالة ان تحذف رقما او تضيف اخر دون الحاجة الى احداث اي تغيير في ترتيب هوامش الصفحات الاخرى .

اما الطريقة الثانية فتكون فيها ارقام البحث متسلسلة خلال الفصل الواحد من الرسالة . وتوضع هذه الارقام في هامش الصفحات التي تخصها ، او تجمع وتوضع في نهاية الفصل او في نهاية الكتاب مع الاشارة الى الهوامش الخاصة بكل فصل . ومن متاعب هذه الطريقة للباحث ان احداث اي تغيير بالحذف او بالاضافة في اي رقم يستلزم تغيير ارقام الهوامش التالية كلها ـ اضافة الى انزعاج

٧ـ شبيه بهذه الروايات ماقيل عن مصرع نوري السعيد الذي تطوقنا اليه آنفا

القارئ منها اذ انه يضطر الى تقليب اوراق البحث للعثور على الهوامش في امكنتها ، بينما تخلو الطريقة الاولى من هذا الازعاج . وتتضمن الهوامش عدة مسائل هي :

١ـ مادة توضيحية او تكميلية لما جاء في المتن

٢ـ اشارة الى المصادر التي استقى منها الباحث مادته .

٣ـ احالة القارئ الى مكان اخر من الرسالة وضحت به نقطة ما او اوردت به تفاصيل عنها وذلك لتخاشي تكرار ذكر ماسبق ان تحدث عنه .

ففي الحالة الاولى يذكر الباحث ايضاحات لجمل وردت في المتن (صلب الرسالة) او للتعريف بأحدى المواقع التي ورد ذكرها في المتن . ولايمكن تثبيت هذه الايضاحات في المتن ، لان ذلك يقطع اتساق الحديث وتسلسله . وينبغي ان تكون مادة الهامش التوضيحية مقتضبة ، واذا كانت طويلة وضعت في الملاحق . ومع ذلك يجب الا تستعمل الهوامش لغرض الحذلقة والتظاهر بالمعرفة[٨] . على اعتبار ان الهوامش هي ملكة الباحث ، اذ هو ملك مقيد بقوانين المنهج العلمي .

وفي الحالة الثانية يثبت الباحث المصادر التي استفاد منها اعترافا منه بفضل اصحاب هذه المصادر الذين انتفع بجهودهم واقتبس منهم ، وليدل على انه اطلع واستوعب في دراسته المصادر الهامة التي تتصل برسالته ، وبنى دراسته هذه ونتائجها على ماورد فيها ثم ليتيح لباحث تال فرصة القيام بدراسة اوسع على هدى هذه المصادر اذا اراد[٩] .

وحين الاشارة الى مصدر ما في الهامش لاول مرة يلزم على الباحث ان يضع اسم المؤلف الكامل ، ثم اسم الكتاب واسم محققه ، ومكان طبعه ، وتاريخه والجزء

٨ـ د. فياض ، مصدر سابق ، ص ٩٥

٩ـ د. شلبي ، مصدر سابق ، ص ٩٩

(اذا كان الكتاب متعدد الاجزاء) ورقم الصفحة . وبعد الاشارة الاولى تكون الاشارات التالية الى اسم الشهرة لدى المؤلف ، واسم كتابه ، وذكر الجزء ورقم الصفحة فقط . وقد لايحتاج الباحث الى ذكر اسم الكتاب ، اذا كان صاحب المصدر ليس له سوى هذا الكتاب ، او ان الباحث لم يستعمل في بحثه سوى هذا المصدر فقط من بين مصادره .

مثال :

اول اشارة الى كتاب الكامل لابن الاثير (مثلا) تكون كالاتي :

ابن الاثير ، عزالدين علي بن محمد الشيباني الجزري

الكامل في التاريخ . طبعة دار صادر ـ دار بيروت ـ بيروت ١٩٥٦ ، جـ ١٠ ص ٢٢٥

وفي الاشارة الثانية يكتفي الباحث بما يأتي :

ابن الاثير ، الكامل ، ٢٣٤/١٠

واذا تمت الاشارة الى نفس الكتاب في هامشين متتاليين ، فأكثر ، يكتفي بما يأتي :

ابن الاثير ، مصدر سابق ، ٢٣٥/١٠ ، او المصدر نفسه ، ٢٣٥/١٠ ، واختصارا م . ن . ٢٣٥/١٠ .

واذا كانت الاشارة الى نفس الصفحة فيكون كالاتي : م . ن . ص

واذا حصل ان استعمل الباحث كتابا ثانيا للمؤلف نفسه (ابن الاثير) :

كأن يكون كتابه «الباهر في التاريخ الاتابكي في الموصل وحلب» ، فيذكر اسم الكتاب في كل مرة ، الا اذا كانت الاشارات المتتالية الى نفس الكتاب فتتم وفق ماذكرناه آنفا .

وتستعمل نفس الطريقة اذا كان الاقتباس من كتاب بلغة اجنبية ويستعمل الرمز (Op.Cit) وهو اختصار لـ (Opere Citato) ويعني (المشار اليه) للدلالة على مصدر سابق بعد الاشارة الى اسم المؤلف . والرمز Ibid اختصارا لـ (Ibidem) ،

دون ذكر اسم المؤلف اذا كانت الاشارتان متتاليتين ، ولافاصل بين الهامشين(١٠) .

الملاحق : وتأتي بعد ذلك ملاحق البحث ، وهي مجال لتقديم او نشر مختارات من نصوص مقتبسة من الاصول التاريخية التي اعتمد عليها الباحث ، والواقع ان نشر بعض هذه الاصول لأمر جوهري ، اذ انه يقدم للقارئ المختص شيئا من المادة الاولية التي استقى منها الباحث معلوماته ، وينقله الى ذلك المجال الذي استخرج منه الحقائق التاريخية . وقد تكون هذه الاصول خطابات سياسية يكتبها القادة والوزراء ، ومراسلات يكتبها السفراء الى حكوماتهم ، او قد تكون تعليمات تصدرها تلك الحكومات اليهم ، او صورا لمعاهدات سياسية او تجارية او بحرية ، او مشاهدات رحالة معاصر ، او وصف شاهد عيان . ومن الافضل ان تنشر هذه الاصول بنصها بدون تعديل ، ويكون نشرها مصحوبا بهوامش يشرح فيها الفاظ الوثيقة الغريبة ، وتصحيح اخطائها ان وجدت لانها قد تعوق الفهم ، والتعليق على نصوصها اذا اقتضى الامر ذلك ، وبيان قيمتها التاريخية .

وينشر الباحث في هذه الملاحق ايضا مناقشات خاصة بشأن التثبت من صحة اصل تاريخي ، او تحديد العلاقة بين بعض الاصول ، او بحث نقطة تفصيلية خاصة بشخصية او بحادث او بمكان او بزمان او بأية مسألة تاريخية مهمة اخرى . وقد تنشر هذه المختارات وهذه المناقشات والتعليقات في ملحق متصل بالبحث ، او تنشر بشكل مستقل ويلحق بالبحث ، واذا كانت الاصول بلغة اجنبية فتنشر بنصها .

ويرى بعض الباحثين ان اثقال الهامش بالمعلومات امر غير مستحب ، لذا ينصحون بتخفيفه . ومن التوجيهات في هذا الصدد ان الباحث اذا رأى ضرورة

١٠ـ د. الطاهر . مصدر سابق ، ص ١٢

د. فياض ، مصدر سابق ، ص ١٠٠

لتفسير مفردات او التعريف بأشخاص ، وكان عدد مايراه ضروريا من هذه التفسيرات والتعريفات كثيرا ترتؤدي هذه الكثرة الى اثقال الهامش ، فعلى الباحث ، عندئذ ، ان يوحد بين معلوماته وينظمها في بيانات وجداول خاصة يضعها في نهاية الكتاب على شكل ملاحق(١١) .

اما الجداول الايضاحية فالقصد منها هو جعل عمله يبدو اكثر متانة ، اذ يشرح الباحث بها بعض الجوانب المهمة من البحث باستعمال ارقام او رموز او بيانات او رسوم وخرائط وغيرها من اشكال التعبير المركزة ، وبشكل واضح لا ابهام فيه . ومنها سلالات الملوك او الحكام او تقلصها بمرور الزمن ، وتكون هذه الجداول من عمل الباحث نفسه ، او مقتبسا من كتاب يثق الباحث بصحة ماورد في جداوله من معلومات ، مع الاشارة الى هذا الكتاب .

مكتبة البحث ، قائمة المصادر :

والمقصود هو قائمة الاصول والمراجع والدوريات والمجلات التي اعتمد عليها الباحث في كتابته ، سواء اكانت تلك المصادر مكتوبة بلغة البحث (العربية) ام باللغات الاجنبية . وينبغي ان تنظم هذه المكتبة حسب تسلسل اسماء اصحاب المصادر بترتيب حروف الهجاء (أ ، ب ، ت ، ث ، ج) وذلك بذكر لقب المؤلف او اسم الشهرة لديه ، وحسب ماورد في اول اشارة في الهامش تماما ، مع اضافة سنة وفاة المؤلف (ان كان قد توفي) وبالتقويمين الهجري والميلادي .

ويذكر على رأس القائمة الوثائق التي اعتمد عليها الباحث ، وينبغي ذكر المدينة التي توجد فيها الوثيقة ، والخزانة التي اودعت فيها ، ورقم الوثيقة ورقم الورقة ، ثم تاريخ الوثيقة ومكان تدوينها ، وعمن صدرت ، وفيما اذا كانت وثيقة

---

١١. د. الطاهر ، مصدر سابق ، ص ١٢٢

رسمية او غير رسمية ولابد ان تكون هذه المعلومات دقيقة وصحيحة ، والا يحدث بشأنها سهو او اضطراب وخلط ، والا فلا فائدة منها اصلا(١٢) .

ومايقال عن الوثائق ينطبق على المصادر الخطية (المخطوطات) والتي يلي ترتيبها بعد الوثائق · ثم كتب الاصول (المصادر او المراجع الاولية) وتليها المراجع الحديثة ثم المراجع باللغات الاجنبية · واخيرا الدوريات والمجلات الخاصة بنشر البحوث التاريخية ·

وهذه الاقسام (الستة) قد تنكمش او تتسع حسب طبيعة موضوع البحث ومصادره ولكن المهم هو اعطاء معلومات دقيقة وصحيحة عن كل هذه المصادر والاصول والمراجع والدوريات(١٣) .

١٢- د· حسن عثمان ، مصدر سابق ، ص ١٩٩ و ٢٠١

١٣- المصدر السابق ، ص ٢٠١

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ـ المصادر

ابن الاثير ، عزالدين علي بن ابي الكرم محمد الشيباني الجزري .

١ـ الكامل في التاريخ . طبعة دار صادر ـ بيروت ، ١٩٦٦ ، مطبعة المنيرية . القاهرة ١٣٤٨ هـ /١٩٢٩ م .

الاصفهاني ، عمادالدين محمد بن محمد بن حامد بن هبة الله الكاتب .

٢ـ الفتح القسي في الفتح القدسي . طبعة القاهرة ١٣٢١ هـ /١٩٠٣ م ـ ١٩٠٤ م . وطبعة الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٥ .

التبريزي ، يحيى بن علي .

٣ـ شرح الحماسة . طبعة بغداد . بدون تاريخ .

الثعالبي ، عبدالملك بن محمد .

٤ـ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر . تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة . القاهرة ١٣٧٥ هـ /١٩٥٥ م .

ابن ابي حاتم ، عبدالرحمن بن محمد .

٥ـ كتاب الجرح والتعديل . مطبعة دائرة المعارف العثمانية . الهند ١٣٦١ـ١٣٧٢ هـ /١٩٤١ م ـ ١٩٥٣ م .

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله المعروف بـ (كاتب جلبي) .

٦ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون .

طبعة ليبزك ـ ١٢٥١ هـ/١٨٣٥ م .

طبعة استانبول ـ تركيا . ١٣٦٠ـ١٣٦٢ هـ/١٩٤١ـ١٩٤٣ م .

الخطيب البغدادي ، احمد بن علي .

٧ـ تاريخ بغداد . مطبعة دار الكتاب العربي . بيروت (بدون تاريخ) .

ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد .

٨ـ المقدمة ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، وطبعة مطبعة البيان العربي القاهرة ١٩٥٧ ،
ابن خلكان ، احمد بن ابراهيم بن ابي بكر الاربلي ،
٩ـ وفيات الاعيان ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٦٧ هـ/١٩٤٧ م ،
الزبيدي ، محمد مرتضى الحسين الواسطي ،
١٠ـ تاج العروس في جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية ـ القاهرة ١٣٠٦ هـ/١٨٨٨ م ،
ابن الساعي ، علي بن انجب بن الساعي البغدادي ،
١١ـ الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، الجزء التاسع ، نشر د. مصطفى جواد والاب انستاس ماري الكرملي ، بغداد ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م ،
السبكي ، عبدالوهاب بن علي ،
١٢ـ طبقات الشافعية الكبرى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م ،
السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن ،
١٣ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، مطبعة الترقي ـ القاهرة ١٣٤٩ هـ/١٨٤٧ م ،
ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري ،
١٤ـ الطبقات الكبير (طبعات ابن سعد) باعتناء سخاو ، مطبعة بريل ـ ليدن ١٣٢٣ـ١٣٤٠ هـ/١٩٠٥ـ١٩٢١ م ،
السيوطي ، عبدالرحمن بن ابي بن محمد ،
١٥ـ الشماريخ في علم التاريخ ، مطبعة بريل ـ ليدن ١٣١٢ هـ/١٨٩٤ م ، ونشر ضمن كتاب (علم التاريخ عند المسلمين) لروزنثال ـ تعريب د. صالح احمد العلي ، مراجعة أ. محمد توفيق حسين ، مطبعة الثني بغداد ، ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م ،

١٦ـ المزهر في علم اللغة ، مطبعة دار احياء الكتب العربية بالقاهرة (بدون تاريخ) .

ابن شداد ، بهاء الدين يوسف الاسدي .

١٧ـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، طبعة الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٤ .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي .

١٨ـ الوافي بالوفيات . اعتناء هلموت ريتر . مطبعة فيسبادن.المانيا .

الطبري ، محمد بن جرير .

١٩ـ تاريخ الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ـ تاريخ والرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار المعارف ـ القاهرة ، ١٣٨٧ـ١٣٨٩ هـ/١٩٦٧ـ١٩٦٩ م

٢٠ـ تفسير الطبري ـ جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر . مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة (بدون تاريخ) ، ومطبعة دار المعارف ـ القاهرة ١٣٧٤ هـ/١٩٦٩ م .

ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي .

٢١ـ تاريخ دمشق . مطبعة روضة الشام . دمشق ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م .

ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبدالحي .

٢٢ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مطبعة مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ/١٩٣١ م .

ابن الفرضي ، عبدالله بن محمد الازهري الاندلسي .

٢٣ـ كتاب تاريخ علماء الاندلس ، نشر كوديرا ، مدريد ١٣١٠ هـ /١٨٩٢ م .

ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم الدينوري .

٢٤ـ المعارف . تحقيق محمد اسماعيل عبدالله الصاوي ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م .

ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل القرشي .

٢٥ـ البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٤٨ هـ/١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩/١٩٢٩ م ، وطبعة بيروت ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م .

المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني .

٢٦ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٨ .

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي .

٢٧ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٧٠ هـ/١٨٥٣ م ، مطبعة الطباعة المصرية ، بولاق القاهرة ١٣٧٠ هـ/١٩٥٠ م .

٢٩ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م ، مطبعة بيروت ، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

ابن النديم ، محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق الوراق البغدادي .

٣٠ـ الفهرست ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ/١٩٢٩ م وتحقيق رضا ، تجدد مطبعة دانشكاه ـ طهران ١٣٩١ هـ/١٩٧١ م .

النويري ، احمد بن عبدالوهاب .

٣١ـ نهاية الارب في فنون الادب ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨ م .

الهمداني ، محمد بن عبدالملك .

٣٢ـ الاكليل ، نشره لوفكرت ، ابسالا ١٣٧٤ هـ/١٩٥٤ م .

ياقوت ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الروحي .

٣٣ـ معجم الادباء ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، مطبعة دار المأمون ـ القاهرة ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦ م .

٢ـ المراجع العربية :

ابراهيم ، ناجية عبدالله .

٣٤ـ قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي ، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، منشورات المكتبة العالمية ، بغداد ١٩٨٧ .

احمد ، مصطفى ابو ضيف .

٣٥ـ منهج البحث التاريخي بين الماضي والحاضر . مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٨٧ .

امين ، احمد .

٣٦ـ فجر الاسلام ، الطبعة العاشرة ، مكتبة نهضة مصر ١٩٦٥ .

باقر ، طه وعبدالعزيز حميد .

٣٧ـ طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار ، مطبوعات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٠ .

بدر ، احمد .

٣٨ـ اصول البحث العلمي ومناهجه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، طبعة رابعة ١٩٧٨ .

جاسم ، عزيز السيد .

٣٩ـ علي بن ابي طالب (سلطة الحق) ، بغداد ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨ م .

جعفر ، نوري .

٤٠ـ التاريخ مجاله وفلسفته ، مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٥٥ .

حسن ، حسن ابراهيم .

٤١ـ تاريخ الاسلام السياسي ، مطبعة السنة المحمدية ، مطبعة النهضة المصرية ط ٧ ، القاهرة ١٩٦٥ .

حسونة ، محمد احمد .

٤٢ـ اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية ، طبعة مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠ .

حسين ، صدام (السيد الرئيس القائد) .

٤٣ـ حول كتابة التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٤٠٠ هـ/١٩٧٨ م .

٤٤ـ الاقتصاد والادارة في المجتمع الاشتراكي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٧ م .

٤٥ـ التراث العربي والمعاصرة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٤٠١ هـ/١٩٨٠ م .

حمادة ، محمد ماهر .

٤٦ـ المصادر العربية والمعربة ، طبعة مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٠ .

الدوري ، عبدالعزيز .

٤٧ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ م .

٤٨ـ تفسير التاريخ .

مطبعة الارشاد ، بغداد (بدون تاريخ) .

رستم ، اسد .

٤٩ـ مصطلح التاريخ .

المطبعة الامريكية ، بيروت ١٣٥٨ هـ/١٩٢٨ م .

زريق ، قسطنطين .

٥٠ـ نحن والتاريخ ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨١ .

زيدان ، جرجي .

٥١ـ تاريخ اداب اللغة العربية ، طبعة دار الهلال ١٩٣٠ .

سالم ، عبدالعزيز .

٥٢ـ التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١ .

شلبي ، احمد .

٥٣ـ كيف تكتب بحثا او رسالة ، مكتبة النهضة المصرية ، طبعة القاهرة ، ١١٥٤ و ط ١٩٦٦ .

المصرية ، القاهرة .
الطائي ، علي عباد .
٥٥ـ منهج البحث الادبي ، مطبعة المعاني ، بغداد ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م ، وطبعة منشورات المكتبة العالمية ، بغداد ١٩٨٣ .
عبداللطيف ، نزار .
٥٦ـ آراء في كتابة التاريخ العربي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٤٠٠ هـ/١٩٧٩ م .
عثمان ، حسن .
٥٧ـ منهج البحث التاريخي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ .
العزاوي ، عبدالرحمن حسين .
٥٨ـ الطبري ، السيرة والتاريخ ، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٤١٠ هـ/١٩٨٩ م .
٥٩ـ الطبري ومنهجه في التاريخ ، رسالة الدكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ .
٦٠ـ المنهجية التاريخية في العراق ، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨ م
العظمة ، عزيز .
٦١ـ الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٣ .
عفلق ، ميشيل .
٦٢ـ في سبيل البعث ، دار الطليعة ، بيروت ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .
فياض ، عبدالله .
٦٣ـ التاريخ فكرة ومنهجا ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٧٧ .
قاسم ، قاسم عبدة .